

الموسى



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

في هذا العدد:

- ☐ إثبات ولادة الإمام المهدي - الشيخ كاظم القره غولي
- ☐ المسار الاستراتيجي للشيعة في الغيبة الكبرى- السيد محمود المقدس الغريفي
- ☐ تاريخ المرجعية ونيايتها عن الإمام في زمن الغيبة- الشيخ جاسم الوائلي
- ☐ جدلية المقدس وتمثل المقدس - تمثلات ظاهرة المهديّة في مخيال شعوب المغرب الإسلامي أنموذجاً - السيد خالد سيناوي الجزائري
- ☐ دور الإمام الغائب في بقاء حجج الله تعالى وبيئاته وفي هداية البشر
- ☐ الشيخ حسن الكاشاني
- ☐ تعريف المهديّة للحضارات الأخرى - مجتبي السادة
- ☐ حكم تسمية إمام العصر - وفغان خضير محسن الكعبي
- ☐ دور المرأة في القيام المهدي - الشيخ محمد رضا الساعدي
- ☐ صولة الغرب وعالمية الدولة المهديّة - الدكتور عاطي صبيات
- ☐ منهج الشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة - پرويز آزادي
- ☐ أثر غيبة الإمام الكبرى في تكامل المجتمع المسلم - علاء إبراهيم رزوقي



مجلة علمية تخصصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

المشرف العام:

السيد محمد القبانجي

رئيس التحرير:

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير:

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني:

حسن محمد الطريفي

الترجمة

الدكتور السيد مجتبی الحلو

التصميم:

حيدر محمد الطريفي

عدد النسخ:

٥٠٠ نسخة

الناشر:

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

جميع الحقوق محفوظة للمجلة

الهيئة الاستشارية

السيد محمد علي الحلو

السيد أحمد الاشكوري

الشيخ نزار آل سنبل

السيد ضياء الخباز

الشيخ علي آل محسن





مجلة علمية تخصصية نصف سنوية

تصدر عن مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

قواعد النشر في مجلة الموعود

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الرصينة المختصة بعقيدة الموعود.
٢. الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقل كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).
٣. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين وجهة العمل والعنوان ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجد.
٤. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تُنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
٥. أن ترفق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.
٦. أن لا يكون البحث قد نُشر سابقاً.
٧. لا تعبر الأفكار المنشورة في المجلة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.
٨. يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.
٩. تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نُشرت أم لم تنشر.
١٠. يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.
١١. ترسل البحوث للمجلة، أو تُسلم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:
العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.
رقم الهاتف:
٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com



تأبين

تعزي أسرة مجلة الموعود التخصصية قرّائها الكرام بفقد
حجة الإسلام والمسلمين سماحة (السيد محمد علي الحلو)
الأستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف والعضو في الهيئة
الاستشارية لمجلة الموعود التخصصية، سائلين المولى العلي القدير
أن يحشره مع محمد وآله الطاهرين وأن يلهم ذويهم ومحبيه الصبر
والسلوان ولهم في آثاره خير سلوة.
نبذة مختصرة عن الفقيه فيما يرتبط بالعقيدة المهدوية وتأليفاته
فيها:

- ١ - شغل رئاسة تحرير مجلة الانتظار بما يزيد على أربع سنوات
بواقع (١٧) عدداً.
- ٢ - كان ممثلاً عن المركز في الكثير من الندوات والمحاضرات
المهدوية لسنين عديدة.
- ٣ - شغل عضوية الهيئة الاستشارية لمجلة الموعود التخصصية.



أمّا ما يرتبط بآثاره العلمية فهي كثيرة تزيد على (٤٥) أثراً،
والمهدي منها:

- ١ - الغيبة والانتظار - قراءة تاريخ ورؤية مستقبل.
- ٢ - اليماني راية هدى.
- ٣ - علامات الظهور - جدلية صراع أم تحديات مستقبل؟
- ٤ - محكمات السنن في الرد على شبهات أهل اليمن - شبهات الزيدية حول الإمام المهدي عليه السلام.
- ٥ - فقه الحوار.. ونبذ العنف في حركة الإمام المهدي عليه السلام.
- ٦ - إشكالية زواج الإمام المهدي عليه السلام والمهديين الاثني عشر.
- ٧ - الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية - الإمام المهدي عليه السلام من الغيبة حتى الظهور.

كما وله العديد من المقالات والكتابات المهدوية المنتشرة في الصحف والمجلات المختصة، فضلاً عن العديد من البرامج التلفزيونية المباشرة والتسجيلية.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

المهدوية بين العقلانية والخرافة

رئيس التحرير

ليست المشكلة في الخرافة بحد ذاتها كمفهوم لا يترتب عليها أثر فكري أو سلوكي، بل ليست المشكلة معها في بعض الزوايا هنا إذ المنظومة العقلانية تبني على 'الإغفال أحياناً ما ولو بمعنى' غير الواقعي الذي قد ينسجم مع بعض تعريفات الخرافة.

إنما المشكلة تكمن في أن تحجز الخرافة مساحة ليست مخصصة لها.

والزاوية التي نريد الحديث عنها القضية الغيبية المرتبطة بالإمام المهدي عليه السلام وتمييزها عن الخرافة التي ألبست لهذه القضية بقصد تارة أو جهل أخرى وربما بعضها بدافع الحرص.

وطبيعي ليست الإشكالية في أصل وجوده عليه السلام - لو لم تحصل له الغيبة - إذا لا توجد مشكلة من هذه الناحية كما مع آبائه الطاهرين عليهم السلام لم تحصل مشكلة لأن وجودهم كان مانعاً منها إلى حد ما، إنما الإشكالية في غيبته وما ترتب عليها من طول عمره الشريف، واستتبع ذلك السؤال هل هذا الطول الزمني معقول وواقع أم هو خيال وخرافة، فأن يغيب شخص لاثنين عشر قرناً ليست كلمة تقال؟

وهل يعقل أن يتولى شخص بعمر خمس سنوات إمامة أمة بل كون؟! وأن يتوقف على الإيمان به صحة الدين.



* وظيفة المتخصص، بل والمثقف الحريص، أن يقوم بعملية تنقية الأفكار والسلوكيات - وإن تمكن الاعتقادات - من الخرافات الضارة بضبط عناصر القضية العقلانية وذكر نماذجها وانتخاب الخطاب المؤثر في نشرها لكي يفسح المجال بأن تأخذ دورها، وهذا بحد ذاته كفيل في تحجيم الخرافة إن لم يلغها أصلاً، فهدامت العقلانية فكراً وسلوكاً هي التي تنبع من الأساسيات بحسب مصادرها فلا بد أن يؤثر هذا النوع بالثبات الدائم لها.

إذن توجد قضية لا يسعنا إنكارها، نعم نحن نناقش في حدودها.

* نعم لا بد أن نلتفت إلى هذه النقطة:

إن العديد من الأديان الكبيرة وعلى مر العصور كانت مناشئ ولادتها وصيرورة تكوينها محض الخرافة، وإن تم تطيرها فيما بعد بلباس العقلانية. * تنشأ الخرافة من تصورات تخيلية (إيجابية أو سلبية) يحاول الإنسان أن يتخذ تجاهها موقفاً محدداً وبالتالي إمّا أن يؤمن بها أو يرفضها وبالتراكم ومساعدة الحواس في بعض الأحيان، بل ولعله في انقياد العقل لقوة الواهمة أحياناً ما تنشأ الخرافة ثم تخرج إلى الفضاء حسب طبيعة الخطاب الذي تتسع به أو البيئة التي تعيش فيها وإمّا تنمو أو تموت.

وتساعد البيئة الخائفة، المترددة، الجاهلة في نموها، فيما تسهم الشجاعة العلمية والثبات الفكري والوضوح العقائدي في اضمحلالها.

كما ويساهم العقل الجمعي والبيئة المتضادة سياسياً أو مذهبياً في نشرها وإشاعتها بدوافع الخصام المعرفي غير المتكافئ، أو المصلحة بل وأحياناً السذاجة في نشوء بعض الأعراف التي يصعب أحياناً التخلص منها.

كما يساهم تشويه المصطلحات وإلقاء الشبهات في مساعدة الخرافة على التفريخ والنمو بشكل متسارع كما في خرافة السرداب.

إن للإيمان بما لا نراه من عالمنا المادي أسساً لا يمكن إنكارها فكذلك ينبغي

أن يكون للإيمان بما لا نراه من عالم الغيب أسس لا يمكن إنكارها لمن قاده الدليل إليها، فنحن لم نشاهد نزول جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ولم نشاهد كيف شرعت الصلاة والصيام ولا ندرك الملاك الحقيقي وراء هذه التشريعات، إلا أن ثقتنا بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وعصمته هي التي كانت وراء إيماننا بهذا الكم الهائل من الغيبات، فالمدار في الإيمان بها ورفع الخرافة عنها هو قيام الدليل عليها، وكذلك في المهذوية بلا فرق ومن يدع الفرق فهو المطالب بالدليل. لذلك جاء وصف الكتاب الكريم بأنه هدى للذين يؤمنون بالغيب مطلقاً بعد قيام الدليل عليه ولا يفصلون بين غيب وغيب، فيصفون بعضاً منه بالخرافة وبعضاً منه بالوحي، حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: ١-٢).

ومن ذلك أيضاً الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله في غيبة الإمام المهدي عليه السلام حيث قال: «والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيث القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول الناس ما لله في آل محمد من حاجة ويشك آخرون في ولادته فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً فيزيله عن ملتي ويخرجه عن ديني»^(١).

إذن فما جدوى النقاش مع شخص -وهو ينكر وجود الله تعالى أو الآخرة أو الملائكة أو الجنة أو النار- في القضية المهذوية وغيبة الإمام عليه السلام وطول عمره الشريف وآثاره التكوينية أو الشرعية في غيبته، فإن مثل هذا الشخص ينكر أصل الغيب برمته لله تعالى كان أم للنبي صلى الله عليه وآله أم لغيره. نعم من يؤمن بهذه الغيبات يصبح للنقاش معه جدوى.



وللاستئناس نذكر بعض الروايات التي تتحدث عن حال الناس في غيبة الإمام عليه السلام:

عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية»^(٢).

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون»^(٣).

عن الرضا عليه السلام قال: «لا يرى جسمه ولا يسمّى باسمه»^(٤).

وعن الجواد عليه السلام: «القائم هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه»^(٥)، وعن أبي هاشم الجعفري قال سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: «الخلف من بعدي الحسن ابني فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف، قلت: ولم، جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترونه شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، قلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا الحجة من آل محمد»^(٦).

فهذه الروايات الشريفة يظهر منها أنه عليه السلام موجود بيننا ولكننا لا نراه، فكما أن الهواء موجود ولا نراه ولا نشك فيه لأننا نشعر وجداناً به، بل لا حياة لنا بدونّه، فكذلك الإمام عليه السلام بل هو أعظم من الهواء، فالهواء به حياتنا الفانية والإمام عليه السلام به الفانية والباقية.

فالخرافة أو الأسطورة هي ما لا أصل له، وقد أثبتنا في هذه العجالة أن الإيمان بالمهدي من آل محمد عليه السلام له أصل ويتفرع على أصول والدليل عليها جميعاً قطعي، فيكون وصف هذه العقيدة بالخرافة هو في الحقيقة الخرافة، ولا تنشأ الخرافة إلا من شخص خرف فكره.

الهوامش

١. كفاية الأثر: ص ١٠.
٢. إكمال الدين: ٢: ٤١٢-٤١٣ / ١٢ باب ٣٩.
٣. كمال الدين: ١ / ٢٨٩، ح ١.
٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٠.
٥. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٧.
٦. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٨١.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

إثبات ولادة الإمام المهدي ﷺ

الشيخ كاظم القره غولي

مثّلت الإمامة محطة الابتلاء، وباب الاصطفاء، من دخله نجا، ومن أعرض عنه غوى. وشكّلت غربالاً لإيمان المؤمنين. فكثّر الكلام وزلّت الأقدام في هذه الحيشة التي عندما رآها إبراهيم عليه السلام على علو شأنه وقرب منزلته بهرته فسألها لذريته: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

وصار الناس بين منكرٍ لها وبين مطبّقٍ لها على غير أهلها. وبين قلةٍ شمكتها رحمة من ربه فآمنت بالهداة والزيادة الكماة. عملوا بوصية نبيهم وأذعنوا بإمامة سادتهم.

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣).

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٠).

إن عظم منزلة الإمامة جعلها نقطة افتراق داخل الجسد الإسلامي، فمن لم تدركه لفته الرحمة من ربّه أبعد حسده أو قعد به جهله أو أسر هواه. وكانت حيثيات الإمامة مثاراً للبحث والتدقيق، فبعضُ حظه الرفض، وآخر كفه التصديق.

ولطالما كان من سمة الفكر والمعتقد الجذب والدفع، وبمرور الليالي والأيام تجلّى في الإمامة ذلك في الأنام.





فكم من ناصب أدار التوفيق دفّة مركبه لبحر الولاء، وكم من موال عصف به كيد الشيطان في مستنقع العداء. والإيمان منه ثابت ومنه مستودع. ومن عثر فيه على مرتع لا يضمن دوام المهجع، فغربال الابتلاء ما فتئ يعمل ووابل الامتحان ما انفك يهطل. يتجلّى في أرض حياة ورحمة، وينزل في أخرى بلاءً ونقمة. شأن هذه الحياة لا يتبدل وقانون لها لا يتعطل. والنار تحرق الخشب وتُنقي الذهب.

ومن لم يُسلم عنانه للشيطان في أصل الإسلام كَمَنَ له اللعين في معرفة الإمام. وقبول القضايا في تناسب عكسي مع مقدار غرابتها. ومن أغرب القضايا أن يعيش إنسان لقرون متدادية، وأغرب من ذلك أن لا يعرفه أحد على مر العصور وتوالي الدهور، ومن هنا خُصت مسألة الإمام الثاني عشر عليه السلام بالكثير من الاهتمام، وصار الحديث فيها مورداً للنقض والإبرام. فأنكر قوم ولادته وبنى آخرون على وفاته، وأعلمنا آباؤه الكرام عليهم السلام أنه سيقال فيه «هلك في أي وادٍ سلك»^(١).

وقد شكك البعض في تواتر الأخبار -على بعض المباني- في ولادته عليه السلام. ونظراً لأهمية المسألة ومحوريته في معتقدنا رأيت أن أتعرض إلى الأدلة التي يمكن أن تكون دالة على ولادته، ولم أقصر في الاستعراض على ما يدل على ذلك مطابقة، وإنما طفت في طوائف الأخبار التي تدلّ عليه التزاماً. ولم أرخ العنان لقلم البحث لاستيعاب كل ما يمكن أن ينفع في ذلك من آحاد الأخبار، بل تعرّضت لطوائف وانتقيت بعضاً من كل منها، مع إشارة إلى وجه الدلالة. ولو لم يكن في هذه الطوائف إلا خصوص ما سقته من الروايات لكان فيها ما يزيد على الكفاية.



دعوى خفاء ذكره ﷺ في كلمات الأوائل:

لقد أثرت مسألة ترك التعرض لإمامة الإمام الثاني عشر ﷺ بعد وفاة والده ﷺ لمدة من الزمن في كتب علمائنا المتقدمين ولم يتحدثوا عن ولادته ﷺ فكان ذلك مثاراً للتشكيك في وجوده، بل وربما التشكيك في دواعي الحديث عنه بعد ذلك. وكان المناسب البحث عن سبب عدم الحديث في أوائل الغيبة لا البحث عن الحديث اللاحق. ولا نرى تأييداً ولا شهادة فضلاً عن دلالة في عدم الحديث في أوائل الغيبة على عدم وجوده ﷺ.

وهل يُحِلُّ في حقيقة أن لا تعرفها عامة الناس في زمان؟ حين تطبق الدنيا على عبادة الأصنام وتنكر وجود الباري تبارك وتعالى، فهل أوجب ذلك خلافاً في حقيقة الوجود المقدس؟

وحين تتفق الناس على أن عيسى ﷺ ابنُ الله تعالى، فهل خدش ذلك في واقع كونه عبداً لله اصطفاه لحمل أعباء النبوة؟

وحين اتفقت الناس على محاربة النبي ﷺ لمدة من الزمن، أكان ذلك موجباً للتشكيك بنبوته ﷺ بعد أن قام الدليل القطعي عليها؟

لقد جهلت أجيال حقيقة إمامة أمير المؤمنين ﷺ، بل لم يعرفوا أصلها ولم نر في ذلك مؤشراً موجباً للتردد في قبولها. وهكذا باقي الأئمة ﷺ. بل والأنبياء ﷺ.

فنوح ﷺ من أولي العزم من الرسل جهل الناس قدره وأنكروا منه أمره لألف سنة إلا خمسين عاماً، فما ضرَّ جهل العالمين بحقانية دعوة الأولياء والصالحين.

إن القرآن الكريم (كما ورد في الروايات) لا تنفى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، وما زال مغدقاً بالعطاء على من ورد باب التأمل في آياته. والعطاء الجديد مما



جاءت به السور والآيات لم يكن معلوماً للسابقين، ولم تمنعنا حادثة المعنى المستفاد من قبوله، ولا أوقفنا عدم تمكن الآخرين من استفادته.

بل في بعض الروايات ما يصرّح بأن بعض آياته وسوره لم تنزل ليفهمها أهل زمان النزول ومن كان يحيى في زمن الرسول ﷺ.

ففي الخبر الصحيح الذي رواه الكليني عن مُحَمَّدُ بْنُ يُحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: قَالَ: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ» (٢).

لقد خفيت إمامة بعض الأئمة عليهم السلام لمدة من الزمن، ولم يضر ذلك في حقانية إمامتهم، كالإمام الرضا عليه السلام.

وكل هذه المفردات المتفرقة لم تُعَدَمَ المعتقد بها في زمانها، وولادة الإمام عليه السلام كسواها من هذه القضايا في زمانها حيث لم تُعَدَمَ المتحدث بها والناقل لها فضلاً عن المعتقدين من خواص الإمام العسكري عليه السلام.

ونحن إذ ننفي التأييد لعدم تعرض الأوائل لذكره عليه السلام على عدم ولادته فضلاً عن الشهادة أو الدلالة. نجزم بالخلاف لوجود الأدلة التي هي أكثر بكثير من الحد الأدنى للتواتر الموجب للجزم والقطع بولادته عليه السلام وتشرف الأرض بوجوده المبارك، وما قيمة الاستبعاد أمام الدلالة القطعية لو كان في البين مجال للاستبعاد؟ إذ بعد تصوّر الحكمة الداعية إلى الإخفاء وقبولها يتنفي أي استبعاد، بل يتضح أن المناسب هو التكتّم من قبل الأئمة عليهم السلام وأصحابهم القريبين في زمن الغيبة.

على أننا نشكك في أن الأوائل من علمائنا لم يتعرضوا لذلك، فما أكثر الروايات



في الكافي عنه عليه السلام والتي تناولت جوانب متعددة من القضية المهدوية، وقد كُتِبَ الكافي في زمن الغيبة. وأمّا الصدوق فولادته بعد انتهاء الغيبة الصغرى، وما أكثر ما جمعه الصدوق في ذلك، وكتابه كمال الدين، وعيون أخبار الرضا عليه السلام والخصال وغيرها مصدر أساسي للباحث في القضية المهدوية.

خفاء ولادته عليه السلام سبب عدم معرفة عامة الناس به:

حين تعلّقت إرادة الله تعالى بأن يكون للناس إمام هو الثاني عشر عليه السلام بترتيب الأئمة عليهم السلام، وأن يكون هذا الإمام حاملاً للواء النصر وناشراً للراية الهدى، واقتضت الحكمة أن يخرج شيء من البيان ومقدار من التنويه باسمه، ووصل ذلك إلى السلاطين وحكام الجور وأذنانهم، أجمع القوم أمرهم على أن يقفوا في وجه ذلك المشروع فينقضوا على الإمام عليه السلام ويطووا صفحته، كما طويت صفحات آبائه عليهم السلام على أيدي أسلافهم، والملك عقيم، لو نازع الولد أباه فيه لأخذ منه الذي فيه عيناه.

صحيح أن الله تعالى غالب على أمره، وأنه تعالى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، لكن طريقة الحق تعالى في تحقيق ما يريد من الناس هو سلوك السبل المألوفة وعدم الخروج عنها إلى الإعجاز إلا في الحالات الاستثنائية.

فتوسطت الأسباب المألوفة للناس بين إرادته تعالى ومراده، فكان ما كان مع الأنبياء والأولياء والصالحين في دعوتهم إلى صراط الله المستقيم. نُشر البعض بالمناسير، وقُرِضَ آخرون بالمقاريض، ورُمي آخرون بالمنجنيق، وخرج آخر خائفاً يترقب ليموت في سنوات التيه، وغير ذلك ليفعل الله أمراً كان مقدوراً. وكان من جملة التدابير الإلهية ليلغ الكتاب أجله وينجو الإمام من كيد الظالمين أن خفي أمر حمله وولادته ذلك في التكوين وأن حرم ذكر اسمه في التشريع^(٣).



ولئلا ينقطع خبره عن الناس أظهره والده العسكري عليه السلام لبعض الخواص في مرّات متعددة لتتمّ الحجة عن طريق ذلك على الناس والله الحجة البالغة على خلقه.

وقد مهدّ الأئمة السابقون عليهم السلام لذلك من خلال التعرض له وأنه ستخفى ولادته عليه السلام. وهذه جملة من الروايات عن الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام في خفاء ولادته.

روى الصدوق عن ابن الوليد عن الصفار عن أحمد بن الحسين عن عثمان بن عيسى عن خالد بن نجیح عن زرارة بن أعين قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم. قلت: ولم ذاك؟ قال: يخاف، وأشار بيده إلى بطنه وعنقه، ثم قال: وهو المنتظر الذي يشك الناس في ولادته، فمنهم من يقول: إذا مات أبوه، مات ولا عقب له، ومنهم من يقول: قد ولد قبل وفاة أبيه بستين... الخبر^(٤).

والرواية تامة سنداً، فعثمان بن عيسى وإن كان لفترة من وجوه الواقفة، لكن لم يشكّك في وثاقته، بل عدّه البعض من أصحاب الإجماع، وخالد بن نجیح وإن لم يُصصّ على وثاقته لكن نقل ابن أبي عمير عنه كاف في توثيقه على المشهور من قاعدة مشايخ الثلاثة. وباقي الرواة لا مشكلة فيهم.

وفي رواية الحسين بن خالد عن علي بن موسى الرضا عليه السلام:

... ف قيل له: يا بن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ قال: الرابع من ولدي ابن سيدة الإمام يطهر الله به الأرض من كل جور ويقدها من كل ظلم، وهو الذي يشك الناس في ولادته وهو صاحب الغيبة قبل خروجه... الخبر^(٥).

وفي سندها علي بن معبد الذي له كتاب على ما ذكر النجاشي إلا أنه لم يوثق. والحسين بن خالد الراوي المباشر عن الرضا عليه السلام ممدوح فلا يضر عدم النص على وثاقته.



وفي الخبر الصحيح الذي رواه الكليني عن العدة عن سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنا نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر وأن يسوقه الله إليك عفواً بغير سيف، فقد بويع لك وضربت الدراهم باسمك. فقال عليه السلام: «ما منا أحد اختلف الكتب إليه وأشير إليه بالأصابع وسئل عن المسائل وحملت إليه الأموال إلا اغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منا خفي المولد والمنشأ غير خفي في نفسه»^(٦).

كمال الدين، الهمداني عن علي عن أبيه عن محمد بن زياد الأزدي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال عند ذكر القائم عليه السلام: «يخفى على الناس ولادته ولا يحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله تعالى فيملاً به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٧).

كمال الدين، الشيباني عن الأسدي عن سهل عن عبد العظيم الحسني عن محمد بن علي عليه السلام قال: «القائم هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله وكنيته...» الخبر^(٨).

وفي كمال الدين، عن أحمد بن هارون وابن شاذويه وابن مسرور وجعفر بن الحسين جميعاً عن محمد الحميري عن أبيه عن أيوب بن نوح عن العباس بن عامر. وحدثنا جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة عن جده الحسن بن العباس بن عامر عن موسى بن هلال الضبي عن عبد الله بن عطاء، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن شيعتك بالعراق كثير ووالله ما في أهل البيت مثلك كيف لا تخرج؟ فقال عليه السلام: «يا عبد الله بن عطاء قد أمكنت الحشوة من أذنك، والله ما أنا بصاحبكم» قلت: فمن صاحبنا؟ قال عليه السلام: «أنظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم»^(٩).

وبعد ملاحظة خفاء الولادة وتحريم الاسم يكون من الطبيعي أن لا ينتشر



ذكره ﷺ. وإنَّ أجلة الأصحاب لا يتحدثون بما رأوا ولا ينقلون ما سمعوا. ولا يعني ذلك أبداً أنه ﷺ غير موجود، وأن القول بولادته فرية افترها المتقدمون طمعاً في فتات دنيا، أعوذ بالله تعالى من غضبه.

إنَّ مقتضى ما ذكرنا من مقتضيات الإخفاء أن لا تعلم العوام، وأن لا يتحدث الخواص حتى إذا مرّت الأيام والسنين واطمأنت نفوس الظالمين بعد رحيل العسكري ﷺ بعقود يخفّ الطلب فيصبح بالإمكان أن يسرب أمر ولادته، فدوّن في الكافي الذي كتب في زمن الغيبة الصغرى، وفيما سطرته يدا الصدوق بعد ذلك بمدة ليست بالطويلة جداً.

قواعد لا بد من ملاحظتها:

هناك جملة من القواعد التي لا بد أن لا يغفل عنها الباحث فيما إذا أراد تحصيل العلم من خلال تجميع القرائن. وهذه القواعد قد لا تجري في البحوث الاستنباطية في المسائل الفرعية، ومن هنا قد يغفل الباحث عنها في مثل مسألتنا. ولذا رأيت من المناسب أن أنوّه لها وأنبّه عليها.

الأولى: تعدد طريق الرواية يزيد من القيمة الاحتمالية لثبوت مضمونها

إنَّ وحدة الرواية مع اختلاف الطريق لا يسقط فائدة اختلاف الطريق إلا إذا كان الخبر متوفراً على شرائط الحجية. فلو أن زرارة مثلاً في الخبر الصحيح أخبر أن الإمام ﷺ قد نصّ على حكم في واقعة خاصة، ومحمد بن مسلم نقل نفس تلك الواقعة في خبر صحيح آخر، فإن هذا النقل الثاني لا يترك أثراً زائداً على ما ثبت للخبر الأول من الحجية، إذ لا يختلف الحال كثيراً عند الاستناد إلى خبر الثقة بين وجود خبر واحد أو خبرين يحكيان الواقعة، هذا من ناحية الحجية، نعم يختلف الحال في جهة شدّة الانكشاف إذ بالحساب الوجداني يكون احتمال إصابة الواقع بالخبرين أكبر من احتمال الإصابة بالخبر الواحد،



لكن ارتقاء الاحتمال وقوته لا أثر له في الاستنباط، لأنه ما لم يصل إلى القطع فهو حجة بحجية خبر الثقة، سواء كان احتمال إصابته للواقع بمستوى (٩٠٪) أو بنسبة (٧٠٪).

وأما إذا لم يكن الخبر متوفراً على شرائط الحجية فأثره هو الكشف الاحتمالي ولا قيمة له إلا إذا وصل بضميمة القرائن الأخرى إلى القطع. وكلما ازداد الاحتمال قوة قرب أكثر من القطع بحجتيه، واحتمال (١٠٪) أقل فائدة من احتمال (١٥٪) في ذلك، بل ولو كان متوفراً على شرائط الحجية وتوفر طريقان لنقله، فإن القيمة الاحتمالية لمطابقته للواقع أكبر من القيمة الاحتمالية فيما لو لم يتوفر إلا على طريق واحد. والسر أن تراكم الاحتمال يعني زيادة الانكشاف. والانكشاف أصلاً ومقداراً خاضع لأسبابه التكوينية ولا ربط للشارع المقدس به، نعم قد يبيى الشارع الكاشف كإخبار شرعي لكنه لا علاقة له أبداً فيما بعد ذلك من الانكشاف. والتشريع مساحته عالم الاعتبار حيث تقبل الأشياء أن توجد فيه بجعل جاعل دون أن يكون لها ما بإزاء في الخارج. ولا ربط له بعالم التكوين حيث تكون الآثار خاضعة لما هو سبب تكويني لها.

ولا يختلف الحال بين أن يكون اختلاف الطريق إلى آخر فرد فيه أو إلى من هو قبله، فلو كان لنا طريقان إلى زرارة الراوي عن الإمام عليه السلام أو الناقل للواقعة. فاحتمال صدق الواقعة وثبوتها من خلال نقل طريق واحد أقل من احتمال ثبوتها لو توفر طريق آخر للنقل إلى زرارة. وهكذا يترتب هذا الأثر لو كان في وسط السلسلة ثلاثة مثلاً يروونها عن واحد، والشيخ الصدوق مثلاً يرويها عنهم عن ذلك المنقول عنه.

ولنوضح ذلك بمثال؛ لو أن رواية رويت عن زرارة بطريقين ورواها زرارة عن الإمام عليه السلام، وكان في كل من الطريقين إلى زرارة رجلين، ولنفرض أن نسبة الصدق وعدم الخطأ في كل من الرجلين (٧٠٪) وكذلك في الرجلين الآخرين



وكانت نسبة عدم الخطأ في نقل زرارة (٩٥٪)، فإن احتمال صدور الرواية وفق الطريق الأول هو حاصل ضرب احتمالات الصدق وعدم الخطأ في رجال ذلك الطريق الذي يساوي (٧٠×٧٠×٩٥) والذي يساوي (٤٦,٥٥٪) هذا إذا لاحظنا طريقاً واحداً إلى زرارة، وأمّا إذا لاحظنا الطريقتين إليه فاحتمال إخبار زرارة في كل من الطريقتين هو حاصل ضرب (٧٠×٧٠) وهو (٤٩٪) واحتمال إخباره في الطريق الثاني (٤٩٪) أيضاً فاحتمال عدم صدور الإخبار عن زرارة لأحد الطريقتين ما قابل (٤٩٪) في كل منهما مضروباً ببعضه أي (٥١٪×٥١٪) وهو يساوي (٢٦,٠١٪) فاحتمال صدور الإخبار من زرارة لواحد منهما (٧٣,٩٩٪) وإذا أردنا أن نعرف احتمال صدور الخبر من الإمام عليه السلام كانت النتيجة حاصل ضرب (٧٣,٩٩٪) × (٩٥٪) وهو (٢٩٠٥,٧٠٪).

فكان انعكاس وجود طريقتين إلى زرارة إلى الإمام عليه السلام واضحاً، إذ على ملاحظة طريق واحد جعل الاحتمال (٤٦,٥٥٪) تقريباً، وعلى ملاحظة الطريقتين كانت النتيجة (٧٠,٣٪) تقريباً.

فلا يرد إشكال أن الرواية واحدة فلا وجه للتعرض للطريق الثاني.

نعم إذا كان الإثبات بواسطة التعبد بالسند لم ينفع كثيراً وجود طريق ثاني لأنه لا يحولها إلى متيقنة. ولا فرق في التعبد بعد توفر شرائط التعبد بين طريق واحد وطريقتين إذ يكفي للتعبد وجود طريق واحد تام ويحقق موضوع الحجية.

والمفروض أننا نبحت عن القرائن الاحتمالية التي توصلنا إلى اليقين.

الثانية: لا علاقة لبحثنا بحجّة الأمانة في مشائنا.

ثم لا علاقة لما ذكرناه من دلالة الأدلة بالدلالة الالتزامية بما بنى عليه البعض من عدم حجية الأمارات في مداليلها الالتزامية.

توضيحه: أن الأصوليين قد اختلفوا في حجية الأمانة التي قام الدليل على



اعتبارها في المدلول الالتزامي بعد الاتفاق على الحجية في المدلول المطابقي. وقد بنى النائيني رحمته الله على أن الحجية تفسر بجعل العلمية. فالشارع المقدس حين قبل بحجية خبر الثقة وأمضاها كان قد جعل في موردها علماً تعبدياً اعتبارياً، فإذا أخبرني الثقة بأن ابني الغائب حيّ ثبتت حياته بالعلم الاعتباري، إذ ليس في الوجدان إلا الظن الناشئ من إخبار الثقة.

ولما كانت الحياة ملازمة للأكل والشرب، فإذا كان حياً فهو يأكل ويشرب. فالعلم بالشيء علم بلوازمه، فعلمي الجعلي بحياة الولد علم جعلي أيضاً بأنه يأكل ويشرب.

وقد أشكل السيد الخوئي رحمته الله على أستاذه النائيني بأن اعتبار الشخص عالماً بالحياة لا يستلزم اعتباره عالماً بلوازمها، فدائرة الاعتبار تحديدها اختياري للمعتبر، فقد يجعل الاعتبار لأحد المتلازمين دون الآخر. وهذا في حدّ نفسه صحيح إن كان اعتباراً محضاً، أمّا إذا كان الاعتبار دائراً مدار مقدار الانكشاف بالخبر مثلاً فانكشف المدلول الالتزامي بمستوى انكشف المدلول المطابقي فلا بد من شمول الاعتبار للمدلول الالتزامي أيضاً.

ولسنا بصدد مناقشة سلامة أو سقم مبنى السيد الخوئي رحمته الله، بل نقول: إن هذا المبنى لا يؤثر على النتيجة في محلّ بحثنا، لأنه إنما يؤثر إذا أردنا أن نثبت المدعى من خلال دليل الحجية التعبدية في مساحة المدلول الالتزامي. ونحن من خلال استعراض الشواهد والأدلة بما في ذلك ما كان دالاً بالدلالة الالتزامية نبغي الوصول إلى القطع من خلال ضم الأدلة إلى بعضها. والانكشاف في المداليل الالتزامية وجداني وإن لم ندخل فيه دليل الحجية، وضمّ هذه المحتملات إلى بعضها عن طريق نظرية تراكم الاحتمال يوصلنا إلى القطع الوجداني. والقطع حجّيته غير معجولة لشكك في شمولها لهذا المورد أو لا. بل هي لازمة الثبوت له غير قابلة للانفكاك عنه، حتى لو أراد الشارع أن يسقطها

عنه فإنه لا يمكنه ذلك، إذ يستحيل على الشارع بما هو شارع أن يفكك بين المتلازمين فإن القدرة تتعلق بالممكن، والتفكيك بين المتلازمين أمر ممتنع، نعم للشارع بما هو خالق أن يرفع موضوع حجية القطع، أي أن يرفع القطع من نفس المكلف فترفع حجيته تبعاً لذلك.

وعليه إذا وصلنا إلى القطع فالمباني تتفق على حجيته وعلى عدم إمكان التفكيك بينه وبين حجيته، ولا فرق بين أن يكون منشأ تولده مداليل التزامية أو مطابقة، فحجية القطع لا ربط لها بمقدمات حصوله نعم أسقط البعض حجيته إذا كان ناشئاً من مقدمات عقلية، ومنع البعض من معذريته إذا حصل لقطاع (وهو الذي يحصل عنده القطع سريعاً) وهذان المبيان على بطلانهما لا يضران في محل كلامنا.

بل إن موضوعنا لا ربط له بالحجية التعبدية؛ لأننا نتحدث عن مسألة اعتقادية وليست فرعاً من الفروع الفقهية. والمعتقد ليس فيه أحكام ليُنظر في تنجيزها أو التعذير عنها كما هو مقتضى الحجية. لأن في الجانب العقدي أسعى لإدراك الواقع. ولا أبحث عن منجز أو معذر بلحاظه. نعم قد يحكم العقل في بعض المعتقدات بضرورة النظر في المقدمات فيجب النظر، ولا ربط لذلك بحجية الدليل الذي أنظر إليه. وإنما وجب النظر لكي تنكشف الحقيقة التي قد يكون إدراكها مقدمة للواجب، كما قيل في وجوب شكر المنعم شكراً لاثقاً بشأنه. ومعرفة اللائق بشأنه تتوقف على معرفته.

الثالثة: ظهور الرواية في معنى لا يسقط فائدتها في إثبات معنى آخر

إن تجميع القرائن الاحتمالية وضمها إلى بعضها يتسع ليشمل الروايات لإثبات معنى مقابل للمعنى الذي تكون الرواية ظاهرة فيه فإنه مادام احتمال إرادته من الرواية واقعياً، فإن الرواية تشكّل قيمة احتمالية إضافية قد يستفيد منها الباحث من خلال ضمها إلى بقية القرائن الأخرى ليكون الحاصل الاحتمالي من المجموع أكثر من احتمال كل قرينة على حدة.



فلو رأيت اجتماع قوم وسألت عن سبب الاجتماع فنصّ ثقة على أن بطلاً يخطب في الناس، وكانت نسبة مطابقة ظاهر خبره للواقع (٨٠٪) وفي ليل ذلك اليوم أخبرك شخص آخر بأنه رأى في ذلك اليوم في مكان الاجتماع أسداً يزأر. وكانت نسبة صدقه (١٠٠٪) مثلاً لكن احتمال إرادته للمعنى الحقيقي أي الحيوان المفترس المعهود (٦٠٪) واحتمال إرادة البطل الذي يخطب (٤٠٪)، فإن احتمال أن يكون بطل قد خطب في ذلك اليوم في ذلك المكان هو حاصل ضم الاحتمالين (٨٠٪) و (٤٠٪)، وفي مثله يحسب الناتج من خلال أخذ الاحتمال المخالف في كل منهما ويضربان، والاحتمال المقابل لحاصل عملية الضرب هو حاصل الخبرين.

وحاصل عملية ضرب (٢٠٪) المقابل لـ (٨٠٪) و (٦٠٪) المقابل لـ (٤٠٪) هو (١٢٪) فاحتمال وقوع خطبة لبطل في السوق هذا اليوم (٨٨٪). فانعكس ضم هذه القرينة الاحتمالية مع أنها على خلاف الظاهر بزيادة قدرها (٨٪).

نعم لا يتحقق ذلك، بل يتحقق عكسه لو فرضنا أن المحتمل بنسبة (٦٠٪) ينفي المحتمل بنسبة (٤٠٪) كما لو كان الخبران السابقان يتحدثان عن نفس الواقعة لا عن واقعتين ربما حصلتا في مكان واحد. بل هي واقعة واحدة وهي إمّا خطبة بطل أو زئير أسد، وليس من المعقول أن يكون الخبر النافي لمضمون الخبر الأول بنسبة (٦٠٪) والموافق له بنسبة (٤٠٪) داعماً للخبر الأول. ففي الوقت الذي تدعم فيه نسبة الـ (٤٠٪) مضمون الخبر الأول فإن الـ (٦٠٪) تضعفه، ومن غير المعقول أن يكون تأثير النسبة الأقل أكثر من تأثير النسبة الأكثر.

أمّا لو كان المحتمل بنسبة (٦٠٪) لا ينافي المحتمل بنسبة الأربعين في الخبر فإن ذلك بقوة الخبرين المستقلين أحدهما مطابق لمضمون خبرنا الأول السابق



ونسبته (٤٠٪) والآخر لا علاقة له به ونسبته (٦٠٪)، فيبقى تأثير هذه الـ (٤٠٪) بلا معارض في التأثير.

ويمكن أن يقع ذلك فذلكة لوجه جعل بعض الأخبار الضعيفة أو غير الحجة مؤيداً للأدلة التي تدل على مضمون ما. إذ قد يكون التخريج الفني للتأييد هو ما ذكرناه.

والنتيجة أن الأخبار التي لا ترتقي إلى الحجية بل لا ترتقي إلى الظهور في الدلالة لا تسقط عن الانتفاع بها في عملية تجميع القرائن للوصول إلى القطع أو ما هو كالقطع فعلاً أو عملاً بحكم العقل، إذا كان الاحتمال القابل له بدرجة من الضالة بحيث إن العقل لا يلتفت إليه أو لا يرتب عليه الأثر وإن التفت إليه.

نعم، مثل هذا الخبر لا يمكن الاحتجاج به كدليل مستقل ونحن لسنا بصدد الاحتجاج به منفرداً خصوصاً وقد ذكرنا أن مفردات الاعتقاد ولو كانت في التفاصيل لا يجري فيها التعبد وقبول الأدلة الظنية التي يحتج بها في الفروع.

ويمكن أن نعمم ذلك للخبر المجلد الذي لا يتنافى معناه المحتملاً بالإرادة منه. والمقصود بالتنافي ليس التنافر في مرحلة الحكاية، بل تنافر ذات المحكيين قبل الحكاية أو بغض النظر عن الحكاية، فلو أتى بكلام واحتملنا أنه أراد المعنى الأول أو المعنى الثاني، كما لو أخبر بوجود زيد في الخارج، ولم نعرف أنه أراد زيدا الأول أو الثاني كان كل منهما محتمل الإرادة. والمحكيان بغض النظر عن الحكاية لا تنافي بينهما، إذ يمكن أن يكونا معاً في الخارج. نعم في مرحلة الحكاية علمنا أنه أراد الإخبار عن وجود أحدهما في الخارج. فحكايته هنا توجب قوة احتمالية أن يكون المراد زيدا الأول كما توجب احتمال أن يكون المراد زيدا الثاني.



الرابعة: انتفاء المضعف الاحتمالي المقابل في محل بحثنا

ثم إن هذا الذي أثبتناه بتراكم الاحتمال يتميز بأنه لا مضعف له في الجهة الأخرى، أي إنه لا يوجد شاهد أو دال على عدم وجوده ﷺ، فالشواهد العكسية منتفية. وما عسى النافي لوجوده ﷺ أن يقول، وما الدليل الذي يصح أن يستند إليه؟ اللهم إلا نحو من الاستبعادات التي لا تستند إلى مبرر موضوعي ووجه قابل للتعويل عليه.

فالرواية المتواترة قد تجد رواية معارضة لها، والإجماع قد تجد من يفتي بخلافه من الطائفة مثلاً. أمّا هنا فلا وجه لخلاف شخص نحتمل فيه أنه استند إلى مبرر موضوعي.

نعم من المسلم أن في هذه القضية ما يجعل الاحتمال الموافق أضعف مما في قضايا أخرى. لأن للأخبار بحياته ﷺ لوازم غير مألوفة، وغرابة القضايا ولو من خلال غرابة لوازمها تجعل كاشفية الحاكي عنها أقل مما هي فيما عداها من القضايا. ومن مفردات الغرابة والاستبعاد:

١- بقاء شخص كل هذه المدة المديدة من العمر. فإن قيل تحقق الحالات المشابهة يدفع الغرابة ويلغي الاستبعاد. وقد تحدّث القرآن الكريم عن حالة مشابهة وهي عمر نوح وأثبت الموروث الروائي حياة الخضر وحياة إدريس النبي وحياة عيسى المسيح ﷺ، ولكن ذلك غير كاف في رفع الغرابة. ولو ثبت على مر التاريخ مائة حالة من هذا القبيل لما زالت الغرابة، نعم تخفّ إلى حدّ ما.

٢- وجوده بين الناس أو في الأرض دون أن يتيسر لهم معرفة شخصه لكل هذه المدة المديدة.

٣- تمكّنه من التخلص من البحث والطلب الحثيث من السلطات في أوائل غيبته دون أن يعثروا على عين أو أثر منه.



ومثل هذه المفردات تجعل القيمة الاحتمالية لصحة الخبر بوجوده ﷺ أضعف، مما يعني الحاجة في سبيل الوصول إلى القطع إلى روايات أكثر مما تحتاجه قضية عادية لكي يحصل القطع بها.

الخامسة: عدم تمامية القاعدة إثباتاً لا يلغي احتمالها ثبوتاً

هناك بعض القواعد الرجالية التي تثبت توثيقات عامة، أي لا تختص براؤ دون آخر. وقد اختلف في بعضها، فمثلاً اختلف في أن ورود اسم الراوي في تفسير القمي هل يعتبر دليلاً على وثاقته أو لا؟ واختلف في أن ورود اسم راوٍ في أسانيد كامل الزيارة هل هو دليل على الوثاقة أو لا؟ وكذا في كون راوٍ من مشايخ الإجازة دالاً على الوثاقة أو لا، وغير ذلك من القواعد.

فإن تمت تلك القاعدة ثبتت وثاقة الراوي، ووثاقته تعني ضعف احتمال أن يكون خبره مخالفاً للواقع، لأن الوثاقة تنفي تعمد الكذب، فيبقى مع الوثاقة احتمال الخطأ غير المقصود، وهو في النقل الحسي احتمال ضعيف. بل الوثاقة بنفسها تستدعي إعمال الدقة في النقل مما يضيق احتمال وقوع الخطأ. ولما كانت هذه القواعد العامة في التوثيق استظهارية في الأغلب احتملنا أن الوثاقة الثابتة بها غير ثابتة في الواقع فلا يسقط احتمال تعمد الكذب إلا أنه يضعف جداً.

وأما إذا لم تثبت تلك القاعدة، فإن غاية ما يقال: إنها لم ينهض دليل لإثباتها مع أنها يحتمل أن تكون موجودة في الواقع. وهذا يعني أن من تنطبق عليه القاعدة الرجالية للتوثيق والتي اختلف في صحتها، لا يكون الكشف الاحتمالي لصحة إخباره كمن لم تشمله مثل هذه القاعدة حتى عند من لم تثبت عنده تلك القاعدة. فالنافي لها لم ينهض عنده دليل على نفيها في كثير من الأحيان، إلا أنه لم يتم الدليل على صحتها. وعدم تمامية الدليل لا ينفي ثبوت المستدل عليه في الواقع. نعم احتمال مطابقة خبره للواقع أقل من احتمال مطابقة خبر من شملته قاعدة صحيحة في التوثيق العامة نوعاً.

السادسة:

إن المبحوث عنه هو صدور هذا اللفظ من المعصوم عليه السلام مثلاً مع إرادة خصوص المعنى الكذائي من الحديث. وليست وثاقة الراوي إلا طريقاً لذلك. ولا فرق في هذا بين كون موضوع الحجية وثاقة الراوي أو الوثوق بالمروي كما عليه المشهور. والأمر لا يختلف كثيراً من الناحية العملية؛ لأن من قال: إن موضوع الحجية هو الوثوق بالمروي طريقه الأساسي لإثبات ذلك هو وثاقة الراوي. نعم قد يظهر الفرق فيما لو توفرت قرائن غير وثاقة الراوي استدعت الوثوق بالمروي ولم تتوفر وثاقة للراوي، فإنه يقال بالحجية بناء على كون موضوعها الوثوق بالمروي، ولا تثبت الحجية بناء على كون الموضوع هو وثاقة الراوي.

وقد وردت بعض الأخبار - سنشير إليها في طيات البحث - نصل فيها إلى راوٍ لم تثبت وثاقته إلا أنه كان في زمان سابق على ما أخبر به وتحقق ما أخبر به في لاحق الأيام، فلا حاجة إلى البحث عن وثاقته، بل نجزم حينها بصحة الخبر منه. وذلك لا يعني أنه ثقة، بل يعني أن خبره هذا صحيح. فإذا ورد عنه خبر آخر لم نشق بمضمونه لا يمكن أن أعتمد عليه لأنه روى لي مرة خبراً مطابقاً للواقع. فالكذاب لا يكون كل قوله كذباً، فإذا وجدت في الرجل صدقاً مرة لم يعن ذلك أبداً أنه صادق في كل ما يقول.

وينسحب الأمر إلى من نقل هذا الراوي الخبر عنهم ولو بواسطة، فنقبل ذلك الخبر منهم لشاهد الصدق الذي فيه، بل لدليل الصدق القاطع الذي فيه. ولا فرق هنا بين كون المبنى في الحجية معتمداً على الوثوق بالمروي أو على وثاقة الراوي، لأن القبول للخبر هنا ليس للتبعد، بل للقطع فلا علاقة للحجية به. هذا أولاً، وثانياً لأن ما نبحت عنه - وفق ما استراه في ما سيأتي من البحث - هو الانكشاف الواقعي للقضية التي نبحت عن ثبوتها لا التبعد بثبوتها.



ومن هنا يتضح أن الكاشف الاحتمالي في هذا الراوي -في خصوص الخبر- ومن نقل عنهم لا يعمل، بل هو قطع كما تقدم.

وهذا يسري إلى من نقل عن هذا الراوي إذا كان خبره قبل حدوث ما أخبر عنه. إذ يصبح خبره قطعي الصدق من جهة تصديق الواقع له. فلا يكون تعدد الطبقات هنا مضعفاً احتمالاً لصحة الخبر وصدق مضمونه.

طوائف الروايات الدالة على ولادته عليه السلام:

هنا جملة من الطوائف الروائية التي دلت على وجوده عليه السلام وسنحاول الوقوف على بعض أمثلتها. وليس المقصود أبداً استيعابها جميعاً وإلا اتسع البحث إلى ما لا يتلاءم مع الغرض من كتابة هذه الأوراق.

وكل هذه الأخبار إلا طائفة أو طائفتين ترجع إلى إخبارات المعصومين عليه السلام.

المعصومون الذين ينبؤوننا عن الغيب فنصدقهم، ونخبروننا عن الله تعالى فنقبل منهم، ويعلموننا الكتاب والحكمة فنذعن لهم؛ لأننا نعلم أن ما يخبرون به ويتحدثون عنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهم الذين لا ينطقون عن الهوى، طابت وطهرت نفوسهم، وكم هو جميل كلام خزيمة بن ثابت في قصة شراء النبي صلى الله عليه وآله فرساً من الأعرابي وهي قصة معروفة.

فعن جعفر بن الحسين وأحمد بن هارون وغيرهما عن ابن الوليد عن الصفار عن الخشاب عن ابن كلوب عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى فرساً من أعرابي فأعجبه، فقام أقوام من المنافقين حسدوا رسول الله صلى الله عليه وآله على ما أخذ منه، فقالوا للإعرابي: لو رجعت إلى السوق بعته بأضعاف هذا، فدخل الإعرابي الشره فقال: ألا أرجع فأستقيله؟ فقالوا: لا، ولكنه رجل صالح، فإذا جاءك بنقذك فقل: ما بعتك بهذا، فإنه سيرده عليك. فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله أخرج إليه النقد فقال: ما بعتك بهذا، فقال النبي صلى الله عليه وآله والذي بعثني بالحق لقد بعثني، فجاء خزيمة بن ثابت



فقال: يا إعرابي أشهد لقد بعث رسول الله ﷺ بهذا الثمن الذي قال. فقال الإعرابي: لقد بعته وما معنا من أحد.

فقال رسول الله ﷺ لخزيمة: كيف شهدت بهذا؟ فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي تخبرنا عن الله وأخبار السماوات فنصدقك، ولا نصدقك في ثمن هذا؟ فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، فهو ذو الشهادتين^(١٠).
والروايات التي أوردتها -ولادته عليه السلام- كثيرة، وسنبداً باستعراض بعض أمثلة طوائفها.

الطائفة الأولى: ما دل على ولادته مطابقة

١- كمال الدين: ابن إدريس عن أبيه عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن إبراهيم الكوفي عن محمد بن عبد الله المطهري (الطهري) قال: قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام أسأله عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها فقال لي....

فقلت يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد؟ فتبسّمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة؟ وقد أخبرتك أن الإمامة لا تكون لأخوين بعد الحسن والحسين عليه السلام.

فقلت يا سيدي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام. قالت: نعم، كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي عليه السلام، وأقبل يحمد النظر إليها، فقلت يا سيدي: لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال لا يا عمّة، لكنني أتعجب منها. فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله ﷻ، الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً^(١١).

٢- كمال الدين: علي بن الحسن بن الفرّج عن محمد بن الحسن الكرخي قال: سمعت أبا هارون -رجلاً من أصحابنا- يقول: رأيت صاحب الزمان عليه السلام وكان مولده يوم الجمعة سنة ست وخمسين ومائتين^(١٢).



٣- كمال الدين: ابن المتوكل عن الحميري عن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد عليه السلام بعث إلى بعض من سمّاه لي، بشاة مذبوحة قال: «هذه من عقيقة ابني محمد»^(١٣).

٤- كمال الدين: ماجيلويه عن محمد العطار عن الحسن بن علي النيسابوري عن الحسن بن المنذر عن حمزة بن أبي الفتح قال: جاءني يوماً فقال لي: البشارة، ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد عليه السلام، وأمر بكتمانه. قلت: وما اسمه؟ سمّي بمحمد وكنّي بجعفر^(١٤).

٥- كمال الدين: الطالقاني عن الحسن بن علي بن زكريا عن محمد بن خيلان، عن أبيه عن جده عن غياث بن أسيد قال: سمعت محمد بن عثمان العمري يقول: لما ولد الخلف المهدي عليه السلام سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء، ثم سقط لوجهه ساجداً لرّبّه تعالى ذكره، ثم رفع رأسه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام. قال: وكان مولده ليلة الجمعة^(١٥).

٦- كمال الدين: بالإسناد السابق عن محمد بن عثمان العمري عليه السلام أنه قال: ولد السيد عليه السلام مختوناً وسمعت حكيمة تقول: لم يُر بأمه دم في نفاسها، وهذا سبيل أمهات الأئمة عليهم السلام^(١٦).

٧- كمال الدين: أبو العباس أحمد بن عبد الله بن مهران عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما وُلد الخلف الصالح عليه السلام ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي بن علي بن أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان يرد به التوقيعات عليه: «وُلد المولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به كما سرّنا والسلام»^(١٧).

٨- كمال الدين: ابن الوليد عن عبد الله بن العباس العلوي قال: دخلت



عليّ أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسرّ من رأى فهنّأته بولادة ابنه القائم عليه السلام^(١٨).
 ٩- غيبة الطوسي: جماعة عن التلعكبري عن أحمد بن علي عن محمد بن علي عن حنظلة بن زكريا عن الثقة قال: حدثني عبد الله بن العباس العلوي وما رأيت أصدق لهجة منه وكان خالفنا في أشياء كثيرة عن الحسن بن الحسين العلوي قال: دخلت عليّ أبي محمد عليه السلام بسرّ من رأى فهنّأته بسيدنا صاحب الزمان عليه السلام لما وُلد^(١٩).

١٠- كمال الدين: علي بن محمد بن حباب عن أبي الأديان قال: قال عقيد الخادم، قال أبو محمد بن خيرويه البصري، وقال حاجز الوشاء، كلهم حكوا عن عقيد، وقال أبو سهل بن نوبخت، قال عقيد: وُلد وليّ الله الحجة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ليلة الجمعة من شهر رمضان من سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة ويكنى أبو القاسم ويقال أبو جعفر، ولقبه المهدي وهو حجة الله في أرضه، وقد اختلف الناس في ولادته فمنهم من أظهر ومنهم من كتم، ومنهم من نهى عن ذكر خبره، ومنهم من أبدى ذكره والله أعلم^(٢٠).

١١- كمال الدين: ابن المتوكل عن الحميري عن محمد بن أحمد العلوي عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام وكُد فسماه محمداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملاًها قسطاً وعدلاً»^(٢١).

١٢- كمال الدين: أبي وابن الوليد معاً عن الحميري قال: كنت مع أحمد بن إسحاق عند العمري عليه السلام فقلت للعمري: إني أسألك عن مسألة كما قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠) هل رأيت صاحبي؟ قال: نعم، وله عنق مثل ذي -وأشار إلى عنقه-

قلت فالاسم؟ قال: إياك أن تبحث عن هذا، فإن عند القوم أن هذا النسل قد انقطع^(٢٢).

وهذه الرواية لا نبالغ إن قلنا بكفايتها في إثبات وجوده ﷺ إذ لا نحتمل الخطأ وتعمد الكذب في والد الصدوق وابن الوليد معاً وكذا الحميري^(٢٣) والعمري. والمسألة ليست مما يتحقق فيه الاشتباه. وأمّا الدلالة فلا غبار عليها، فإننا وإن لم نكتف بكلمة (صاحبي) لكن قوله (إياك أن تبحث عن هذا فإن عند القوم أن هذا النسل قد انقطع) يشكل قرينة قطعية على أن المراد هو الإمام ﷺ.

ولو لم نقطع فإنها موجبة للاطمئنان العالي.

١٤- كمال الدين: محمد بن إبراهيم بن إسحاق قال: سمعت أبا علي محمد بن همام يقول: سمعت محمد بن عثمان العمري قَالَ يقول: خرج إليّ توقيع بخط أعرفه: «**من سَمَّاني في مجمع من الناس باسمي، فقد لعنه الله**»^(٢٤).

ومحمد بن همام ثقة جليل القدر. ومحمد بن إبراهيم ترضى عنه الشيخ الصدوق، لكن ذلك لا يثبت وثاقته. وهذه الرواية لا شك أن المقصود فيمن خرج توقيع هو الإمام ﷺ.

كما أن قوة احتمال صدورهما واضحة، وربما هي أكثر من قوة احتمال صدور رواية في سندها خمسة ثقات مثلاً كانت نسبة مطابقة الواقع في أخبارهم بمستوى (٨٠٪)، لأن احتمال صدور هكذا رواية هو حاصل ضرب (٨٠٪) في نفسها خمس مرات وهو ما يقل قليلاً عن (٣٣٪).

وأمّا هذه الرواية إذا فرضنا أن نسبة المطابقة في إخبار محمد بن إبراهيم (٥٠٪) وهو قليل لأن الشيخ الصدوق قد ترضى عليه في المشيخة في طريقه إلى أبي سعيد الخدري وإلى أحمد بن محمد بن سعيد ويوجد ما يدل على تشيع الرجل. وقد روى عنه الصدوق كثيراً وكنّاه في أكثر من مورد بأبي العباس^(٢٥).



وهذه القرائن إن لم تثبت وثاقته، فلا أقل من عدم كونه معروفاً بالكذب. وهذا يجعل احتمال الصدق في خبره أكثر من (٥٠٪) بمقدار واضح لكن لو فرضنا أن نسبة المطابقة في خبره هذا (٥٠٪) ونسبة المطابقة في خبر محمد بن همام باعتباره جليل القدر (٩٠٪) فاحتمال صدور الخبر (٤٥٪) وهو أكثر بلا شك من (٣٣٪).

الطائفة الثانية: فيمن رآه عليه السلام

نقل العلامة الشيخ المجلسي جملة من الروايات فيمن رآه.

عن كمال الدين علي بن عبد الله الوراق عن سعد عن أحمد بن إسحاق قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم، ولا تخلو إلى يوم القيامة من حجة الله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض».

قال: فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين فقال: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام، ومثله كمثّل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من التهلكة إلا من يثبته الله على القول بإمامته، ووفقه للدعاء بتعجيل فرجه».

قال أحمد بن إسحاق فقلت له: يا مولاي هل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح فقال: «أنا بقية الله في أرضه والمتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق».

فقال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت



إليه فقلت له: يا بن رسول الله لقد عظم سروري بما أنعمت عليّ، فما السُّنة الجارية فيه من الخضر وذو القرنين؟ فقال عليه السلام: «طول الغيبة يا أحمد» فقلت له: يا بن رسول الله وإن غيبته لتطول؟ قال عليه السلام: «إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلّا من أخذ الله عهده بولايتنا، وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه».

يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن غداً في عليين»^(٢٦).

وعلي بن عبد الله الوراق شيخ الصدوق وقد ترضى عنه في كتاب العيون ج ١، ب ١٠.

وسعد هو ابن عبد الله الأشعري القمي شيخ القميين ووجههم، وأحمد بن إسحاق وإن كان مشتركاً بين الأشعري والرازي إلّا أن الرازي ثقة والأشعري ذكر الشيخ الطوسي فيه: أبو علي كبير القدر وكان من خواص أبي محمد عليه السلام وهو شيخ القميين ووافدهم.

والمعني في هذه الرواية الأشعري؛ لأن الرازي لم يرو عن الحسن العسكري عليه السلام، على أن الشيخ الطوسي صرح أن الأشعري رأى الإمام صاحب الزمان عليه السلام. وعلى هذا فالرواية تورث قيمة احتمالية معتدلاً بها إذ في سندها ثلاث، اثنان منهم من أعظم الرواة وأكابرهم.

روى الطوسي في الغيبة عن الصدوق عن أبيه وابن المتوكل وابن الوليد جميعاً عن الحميري قال: سألت محمد بن عثمان العمري فقلت له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني».

وبنفس الإسناد عن محمد بن عثمان قال: رأيته صلى الله عليه متعلقاً بأستار



الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائي»^(٢٧).

ونقل الصدوق في غاية الوثاقة فأبوه نار على علم في الورع والتقوى وابن المتوكل ثقة بلا ريب وابن الوليد جليل القدر ثقة والحميري كذلك، وأمّا محمد بن عثمان العمري فهو السفير الثاني.

فهذه الرواية منفردة قد تكون موجبة للاطمئنان أو على الأقل توجب مرتبة عالية من الظن.

وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين عن ابن المتوكل عن الحميري عن إبراهيم بن مهزيار قال: قدمت مدينة رسول الله ﷺ فبحثت عن أخبار آل أبي محمد الحسن بن علي الأخير فلم أقع على شيء منها، فرحلت إلى مكة مستبحثاً عن ذلك، فبينما أنا في الطواف إذ تراءى لي فتى أسمر اللون رائع الحُسن، جميل المتخيلة يطيل التوسم فيّ، فعدلت إليه مؤملاً منه عرفان ما قصدت له. فلما قربت منه سلّمت فأحسن الإجابة ثم قال لي: من أيّ البلاد أنت؟ قلت: رجل من أهل العراق. قال: من أيّ العراق؟ قلت: من الأهواز. قال: مرحباً بلقائك، هل تعرف بها جعفر بن حمدان الخصيبي؟ قلت: دعي فأجاب. قال: رحمة الله عليه ما كان أطول ليله وأجزل نيله. فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار؟ قلت: أنا إبراهيم بن مهزيار. فعانقني ملياً ثم قال: مرحباً بك يا أبا إسحاق. ما فعلت العلامة التي وشجت بينك وبين أبي محمد صلوات الله عليه؟ فقلت: لعلك تريد الخاتم الذي آثرني الله به من الطيب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام؟ قال: ما أردت سواه، فأخرجته فلما نظر إليه استعبر وقبّله، ثم قرأ كتابته... ثم يروي القصة كاملة وكيف وصل إلى لقاء الإمام عليه السلام^(٢٨).

وقد تركنا نقل القصة كاملة لطولها. وقد نقلها في البحار بتمامها^(٢٩)، وإنما اخترتها على غيرها لتمايمية سندها.

الطائفة الثالثة: ما ظهر من معجزاته

ويمكن الاستدلال على ذلك بما ظهر من معجزاته عليه السلام فإنها إذا ثبتت ثبت وجوده عليه السلام في ذلك الزمان مما يعني ولادته قبلها. وقد جمع في البحار عشرين الشواهد على ذلك ونكتفي بذكر بعضها.

ففي الخرائج والجرائح عن محمد بن شاذان قال: اجتمع عندي خمسمائة درهم ناقصة عشرين فأتممتها من عندي، وبعثت بها إلى محمد بن أحمد القمي، ولم أكتب كم لي منها، فأنفذ إلي كتابه، وصلت خمسمائة درهم، لك فيها عشرون درهماً^(٣٠).

وفي فهرست النجاشي قال: اجتمع علي بن الحسين بن بابويه مع أبي القاسم الحسين بن روح وسأله مسائل، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى الصاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد فكتب إليه:

«قد دعونا الله لك بذلك وسترزق ولدين ذكرين خيرين». فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد. وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام ويفتخر بذلك^(٣١).

وفي الكافي عن علي بن محمد عن سعد بن عبد الله قال: إن الحسن بن النضر وأبا صدام وجماعة تكلموا بعد مضي أبي محمد عليه السلام فيما في أيدي الوكلاء وأرادوا الفحص فجاء الحسن بن النضر إلى أبي صدام فقال: إني أريد الحج. فقال أبو صدام: أخره هذه السنة. فقال له الحسن: إني أفزع في المنام ولا بد من الخروج، وأوصي إلى أحمد بن يعلى بن حماد، وأوصي للناحية بمال وأمره أن لا يخرج شيئاً إلا من يده إلى يده بعد ظهوره.

قال: فقال الحسن: لما وافيت بغداد اكرتيت داراً فنزلتها، فجاءني بعض



الوكلاء بشباب ودنانير، وخلفها عندي فقلت له: ما هذا؟ قال: هو ما ترى. ثم جاءني آخر بمثلها وآخر حتى كبسوا الدار، ثم جاءني أحمد بن إسحاق بجميع ما كان معه. فتعجبت وبقيت متفكراً فوردت عليّ رقعة الرجل: إذا مضى من النهار كذا وكذا فاحمل ما معك، فرحلت وحملت ما معي، وفي الطريق صعلوك يقطع الطريق في ستين رجلاً، فاجتزت عليه وسلمني الله منه، فوافيت العسكر ونزلت، فوردت عليّ رقعة أن احمل ما معك. فصبته في صنان الحمالين. فلما بلغت الدهليز فإذا فيه أسود قائم فقال: أنت الحسن بن النضر؟ فقلت: نعم، قال: أدخل، فدخلت الدار ودخلت بيتاً وفرغت صنان الحمالين، وإذا في زاوية البيت خبز كثير، فأعطى كل واحد من الحمالين رغيفين وأخرجوا، وإذا بيت عليه ستر، فنوديت منه يا حسن بن النضر: أحمد الله على ما منّ به عليك ولا تشكّن، فودّ الشيطان أنك شككت، وأخرج إليّ ثوبين وقيل لي: خذهما فتحتاخ إليهما. قال سعد: فانصرف الحسن بن النضر، ومات في شهر رمضان، وكفّن في الثوبين^(٣٢).

والرواية صحيحة السند فعلي بن محمد الذي يروي عنه الكليني ثقة، وأمّا سعد بن عبد الله الأشعري القمي فكان وجه الشيعة ومن أجلّتهم، والحسن بن النضر من أجلّة إخواننا كما عبّر عنه علماء الرجال.

روى الشيخ الطوسي في غيبته عن الكليني عن علي بن محمد قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش والحائر. فلمّا كان بعد أشهر دعا الوزير الباطني فقال له: الق بني الفرات والبرسيين وقل لهم: لا تزوروا مقابر قريش، فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه^(٣٣).

والظاهر أن زيارة مقابر قريش أريد بها زيارة الكاظمين عليه السلام.

والرواية صحيحة أيضاً.

وفي غيبة الطوسي أخبرني الحسين بن عبيد الله (الغضائري) عن أبي الحسن



محمد بن أحمد بن داوود القمي عن أبي علي بن همام قال: أنفذ محمد بن علي السلمغاني العزاكري إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أن يباهله وقال: أنا صاحب الرجل وقد أمرت بإظهار العلم، وقد أظهرته باطناً وظاهراً فباهلني، فأنفذ إليه الشيخ في جواب ذلك: أينما تقدم صاحبه فهو المخصوص، فتقدم العزاكري فقتل وصُلب، وأخذ معه ابن أبي عون، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة^(٣٤).

والرواية صحيحة السند، والمباهلة لإثبات من هو وكيل الناحية.

وروى الصدوق في كمال الدين عن أبيه عن سعد عن محمد بن صالح (بن محمد الهمداني الدهقان) قال: كتبت أسأل الدعاء لـ (باداشاله) وقد حبسه ابن عبد العزيز وأستأذن في جارية أستولدها فخرج: «استولدها ويفعل الله ما يشاء، والمحبوس يخلصه الله»، فاستولدت الجارية فولدت فماتت، وخلي عن المحبوس يوم خرج إلى التوقيع^(٣٥).

والرواية صحيحة ظاهراً لأن والد الصدوق علم في الوثاقة والتقوى، وسعد يراد به بن عبد الله الأشعري القمي، ومحمد بن صالح وكيل كان من أصحاب العسكري عليه السلام.

وهل تراه كان ينتظر توقيعاً من شخص غير الإمام عليه السلام؟

الطائفة الرابعة: النص على أسماء الأئمة

لقد وردت جملة من الروايات التي ذكر فيها أسماء الأئمة عليهم السلام وأن الإمام الحجة عليه السلام هو ابن العسكري عليه السلام.

منها: ما رواه الكليني عن عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام قَالَ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ مُتَكِيٌّ عَلَى يَدِ سَلْمَانَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَجَلَسَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَاللِّبَاسِ فَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ



الْمُؤْمِنِينَ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسَأَلُكَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهِنَّ عَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ رَكِبُوا مِنْ أَمْرِكَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى عَلِمْتُ أَنَّكَ وَهُمْ شَرُّ سَوَاءٍ فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّجُلِ إِذَا نَامَ أَيْنَ تَذْهَبُ رُوحُهُ وَعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يَذْكُرُ وَيَنْسَى وَعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يُشَبِّهُ وَلَدُهُ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَجِبْنِي قَالَ فَأَجَابَهُ الْحَسَنُ عليه السلام فَقَالَ الرَّجُلُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِذَلِكَ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ وَأَشَارَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا وَأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّهُ وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ وَأَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام وَأَشْهَدُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَصِيَّ أَخِيهِ وَالْقَائِمُ بِحُجَّتِهِ بَعْدَهُ وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْحُسَيْنِ بَعْدَهُ وَأَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَأَشْهَدُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ وَأَشْهَدُ عَلَى مُوسَى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى أَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُوسَى وَأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَنَّهُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَشْهَدُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ الْحَسَنِ لَا يُكْنَى وَلَا يُسَمَّى حَتَّى يَظْهَرَ أَمْرُهُ فَيَمْلَأَهَا عَدْلًا كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ قَامَ فَمَضَى فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ اتَّبِعْهُ فَانْظُرْ أَيْنَ يَقْصِدُ فَخَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام فَقَالَ مَا كَانَ إِلَّا أَنْ وَضَعَ رِجْلَهُ خَارِجًا مِنَ الْمَسْجِدِ فَمَا دَرَيْتُ أَيْنَ أَخَذَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ فَارْجَعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَأَعْلَمْتُهُ فَقَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَتَعْرِفُهُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ قَالَ هُوَ الْخَضِرُ عليه السلام (٣٦).



والرواية صحيحة السند، فمن ضمن عدة الكافي عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، علي بن إبراهيم الثقة الجليل صاحب تفسير القمي، وأحمد بن محمد البرقي ثقة بلا شك وإن أشكل عليه أنه يكثر من النقل عن الضعفاء لكن ذلك لا يחדش وثاقته، وأمّا داوود بن القاسم الجعفري، فهو داوود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان ثقة جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام شهد أبا جعفر وأبا الحسن وأبا محمد عليهم السلام. فسندها قصير، والطبقات الثلاث فيها اتّسموا بجلالة القدر فضلاً عن الوثاقة.

وقال الكليني: حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبي هاشم مثله، وهذا يعني أن هناك طريقاً تاماً آخر للبرقي في عرض العدة، فمحمد بن يحيى الذي يروي عنه الكليني هو العطار وهو ثقة، والصفار أيضاً ثقة جليل. وأحمد بن أبي عبد الله هو البرقي. ولكن في ذيل هذا النقل الثاني زيادة وهي: قال محمد بن يحيى: فقلت لمحمد بن الحسن: يا أبا جعفر وددت أن هذا الخبر جاء من غير جهة أحمد بن أبي عبد الله، قال: فقال: لقد حدثني قبل الحيرة بعشر سنين. وفي ذلك شهادة أخرى على صدق الحديث لأنه خبر صدّقه الواقع بعد مدة، إذ ولد للحسن عليه السلام وغاب كما جاء في الخبر.

ومنها: ما رواه الكليني عن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ظَرِيفٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ أَبِي جَابِرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَمَتَى يَخْفُ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوبَكَ فَأَسْأَلَكَ عَنْهَا فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ أَيَّ الْأَوْقَاتِ أَحَبَّتَهُ فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَقَالَ لَهُ يَا جَابِرُ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ عليها السلام



بُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَخْبَرْتِكَ بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ فَقَالَ جَابِرٌ أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَنَيْتُهَا بِوِلَادَةِ الْحُسَيْنِ وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحًا أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمُرٍ وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَابًا أَبْيَضَ شَبَهُ لَوْنَ الشَّمْسِ فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا هَذَا اللَّوْحُ فَقَالَتْ هَذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ رَسُولِهِ ﷺ فِيهِ اسْمُ أَبِي وَاسْمُ بَعْلِي وَاسْمُ ابْنِي وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وَلَدِي وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُشِيرَنِي بِذَلِكَ قَالَ جَابِرٌ فَأَعْطَنِيهِ أُمُّكَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَرَأْتُهُ وَاسْتَنْسَخْتُهُ فَقَالَ لَهُ أَبِي فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ قَالَ نَعَمْ فَمَشَى مَعَهُ أَبِي إِلَى مَنْزِلِ جَابِرٍ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رَقٍّ فَقَالَ يَا جَابِرُ انْظُرْ فِي كِتَابِكَ لِأَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَةِ فَقَرَأَهُ أَبِي فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفًا فَقَالَ جَابِرٌ فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبًا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِحَمْدِ نَبِيِّهِ وَنُورِهِ وَسَفِيرِهِ وَحِجَابِهِ وَدَلِيلِهِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَظَّمَ يَا مُحَمَّدُ أَسْمَائِي وَاشْكُرْ نِعْمَائِي وَلَا تَجْحَدْ إِلَّا إِلَهِي إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ وَمُدْبِلُ الْمَظْلُومِينَ وَدَيَّانُ الدِّينِ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَمَنْ رَجَا غَيْرَ فَضْلِي أَوْ خَافَ غَيْرَ عَذْلِي عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَأْيَا فَاعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا فَأَكْمَلْتُ أَيَّامَهُ وَانْقَضَتْ مُدَّتُهُ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ وَصِيًّا وَإِنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَّلْتُ وَصِيَّكَ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ وَأَكْرَمْتُكَ بِشَبْلِيكَ وَسَبْطِيكَ حَسَنَ وَحُسَيْنَ فَجَعَلْتُ حَسَنًا مَعْدِنَ عِلْمِي بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَيَّامِهِ وَجَعَلْتُ حُسَيْنًا خَازِنَ وَحْيِي وَأَكْرَمْتُهُ بِالشَّهَادَةِ وَخَتَمْتُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ وَأَرْفَعُ الشُّهَدَاءَ دَرَجَةً جَعَلْتُ كَلِمَتِي التَّامَّةَ مَعَهُ وَحُجَّتِي الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ بِعِزَّتِهِ أَثِيبُ وَأُعَاقِبُ أَوْهُمْ عَلَيَّ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ وَزَيْنُ أَوْلِيَائِي الْمَاضِينَ وَابْنُهُ شَبَهُ جَدِّهِ الْمُحْمُودُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ عِلْمِي وَالْمَعْدِنُ لِحُكْمَتِي سَيِّهْلُكَ الْمُتَابُونَ فِي جَعْفَرٍ الرَّادُّ



عَلَيْهِ كَالرَّادِّ عَلَيَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَكْرِمَنَّ مَثْوَى جَفَعَرٍ وَلَا سَرَّنَهُ فِي أَشْيَاعِهِ
وَأَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ أُتِيحَتْ بَعْدَهُ مُوسَى فِتْنَةً عَمِيَاءَ حِنْدِسٍ لِأَنَّ خَيْطَ فَرْضِي
لَا يَنْقَطِعُ وَحُجَّتِي لَا تَخْفَى وَأَنَّ أَوْلِيَائِي يُسْقَوْنَ بِالْكَأْسِ الْأَوْفَى مَنْ جَحَدَ
وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ جَحَدَ نِعْمَتِي وَمَنْ غَيَّرَ آيَةً مِنْ كِتَابِي فَقَدْ افْتَرَى عَلَيَّ وَيْلٌ
لِلْمُفْتَرِينَ الْجَا حِدِينَ عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ مُوسَى عَبْدِي وَحَبِيبِي وَخَيْرَتِي فِي عَلَيٍّ
وَلِيِّي وَنَاصِرِي وَمَنْ أَضْعُ عَلَيْهِ أَعْبَاءَ النُّبُوَّةِ وَامْتَحَنَهُ بِالْإِضْطِلَاعِ بِهَا يَقْتُلُهُ
عَفْرِيَتْ مُسْتَكْبِرٌ يُدْفَنُ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِلَى جَنْبِ شَرِّ خَلْقِي
حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَسَرَّنَهُ بِمُحَمَّدٍ ابْنِهِ وَخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَوَارِثِ عِلْمِهِ فَهُوَ
مَعْدُنُ عِلْمِي وَمَوْضِعُ سِرِّي وَحُجَّتِي عَلَى خَلْقِي لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهِ إِلَّا جَعَلْتُ
الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ وَشَفَعْتُهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ وَأَخْتَمُ
بِالسَّعَادَةِ لِابْنِهِ عَلَيٍّ وَلِيِّي وَنَاصِرِي وَالشَّاهِدِ فِي خَلْقِي وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي
أُخْرِجُ مِنْهُ الدَّاعِيَ إِلَى سَبِيلِي وَالْحَازِنَ لِعِلْمِي الْحَسَنَ وَأَكْمِلُ ذَلِكَ بِابْنِهِ م ح م
دَرْحَةً لِلْعَالَمِينَ عَلَيْهِ كَمَالُ مُوسَى وَبِهَاءُ عِيسَى وَصَبْرُ أَيُّوبَ فَيَذُلُّ أَوْلِيَائِي فِي
زَمَانِهِ وَتَتَهَادَى رُءُوسُهُمْ كَمَا تَتَهَادَى رُءُوسُ التُّرْكِ وَالذِّلْمِ فَيَقْتُلُونَ وَيُحْرَقُونَ
وَيَكُونُونَ خَائِفِينَ مَرْعُوبِينَ وَجِلِينَ تُصْبَغُ الْأَرْضُ بِدِمَائِهِمْ وَيَقْشَوُ الْوَيْلَ وَالرَّثَّةَ
فِي نِسَائِهِمْ أَوْلَيْكَ أَوْلِيَائِي حَقًّا بِهِمْ أَدْفَعُ كُلَّ فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ حِنْدِسٍ وَبِهِمْ أَكْشَفُ
الزَّلَازِلَ وَأَدْفَعُ الْأَصَارَ وَالْأَغْلَالَ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَالِمٍ قَالَ أَبُو بَصِيرٍ لَوْ لَمْ تَسْمَعْ فِي
دَهْرِكَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ لَكَفَاكَ فَضْنُهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ^(٣٧).

والرواية لا مشكلة في سندها إلا ما في بكر بن صالح، لكن ضعفه لا يمنع من الاستدلال بالرواية فإنها تامة السند فيمن روى عنه، وأمّا بالنسبة لبكر فقد ورد في أسانيد كامل الزيارة، فعلى المبنى القائل بتوثيق كل ما ورد في أسانيده يمكن الالتزام بوثاقته، لكن ذلك غير تام، لأن نفس المبنى غير



تام أولاً، ولأنه قد نصّ على تضعيفه حيث إنه ليس ببعيد أن يراد منه بكر بن صالح الرازي كما ذكر السيد الخوئي في معجم رجاله^(٣٨). وقد ضعّفه النجاشي^(٣٩).

وأما كيفية دفع منافاة ضعف الراوي مع الاستدلال بالرواية، فإن الرواية قد نقلها بكر في زمان الرضا عليه السلام أو في زمان أبيه عليه السلام إذ عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الرضا عليه السلام وعدّه النجاشي من أصحاب أبي الحسن موسى عليه السلام. وهذا يعني أنه نصّ على أسماء الأئمة ممن لم يولدوا بعد، فإذا لم يكن الرجل موضع اعتماد في بقية اخباراته، فهذا الخبر كان الواقع قد أثبت صحّته حيث ولد الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام بعد هذا الإخبار وطبقاً لما أخبر. مما يعني أن الخبر لم يكن من عنده جزمًا ولا من جهة قد افترت على الله كذباً في ذلك. ودلالة الخبر تامّة على أن الإمام محمد عليه السلام ابن للإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وقد روي هذا المضمون من قصة جابر وحديث الصحيفة التي فيها نصّ على أسماء الأئمة عليهم السلام بالفاظ أخرى و ببعض التفاصيل المختلفة برواية أبي نضرة في كمال الدين وعيون أخبار الرضا عليه السلام^(٤٠).

ورواها جابر بن يزيد الجعفي لكنها مختصرة جداً إذ فيها:

دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أمها لوح يكاد ضوؤه يغشى الأبصار فيه اثنا عشر اسماً... قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً - في ثلاثة مواضع - وعلياً علياً علياً علياً - في أربعة مواضع - . وهناك روايات أخرى تركناها للاختصار.

الطائفة الخامسة: نصّ آبائه عليهم السلام على أنه عليه السلام ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام

ومما يمكن أن يستدلّ به على أنه عليه السلام قد ولد، جملةً من الروايات التي نصّت على أنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. حيث إنّه لما توفي فلا بد أن يكون قد ولد عليه السلام في حياته أو بعدها بقليل، وإلا كيف يقال بنسبته إلى أبيه

ويرحل والده عن الدنيا وتمر سنين قبل أن يولد؟ ومن هذه الروايات: ما روي عن الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن المفضل بن عمر قال: دخلت على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا سيدي، لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك، فقال لي: «يا مفضل الإمام من بعدي ابني موسى والخلف المأمول المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى» ^(٤١).

وعن الصادق عليه السلام: «الخامس من ولد السابع» وهي رواية ابن أبي يعفور ^(٤٢). وعن الصادق عليه السلام: «السادس من ولدي والثاني عشر من الأئمة الهداة» وهي رواية الحميري ^(٤٣).

وعنه عليه السلام: «الخامس من ولد ابني موسى ذلك ابن سيدة الإمام» ^(٤٤). وعن الكاظم عليه السلام: «إذا فُقد الخامس من ولد السابع» وهي رواية علي بن جعفر ^(٤٥).

وعن محمد بن علي عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سليمان عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: الإمام من بعدي ابني علي أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي. والإمام بعده ابنه الحسن أمره أمر أبيه وقوله قول أبيه وطاعته طاعة أبيه. ثم سكت فقلت له: يا بن رسول الله فمن الإمام من بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر... الخبر ^(٤٦). وفي كمال الدين، أبي وابن الوليد عن سعد عن محمد بن أحمد العلوي عن أبي هاشم الجعفري قال سمعت أبا الحسن صاحب العسكر عليه السلام يقول: الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه. قلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجة من آل محمد عليهم السلام ^(٤٧).



كمال الدين، محمد بن علي بن بشار عن المظفر بن أحمد عن الأسدي عن البرمكي عن الحسن بن محمد عن محمد بن صالح البزاز قال: سمعت الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: إنَّ ابني هو القائم من بعدي وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام بالتعمير والغيبة حتى تقسو قلوب لطول الأمد، ولا يثبت على القول به إلا من كتب الله عز وجل في قلبه الإيمان وأيده بروح منه ^(٤٨).

الطائفة السادسة: إن الأرض لا تخلو من حجة

تعددت الروايات التي نصّت على أن الأرض لا تخلو من حجة لله تعالى. وبما أنه بعد رحيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام لا نعرف حجة غير الإمام الثاني عشر عليه السلام، فهي دالة على أنه كان موجوداً بعد رحيل والده عليه السلام. ومن هذه الروايات:

ما رواه الكليني عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن أبي عمير عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال: لا. قلت: يكون إمامان؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت ^(٤٩).

والرواية صحيحة السند، وقال المجلسي في مرآة العقول إنها حسنة.

وما رواه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن منصور بن يونس وسعدان بن مسلم عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «**إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم وإن نقصوا شيئاً رده لهم**» ^(٥٠).

والرواية معتبرة، وإبراهيم بن هاشم يوجب وصفها بالحسن، وإسحاق بن عمار يجعلها موثقة.

وقد جمع الكليني في الكافي في هذا الباب (١٣) رواية، والرواية الخامسة منها وإن كانت صحيحة السند لكن دلالتها غير واضحة، لكن الأمر إذا كان مرتبطاً بحساب الاحتمال فهي نافعة في محل كلامنا.

وإنما قلنا إنها غير واضحة الدلالة لأن متنها هو: (إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل).

فلفظ (عالم) أعم من الإمام عليه السلام، لكن يمكن تجاوز هذا الإشكال الدلالي من خلال قرينتين: الأولى: إن العالم يستعمل كثيراً في الإمام، والثانية: التعليل بأنه (لولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل) الذي يعني أن العالم المذكور يعرف الحق من الباطل، وهو على الإطلاق لا يتحقق إلا بالإمام المعصوم عليه السلام.

والقرينة الأولى قابلة للمناقشة لأن كثرة استعمال اللفظ في معنى لا تستوجب ظهوره فيه إذا ورد بغير قرينة، إلا إذا استوجب ذلك الوضع التعيني، أي أن يصبح المعنى المستعمل فيه اللفظ معنى حقيقياً له، هذا أولاً، وثانياً: إذا هجر استعماله في المعنى الأول فيصبح كالمنقول، أو من المنقول الذي وضع لمعنى جديد وترك الاستعمال فيما وضع له أولاً.

نعم هذه القرينة تنفع في نفي البعد عن إرادة الإمام المعصوم من لفظ العالم فيما إذا توفرت قرينة ودلالة على أن المراد هو الإمام عليه السلام.

وقد ورد في بعضها أنها لا تخلو من إمام. وهي في المجموع تامة الدلالة. نعم بعضها ضعيف السند. لكن الذي يبحث عن التواتر لا يمنعه ضعف السند. نعم ضعف السند يجعل عدد الروايات التي لا بد من توفرها أكبر. ومن تلك الروايات ما دل على أنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.

وقد ذكر الكليني خمس روايات تحت هذا العنوان، وهي وإن كانت غير ناهضة لضعفها السندي إلا أنها نافعة في تجميع القرائن الاحتمالية. والرواية الأولى والثانية والرابعة ضعيفة السند والثالثة مرسلة والخامسة مجهولة.

وكان متن الأولى: «لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة».

والثانية: «لو بقي اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه».



وفي الثالثة: «لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام» وقال: «إن آخر من يموت الإمام لثلاثا يحتاج أحد على الله ﷻ أنه تركه بغير حجة لله عليه».

وقريب من الأولى والثانية متن الرابعة والخامسة.

الطائفة السابعة: ما دل على ضرورة معرفة إمام الزمان ﷺ

هناك العديد من الروايات التي دلت على ضرورة معرفة إمام الزمان، وهذا يستدعي وجوده. ونحن لا نعرف أحداً سواه منذ رحيل الحسن العسكري عليه السلام. ومن هذه الروايات: صحيحة زرارة، فقد روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلق؟ فقال عليه السلام: «إن الله ﷻ بعث محمداً ﷺ إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة الله على جميع خلقه في أرضه، فمن آمن بالله وبمحمد رسول الله وأتبعه وصدقه فإن معرفة الإمام منا واجبة عليه، ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعه ولم يصدقه ويعرف حقهما فكيف يجب عليه معرفة الإمام وهو لا يؤمن بالله ورسوله ويعرف حقهما؟» قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما أنزل الله يجب على أولئك حق معرفتكم؟ قال عليه السلام: «نعم أليس هؤلاء يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: أتري أن الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشيطان، لا والله ما ألهم المؤمنين حقنا إلا الله ﷻ» (٥١).

ومنها صحيحة محمد بن مسلم:

الكليني عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كل من دان الله ﷻ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير مقبول، وهو ضال متحير، والله شائن لأعماله، ومثله كمثّل شاة ضلّت عن



راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلما جنَّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها، فحنَّت إليها واغترت بها، فباتت معها في مربضها، فلما أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيرة تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنَّت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي، الحقِّي براعيك وقطيعك فأنت تائهة متحيرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذعرة متحيرة تائهة، لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فبينما هي كذلك إذ اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها، وكذلك والله يا محمد من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ﷻ ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق... الخبر» (٥٢).

وهذه الرواية وإن أمكن التشكيك في إمكان الاستناد إليها من جهة أنها مثَّلت للذي لا يعرف إمامه، بالشاة التائهة التي يتربص الذئب بها، والمؤمن في زمن الغيبة هذا حاله لأنه لا يتمكن من الوصول إلى إمامه. وقد يجعل ذلك قرينة على إرادة خصوص زمن الحضور حيث يمكن التواصل مع الإمام ﷺ، إلا أن الرواية لا تخلو من دلالة احتمالية وبمستوى جيد عن ضرورة وجود إمام في كل زمان.

وقد نقل الكليني في هذا الباب (٥٣) (١٤) رواية بعضها لا دلالة لها على المدعى كالرواية الأخيرة، وهي ما رواه بسند ضعيف فيه معلى بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله، ألا أخبرك بقول الله ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩-٩٠] قال: بلى يا أمير المؤمنين جعلت فداك، فقال عليه السلام: الحسنه معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت» (٥٤).



ولا دلالة فيها على وجود الإمام الثاني عشر المستقبلي.

والرواية التاسعة كذلك.

والرواية الثامنة كذلك لأنه ورد فيها: «من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ﷺ ظاهراً عادلاً أصبح ضالاً تائهاً...» وقد قيد الإمام بصفة (الظاهر) وهذا ما لا ينطبق على الإمام الثاني عشر في زمن الغيبة. والرواية السابعة إذ جاء فيها: «أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب فجعل لكل شيء سبباً وجعل لكل سبب شرحاً وجعل لكل شرح علماً وجعل لكل علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله ذاك رسول الله ﷺ ونحن»^(٥٥).

ولا دلالة فيها مضافاً إلى أنها مرسلة.

والسادسة أيضاً لم يأت فيها إلا الأمر باتباع الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام. والإشارة إلى وصل طاعة ولي الأمر بطاعة الرسول.

بل والأولى وفيها جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: «تصديق الله ﷻ وتصديق رسوله ﷺ وموالاته علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى والبراءة إلى الله ﷻ من عدوهم، هكذا يعرف الله ﷻ»^(٥٦).

والخامسة: لم تتحدث إلا عن الأئمة الخمسة الأوائل.

الطائفة الثامنة: ما نص على غيبته سنة (٢٦٠ هـ)

روى الصدوق عن أبيه وابن الوليد عن سعد والحميري معاً عن أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد عن الحسين بن الربيع عن محمد بن إسحاق عن أسد بن ثعلبة عن أم هانئ قالت: لقيت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فسألته عن هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [الجوار الكنس] [التكوير: ١٥-١٦]، فقال عليه السلام: «إمام يخنس في زمانه عند انقضاء من علمه سنة ستين ومائتين، ثم يبدو كالشهاب الوقاد في ظلمة الليل، فإن أدركت ذلك قررت عيناك»^(٥٧).



ولا شك في وثاقة علي بن بابويه والد الصدوق وابن الوليد، بل وجلالة قدرهما، وكذا سعد والحميري كما نص علماء الرجال على وثاقة أحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد، والحسين بن الربيع لم يوثق ولا يضر عدم توثيقه لأن الحسين بن الربيع في طبقة قبل الغيبة. ووثاقة من نقل عنه ولو بواسطة في هذه الرواية لا شك فيها، وهذا يعني أن احتمال الكذب المعتقد به لو كان فهو من الحسين بن الربيع أو من كان قبله في السند، مما يعني أن أحمد بن الحسين قد أخذ منه قبل زمان الغيبة. ونفس إخباره بهذه السنة بالدقة والتي حصلت فيها الغيبة قبل حصول الغيبة دليل على صحة إخباره ونفي احتمال الكذب والوضع منه هنا وإن لم تثبت وثاقته.

وبهذا تعتبر الرواية من الأدلة الصحيحة على غيبته عليه السلام ولازم ذلك ولادته أولاً.

وقد رويت بطريق آخر إلى محمد بن إسحاق وهو سلامة بن محمد عن أحمد بن داود عن أحمد بن الحسن عن عمران بن الحجاج عن ابن أبي نجران عن ابن أبي عمير عن محمد بن إسحاق. مع اختلاف قليل في المتن.

ورويت بطريق ثالث، فقد رواها الكليني عن علي بن محمد عن موسى بن جعفر البغدادي عن وهب بن شاذان عن الحسين بن الربيع عن محمد بن إسحاق مع زيادة «كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء».

وكلا الطريقتين فيهما ضعف. فالثالث مثلاً فيه موسى بن جعفر البغدادي ووهب بن شاذان مضافاً إلى الحسين بن الربيع ولم يرد فيهم توثيق. فهم مجاهيل. لكن الطريق الثاني يضعف كون الواضع - لو كان ثمة وضع - هو الحسين بن الربيع. وكيف فالرواية لا تختلف عن الصحيحة السند. فمثل هذا الضعف في الراوي لا يضعف مثل هذه الرواية.



الطائفة التاسعة: الإمام لا يغسّله إلا إمام من الأئمة عليه السلام

ويمكن الاستدلال بالروايات التي نصّت على أن الإمام لا يغسّله إلا إمام. وظاهرها يشمل الإمام العسكري عليه السلام فلا بد أن يكون الإمام عليه السلام موجوداً حين وفاة والده إذ لا إمام سواه.

لكن هذه الروايات ليست قطعية الدلالة مضافاً إلى أن الموجود منها في الكافي تشترك في الضعف السندي لوجود معلّى بن محمد في سندها جميعاً وهو البصري وهو مضطرب الحديث والمذهب. مضافاً إلى أن إحداها مرسلة فوق ذلك. والثانية والثالثة فيهما محمد بن جمهور الذي نص الرجاليون على ضعفه في الحديث وفساد مذهبه وقيل فيه أشياء الله أعلم بها من عظمها هكذا قالوا. مضافاً إلى ضعف في دلالة إحداها.

والروايات هي:

١- الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاع عن أحمد بن عمر الحلال أو غيره عن الرضا عليه السلام قال قلت له: إنهم يحاجونا يقولون: إن الإمام لا يغسّله إلا الإمام. قال: ما يدريهم من غسّله؟ فما قلت؟ قال: فقلت: جعلت فداك قلت لهم: إن قال إنه غسّله تحت عرش ربي فقد صدق وإن قال: غسّله في تحوم الأرض فقد صدق. قال: لا هكذا، فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم: إني غسّلته، فقلت: أقول لهم إنك غسّلته؟ فقال نعم ^(٥٨).

وظاهر كلام الإمام عليه السلام أنه أقرّ ما كانوا قد اعتقدوا به من أن الإمام لا يغسّله إلا الإمام، وكأن إشكال المستشكلين أن الإمام الكاظم عليه السلام قد توفي في السجن ببغداد ولم يكن قد حضره ولده الإمام الرضا عليه السلام، فكيف ينسجم ذلك مع ما كانوا قد بنوا عليه من أن الإمام لا يغسّله إلا الإمام؟ وإرسال هذه الرواية من جهة أن الوشاع نقل إمّا عن الحلال أو آخر غير معروف لنا فهي مرسلة.

٢- الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور قال: حدثنا أبو معمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإمام يغسله الإمام؟ قال: سُنَّة موسى بن عمران^(٥٩).

وكانه عليه السلام يشير إلى تولى وصي موسى عليه السلام عملية تغسيله وتجهيزه عليه السلام. وحين قال عليه السلام: (سُنَّة موسى بن عمران عليه السلام) فإنه أشار إلى كونها قاعدة في تجهيز الأنبياء والأئمة عليهم السلام. فتتطبق على الإمام الحسن العسكري عليه السلام فلا بد أن يكون وصيه قد جهّزه، ووصيه ليس إلا الحجة عليه السلام. وأبو معمر مجهول.

٣- عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور عن يونس عن طلحة قال: قلت للرضا عليه السلام: إن الإمام لا يغسله إلا الإمام؟ فقال: أما تدرون من حضر لغسله؟ قد حضره خير ممن غاب عنه، الذين حضروا يوسف في الحب حين غاب عنه أبواه وأهل بيته^(٦٠). وطلحة مجهول.

وفي هذه الرواية مشكلة دلالية إذ إن ظاهر الرواية أن الإمام عليه السلام دفع إشكالهم بأنه لم يحضر تغسيل والده، وأن ذلك يُشكّل نقضاً لقاعدة الإمام لا يغسله إلا إمام، فأخبرهم بأن الذي حضره هو خير ممن غاب عنه. أي إن الحاضر كان آخرين غير الإمام الرضا عليه السلام.

وعلى هذا يمكن أن يقال: إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام مثلاً قد لا يكون من حضره ولده، فلا ضرورة على وجود ابن له ليصح أنه غسّله إمام. ومثل هذه الرواية ما رواه في الاختصاص عن معاوية بن حكيم عن إبراهيم بن أبي سماء قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام إننا قد رويناه أن الإمام لا يغسله إلا الإمام، وقد بلغنا هذا الحديث فما تقول فيه؟ فكتب إليّ: إن الذي بلغك هو الحق. قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقلت له: أبوك من غسّله؟



ومن وليه؟ فقال: لعل الذين حضروه أفضل من الذين تحلفوا عنه. قلت: ومن هم؟ قال: حضروه الذين حضروا يوسف عليه السلام ملائكة الله ورحمته ^(٦١). وهذه الرواية أوضح دلالة على العدم.

ولكن هناك أخبار كثيرة دلّت على حضور الإمام الرضا عليه السلام عند تغسيل والده قال المجلسي: لعل الخبرين محمولان على التقية... إلى آخر كلامه ^(٦٢). بقيت رواية نقلها صاحب البحار عن مناقب آل أبي طالب وهي مرسلة. إذ رواها عن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: فيما أوصاني به أبي عليه السلام أن قال: يا بني إن أنا متُّ فلا يغسلني أحد غيرك فإن الإمام لا يغسله إلا إمام ^(٦٣).

ورواية أبي بصير في الخرائج والجرائح وهي مرسلة أيضاً، فقد نقلها عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما أوصى به إليّ علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: يا بني إذا أنا متُّ فلا يلي غسلي غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام بعده... الخبر ^(٦٤).

وهي مرسلة أيضاً وقد نقلها في كشف الغمة أيضاً.

وقد تبين لك أن هذه الروايات كلها ضعيفة السند لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات شيء من الفروع فكيف يستدل بها على تفصيل في الأصول؟ إلا أننا لم نذكرها لأجل الاعتماد عليها كدليل مستقل، وإنما ذكرناها كقربة احتمالية تدعم بقية القرائن حتى نصل إلى القطع أو ما هو بحكمه عقلاً. وضعف الرواية لا يعني أبداً عدم مطابقة مؤداها للواقع. بل غاية ما يقال فيها: إن طريقها لا ينهض لإثبات صدورها إلا أن ذلك لا يعني أيضاً عدم صدورها.

وبذلك يتبين لك أن الإشكال الدلالي لا يسقط هذه الروايات عن الاستفادة منها كقرائن احتمالية.

فقد قيل: إن ذلك مقيد بصورة الحضور، ولذلك استدل الصدوق -على ما



نقل عنه في البحار- بأمر الصادق عليه السلام بتغسيل ولده إسماعيل لإبطال إمامته قال لأن الإمام لا يغسله إلا إمام إذا حضره^(٦٥).

بل طرح الصدوق وجهاً آخر^(٦٦) مرده إلى أن (لا يغسله إلا إمام) جملة يراد بها الإنشاء أي إنها تنهى غير الإمام أن يتصدى لغسل الإمام السابق. فلو كان (يغسله) مرفوعاً فهي جملة خبرية في مقام الإنشاء. وهذا النبي يكون فعلياً لو وجد الإمام الآخر، فتسقط دلالتها على وجود الإمام عليه السلام بعد وفاة والده^(٦٧). وماخذ هذا الوجه رواية عن الرضا عليه السلام.

عن عيون الأخبار عن تميم القرشي عن أبيه عن محمد بن يحيى عن محمد بن خلف الطاطري عن هرثمة بن أعين قال: كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من الليل أربع ساعات، ثم أذن لي في الانصراف فانصرفت. فلما مضى من الليل نصفه قرع قارع الباب فأجابه بعض غلماني، فقال له: قل لهرثمة: أجب سيدك، قال: فقمتم مسرعاً وأخذت علي أثوابي وأسرعتُ إلى سيدي الرضا عليه السلام، فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه، فإذا أنا بسيدي عليه السلام في صحن داره جالس، فقال: يا هرثمة، فقلت: لبيك يا مولاي، فقال لي: اجلس، فجلست، فقال لي: اسمع وع يا هرثمة، هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدي وآبائي عليه السلام. وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغية على سمي في عنب ورمّان مفروك، فأما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط في العنب، وأما الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانه ويفرك الرمان بيده ليلطخ حبه في ذلك السم. وإنه سيدعوني في ذلك اليوم المقبل، ويقرب إلي الرمان والعنب ويسألني أكلهما فأكلهما، ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء، فإذا أنا متٌ فسيقول: أنا أغسله بيدي. فإذا قال ذلك، فقل له عني بينك وبينه، إنه قال: لا تتعرض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنك



إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أخرجك عنك وحل بك أليم ما تحذر، فإنه سينتهي. قال: فقلت: نعم يا سيدي. قال: فإذا خلّ بينك وبين غسلي فسيجلس في علو من أبنيته، مشرفاً على موضع غسلي لينظر، فلا تعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضربت في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها، فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه، ويكون من معك دونك ولا تكشف عن الفسطاط حتى تراني فتهلك، فإنه سيشرف عليك ويقول: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسّله إلا إمام مثله، فمن يغسّل أبا الحسن علي بن موسى وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس؟ فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسّله إلا إمام، فإذا تعدى متعد وغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى بالمدينة لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن إلا هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني فضعني على نعش واحملني... الخبر^(٦٨).

ولا تصلح هذه الرواية وجهاً لما ذكره الصدوق لأنها كانت في مقام بيان جواب للمؤمن وليست لبيان الواقع. مضافاً إلى أن نفس الرواية قالت: ولا يغسّله الآن إلا هو من حيث يخفى.

وكيف كان فالاحتمال باقٍ على حاله إذ يمكن أن يكون المراد الواقعي منها على فرض صدورها هو إخبار بواقع مؤداه أن كل إمام لا يغسّله إلا إمام آخر، وأن ذلك يشمل الإمام الحسن العسكري عليه السلام. والتشكيك الدلالي لا يلغي الاحتمال نعم يضعفه من جهة قيمته. وفائدة هذا الاحتمال وإن ازدادت كلما كبر إلا أن أصل الفائدة لا تتوقف على قوته.

الطائفة العاشرة: ما دل على أنه ما مات عالم فذهب علمه

الكليني عن العدة عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن بريد بن معاوية عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ علياً عليه السلام كان عالماً، والعلم يتوارث، ولن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه أو ما شاء الله (٦٩).

والرواية صحيحة السند.

وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة والفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة، وأنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله (٧٠).

والرواية حسنة.

وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن البرقي عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن عبد الحميد الطائي عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ العلم يتوارث، ولا يموت عالم إلا وترك من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله (٧١).

والرواية صحيحة السند. فعبد الحميد الطائي هو ابن عواض وثقه الشيخ في رجاله (٧٢)، وأمّا يحيى الحلبي فهو يحيى بن عمران بن علي بن أبي شعبة وهو ثقة ثقة صحيح الحديث (٧٣) والباقون وثاقتهم واضحة.

وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن عمر بن أبان قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يدفع وما مات عالم فذهب علمه (٧٤).

وهو حديث صحيح فعمر بن أبان يراد به الكلبي أبو حفص وهو مولى كوفي ثقة. والباقون وثاقتهم واضحة.



هذه أربع روايات معتبرة السند دلت على أنه لن يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم علمه أو ما شاء الله. وطبق العالم على علي عليه السلام في بعضها. وأما دلالتها على ضرورة وجود الإمام الحجة عليه السلام فلأنه لولا ذلك لما وجد من يرث علم العسكري عليه السلام وعلم آبائه عليهم السلام.

النتيجة:

بعد كل ما ذكرناه من الروايات وأشرنا إليه دون نصه أتظن أنه يوجد مجال للشك في التواتر على ولادته عليه السلام؟

إن عدد الروايات التي جمعها الشيخ آصف محسن في النص على ولادته عليه السلام (٣٢) رواية، اثنان منها صحيحتا السند. ومجموع ما يدخل تحت ما ذكرناه من الأبواب يتجاوز المائة بلا شك بكثير. وبعضه ليس في سنده إلا رجلاً مما يعطيه قوة احتمال أكبر مما لو تعددت طبقات سند الحديث، وبعض الأسانيد تجد فيها اثنين أو ثلاثة من أعظم الرواة وأعيان الفقهاء.

لو أردنا أن نتسامح وقلنا: إن إثبات الرواية من هذه الروايات لولادته عليه السلام أي حاصل إثباتها الملحوظ فيه احتمال صدورها وإرادة هذا المعنى منها كان بمستوى (١٠٪) في المعدل وهو أكثر بكثير في العديد منها بلا شك. فإن مائة رواية مثبتة بهذا المستوى من درجة الكشف ثبتت المطلوب بما قابل حاصل ضرب (٩٠٪) في نفسها مائة مرة.

وهذا ما يساوي تقريباً ما قابل (٥, ٢٧) من المليون، وما قابله يساوي (٥, ٩٩٩٩٧٢) من المليون. أي إن احتمال الخطأ أقل من ثلث الواحد من العشرة آلاف، هذا مع ملاحظة أن نسبة المطابقة للواقع قد أخذناها بأقل احتمال وهو العشرة بالمائة وبعضها قد يتجاوز الثمانين بالمائة.

مثل رواية الكليني عن العدة عن البرقي عن داوود بن القاسم الجعفري



في الطائفة الرابعة ومثل رواية الكليني عن علي بن محمد الذي نقل خروج النهي عن زيارة مقابر قريش.

والرواية التي نقلها الطوسي عن الغضائري عن محمد بن أحمد بن داود عن أبي علي بن همام.

ورواية الصدوق عن أبيه وابن المتوكل وابن الوليد عن الحميري قال: سألت محمد بن عثمان العمري وأنا أرى أن مثل هذا السند يوصل إلى كشف قد يتجاوز (٩٠٪).

ولنقف عند هذا الحد فإن الغاية هي التمثيل لا الاستقصاء.

ولك أن تقضي عجباً لمن يشكك في تواتر الأدلة الدالة على ولادته ﷺ.

ولا يفوتني أن أنبّه مرة أخرى أن ما ذكر وما أشير إليه أكثر بكثير من المائة، كما أني تركت استقصاء أو حتى ذكر أخبار مَنْ قيل إنه قد التقاه في غيبته الكبرى، وما أكثر هذه المفردات وإن قلّت قيمتها الاحتمالية. إن ما ذكرناه أو أشرنا إليه من الروايات كانت دلالة الأكثر منه بالدلالة الالتزامية لا المطابقة.

وبما أن بعض الأعظم لا ييني على حجية الأمارات بما في ذلك أخبار الثقات، فقد يكون ذلك منشأ لتوهم أنه لا فائدة في هذه الروايات وفق المبنى المشار إليه لإثبات ولادة الإمام ﷺ.

لكننا سبق وبينّا في أول هذا البحث أن الحاجة إلى إثبات حجية الأمارات في مداليلها الالتزامية أو في مثبتاتها كما يعبرون إنما هي في دائرة التعبّد وما يمكن أن يثبت بواسطة حجية الأمانة لا ما كان مترتباً على الأمانة من جهة الكشف. فإنه أثر تكويني لا علاقة لدليل الحجية به.

وهذا يعني أن الدلالات القطعية ولو كانت حاصلة بتراكم الاحتمال لا ربط لها بمبنى الحجية التعبدية. ومثل السيد الخوئي (رضوان الله عليه) ممن



بنى على عدم حجية الأمانة في مثبتاتها لا شك أنه لا يريد إسقاط كاشفيتها الظنية مثلاً عن المداليل الالتزامية.

وفي تراكم الاحتمال لا نحتاج إلا إلى هذه الكاشفية.

والتواتر من وسائل الإثبات الوجداني أي القطعي والذي لا يعتمد في حصوله على الحجية الشرعية بل على كشف الروايات المتواترة في موضوع معين مثلاً عن ثبوت صدور هذا اللفظ قطعاً من المعصوم - في التواتر اللفظي - أو ثبوت صدور هذا المعنى - في التواتر المعنوي - أو ثبوت صدور رواية واحدة على الأقل من الروايات المتواترة - في التواتر الإجمالي -. كل ذلك بنحو البت والجزم.

فالمبنى المزبور لا علاقة له بحصول التواتر أو عدمه.

ولا يفوتني أن أنوه إلى أن بعض القواعد المقدمة والتي قلنا لا بد من ملاحظتها لأنها تؤثر في قوة الاحتمال الحاصل منها والكاشفية قد يكون بعضها مما لم نُشر إليه في التطبيق وإنما لم نذكرها هناك للاستغناء عنها بعد هذا الكم من الروايات والتنوع فيها، وإنما ذكرتها ليلاحظها الباحث لقطع الشك في نفسه إذا شكك في حصول التواتر وترتب الجزم والقطع عليه ذلك لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكوراً.

لا منافاة بين تراكم الاحتمال والمباني في التواتر:

قد يقول قائل: إن تراكم الاحتمال كنظرية لا يرتبط بمبنى السيد الخوئي رحمته الله أو غيره في التواتر فالحديث عن أنه وفق مبنى السيد الخوئي رحمته الله لا يتحقق التواتر على ولادة الإمام عليه السلام وعلى هذا يكون الخوض في تراكم الاحتمال أجنبيّاً بالمرّة عن محل النزاع.

لكن تراكم الاحتمال لا يتنافى مع أي مبنى في التواتر إذ إنهم قد عرفوا التواتر بأنه إخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب - وإن كان في هذا التعريف نوع



مساحة- وينبغي أن يكون المقصود إخبار جماعة يمتنع مخالفة خبرهم للواقع فلا دخالة للتواطؤ كما لا دخالة للكذب فقد يكون منشأ مخالفة الواقع خطأ والاشتباه من المخبر.

ووجه عدم التنافي بين نظرية التراكم وبين أي مبنى في التواتر هو أن تراكم الاحتمال يبين لنا كيفية حصول العلم من الخبر المتواتر وهذا قابل للانطباق على كل المباني والتي اختلفت من حيث العدد المعتبر في المخبرين والذي بموجبه يحصل القطع بمطابقة خبرهم للواقع.

نعم قد ينعكس الأخذ بتراكم الاحتمال على ما هو معتبر في التواتر إذ حينها لا خصوصية للعدد وإن كانت أصل الكثرة معتبرة. بل المدار على ما يحصل به الجزم وهذا مرتبط بنوعية المخبر ونوعية القضية المخبر عنها وبمسلك الراوي فمن يخبر بقضية على خلاف متبناه يكون احتمال الصدق في خبره أكبر مما لو أخبر بقضية موافقة لمتبناه. وعلى هذا فقد يحصل التواتر بإخبار عشرة وقد لا يحصل بإخبار عشرين.

وكيف كان، فلا مجال لتوهم كون تراكم الاحتمال أجنياً عما اتخذ من مسلك في حصول التواتر. ولا فرق حينئذ بين أن تكون الدلالة مطابقة أو التزامية لأن الدليل الذي يكشف عن مدلوله المطابقي بدرجة ما يكشف بنفس الدرجة عن المدلول الالتزامي بمقتضى الملازمة. وهذا لا علاقة له أيضاً بمبحث حجية الأمارات في المداليل الالتزامية ثبوتاً وعدمياً كما تقدم.

وبعد هذا أترى مناسباً للإنصاف أن يشكك منتحل بهذا المذهب في حصول التواتر على ولادته ﷺ ولو على بعض المباني؟ ما لكم كيف تحكمون؟ ثبنت الله بالقول الثابت في الدنيا والآخرة إنه خير ناصر ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الهوامش

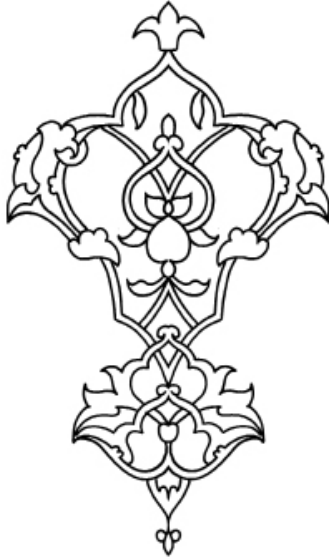
١. الغيبة، النعماني: ص ١٥٨، ب ١٠، ح ١٨. ونقل في الكافي رواية الريان بن الصلت في ذلك وهي موثقة. ورواية ابن رئاب وهي صحيحة السند نفس المصدر والصفحة.
٢. الكافي: ج ١ ص ٢٩ ح ٣.
٣. تكرر في الروايات النهي عن تسميته ﷺ وقد نقل صاحب البحار في باب النهي عن التسمية ثلاث عشرة رواية. وفي الأولى يسأل أبو خالد الكابلي الباقر ﷺ بقوله: «أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد. ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثاً به أحداً ولو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة» (غيبة النعماني: ص ٢٨٨).
٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٤٦.
٥. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧١، ب ٣٥، ح ٥.
٦. غيبة النعماني: ص ١٦٨.
٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٦٨، باب ما روي عن الكاظم ﷺ: ح ٦.
٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٧، باب ما روي عن أبي جعفر الثاني ﷺ: ح ٢.
٩. كمال الدين: ج ١، ص ٣٢٥، ما أخبر به الباقر ﷺ: ح ٢.
١٠. بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٤١.
١١. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٢.
١٢. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٣. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٤. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٥. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٦. ج ٢، ص ٤٣٣.
١٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٣٣.
١٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٢٣٤.
١٩. غيبة الطوسي: ص ٢٢٩.
٢٠. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٧٤.
١. الغيبة، النعماني: ص ١٥٨، ب ١٠، ح ١٨.
٢. الكافي: ج ١ ص ٢٩ ح ٣.
٣. تكرر في الروايات النهي عن تسميته ﷺ وقد نقل صاحب البحار في باب النهي عن التسمية ثلاث عشرة رواية. وفي الأولى يسأل أبو خالد الكابلي الباقر ﷺ بقوله: «أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد. ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثاً به أحداً ولو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة» (غيبة النعماني: ص ٢٨٨).
٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٤٦.
٥. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧١، ب ٣٥، ح ٥.
٦. غيبة النعماني: ص ١٦٨.
٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٦٨، باب ما روي عن الكاظم ﷺ: ح ٦.
٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٧، باب ما روي عن أبي جعفر الثاني ﷺ: ح ٢.
٩. كمال الدين: ج ١، ص ٣٢٥، ما أخبر به الباقر ﷺ: ح ٢.
١٠. بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٤١.
١١. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٢.
١٢. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٣. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٤. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٥. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٦. ج ٢، ص ٤٣٣.
١٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٣٣.
١٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٢٣٤.
١٩. غيبة الطوسي: ص ٢٢٩.
٢٠. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٧٤.
١. الغيبة، النعماني: ص ١٥٨، ب ١٠، ح ١٨.
٢. الكافي: ج ١ ص ٢٩ ح ٣.
٣. تكرر في الروايات النهي عن تسميته ﷺ وقد نقل صاحب البحار في باب النهي عن التسمية ثلاث عشرة رواية. وفي الأولى يسأل أبو خالد الكابلي الباقر ﷺ بقوله: «أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه فقال: سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد. ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثاً به أحداً ولو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة» (غيبة النعماني: ص ٢٨٨).
٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٤٦.
٥. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧١، ب ٣٥، ح ٥.
٦. غيبة النعماني: ص ١٦٨.
٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٦٨، باب ما روي عن الكاظم ﷺ: ح ٦.
٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٧٧، باب ما روي عن أبي جعفر الثاني ﷺ: ح ٢.
٩. كمال الدين: ج ١، ص ٣٢٥، ما أخبر به الباقر ﷺ: ح ٢.
١٠. بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٤١.
١١. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٢.
١٢. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٣. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٤. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٥. ج ٢، ص ٤٣٢.
١٦. ج ٢، ص ٤٣٣.
١٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٣٣.
١٨. كمال الدين: ج ٢، ص ٢٣٤.
١٩. غيبة الطوسي: ص ٢٢٩.
٢٠. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٧٤.



الهوامش

٢١. ج ٢، ص ٤٣١.
٢٢. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٤١.
٢٣. الحميري هو عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري أبو العباس القمي. قال العلامة فيه شيخ القميين ووجههم ثقة من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام. وقال النجاشي: إنه شيخ القميين ووجههم. وقال الشيخ كان وكيلاً للكاظم والرضا عليه السلام عظيم المنزلة لديهما وروى الكشي له مدحاً جليلاً. (خاتمة الوسائل).
٢٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٨٢.
٢٥. معجم رجال الحديث: ج ١٤.
٢٦. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٣-٢٤.
٢٧. غيبة الطوسي: ص ٢٥١، رقم ٢٢٢.
٢٨. كمال الدين وتمام النعمة: ص ٤٣، باب من شاهد القائم عليه السلام ورآه.
٢٩. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٢-٣٧.
٣٠. الخرائج والجرائح: ج ٢، ص ٦٩٧.
٣١. رجال الكشي: ٢٦١، ح ٦٤٨.
٣٢. أصول الكافي: ج ١، ص ٥١٧.
٣٣. غيبة الطوسي: ص ٢٨٤، رقم ٢٤٤.
٣٤. غيبة الطوسي: ص ٣٠٧، رقم ٢٥٨.
٣٥. كمال الدين: ج ٢، ص ٤٨٩.
٣٦. الكافي: ج ١ ص ٣٣٧ ب ١٨٣ ح ١.
٣٧. الكافي: ج ١ ص ٣٣٨ ب ١٨٣ ح ٣.
٣٨. معجم رجال الحديث: ج ٣، ص ٣٤٥.
٣٩. رجال النجاشي: في النسخة الحجرية ص ٧٩.
٤٠. كمال الدين: ١٧٨؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤ و ٢٥.
٤١. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٣٤ ح ٤.
٤٢. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٣٨.
٤٣. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٤٢.
٤٤. كمال الدين: ج ٢، ص ٣٤٥.
٤٥. علل الشرائع: ص ٢٤٤، ب ١٧٩، ح ٤.
٤٦. كفاية الأثر: ص ٢٧٩.
٤٧. كمال الدين: ج ٢، ص ٦٤٨.
٤٨. ج ٢، ص ٥٢٤، باب ما جاء في التعمير، ح ٤.
٤٩. الكافي: ج ١، ص ١٧٨.
٥٠. نفس المصدر والصفحة.
٥١. الكافي: ج ١، ص ١٨٠-١٨١.
٥٢. الكافي: ج ١، ص ١٨٣-١٨٤.
٥٣. باب معرفة الإمام عليه السلام والرد إليه.
٥٤. الكافي: ج ١، ص ١٨٥.
٥٥. الكافي: ج ١، ص ١٨٣.

٥٦. الكافي: ج ١، ص ١٨٠.
٥٧. كمال الدين: ج ١، ص ٣٤٢.
٥٨. الكافي: ج ١، ص ٣٨٤-٣٨٥.
٥٩. الكافي: ج ١، ص ٣٨٥.
٦٠. الكافي: ج ١، ص ٣٨٥.
٦١. مختصر بصائر الدرجات: ١٣.
٦٢. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٢٨٩.
٦٣. بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٢٩٠.
٦٤. الخرائج والجرائح: ص ١٩٥.
٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٤٨.
٦٦. كمال الدين وتمام النعمة: ج ١، ص ٩٩.
٦٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٠٥.
٦٨. بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٩٣-٢٩٤.
٦٩. الكافي: ج ١، ص ٢٢١-٢٢٢.
٧٠. نفس المصدر: ص ٢٢٢.
٧١. نفس المصدر والصفحة.
٧٢. معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٧٨.
٧٣. نقل ذلك في خاتمة الوسائل أحوال الرجال.
٧٤. نفس المصدر والصفحة.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

المسار الاستراتيجي^(١) للشيعة في الغيبة الكبرى

السيد محمود المقدس الغريفي

ما إن حوَّصر دار الإمام العسكري عليه السلام بسامراء وهجم الظالمون عليها بعد وفاته سنة (٢٦٠هـ)، وعرفوا أنَّ له ولداً حياً يُرزق، وكان في علمهم كما ورد عن رسول الله ﷺ أنَّ هذا المولود سيكون له الشأن العظيم والوعد الصادق، بخروجه للانتقام من الطغاة والظالمين؛ لإقامة دولة العدل الإلهية - وقد آمنوا بذلك في قرارة أنفسهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤) - حتى عزموا على التخلص منه وقتله قبل أن تنتشر أخباره بين الناس وتكثر أنصاره، ولكنهم لم يفقهوا قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥) في أنَّ نصره حتمٌ، وقيامه واقعٌ لا محالة ولو بعد حين، فاختفى عليه السلام من بين نظر الأعداء المهاجمين على الدار وخرج منها سالماً، كما خرج جده رسول الله ﷺ من بين صنديد قريش عندما اجتمعوا وقرروا قتله على فراشه بهجومهم على داره، فقرأ عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) وخرج من بينهم وقد غشي على أبصارهم.

وقد أخذ عليه السلام يتواصل مع شيعته ومواليه ما يقرب السبعين عاماً في غيبته





الصغرى، بواسطة نوابه وسفرائه الأربعة الخاصين على الترتيب، وهم الذين شهد بوثاقتهم وجلالة قدرهم الخاص والعام، والقاصي والداني، فكانوا من ذوي الفضل والعلم والإيمان، وأولي المنزلة العالية في مجتمعهم، والمكانة الرفيعة بين أقرانهم من الخاصة والعامة، حتى انقاد لهم جميع الشيعة، والتزموا بما يصدر عنهم من الناحية المقدسة، بعلمائهم وعوامهم، وأقروا لهم بالسفارة عن الإمام المهدي عليه السلام، وأذعنوا بنيابتهم عنه عليه السلام، وصدّقوهم وتابعوهم فيما يصدر من الناحية المقدسة بواسطةهم (رضي الله عنهم).

فأدّوا ما عليهم أحسن أداء، وقاموا بأمور السفارة أحسن قيام، وأتموا عمل النيابة بإخلاص وصدق، مع شدة الظروف وقساوة الحكام وكثرة عيونهم في معرفة من يتصل بالإمام عليه السلام، وقد ترخّم عليهم الإمام الحجة عليه السلام وجزّاهم عنه خيراً بما أدّوا الأمانة إلى الشيعة مصونةً محفوظةً سالمةً لم تشبها شائبة شك ولا انحراف.

وهم على الترتيب الزمني في النيابة عن الإمام المهدي عليه السلام:

- ١- عثمان بن سعيد العمري، سفارته من سنة (٢٦٠هـ) - وفاته سنة (٢٦٥هـ).
- ٢- محمد بن عثمان الخلاني، سفارته من سنة (٢٦٥هـ) - وفاته سنة (٣٠٥هـ).
- ٣- الحسين بن روح النوبختي، سفارته من سنة (٣٠٥هـ) - وفاته سنة (٣٢٦هـ).
- ٤- علي بن محمد السمری، سفارته من سنة (٣٢٦هـ) - وفاته سنة (٣٢٩هـ).

هذا، وبموت السفير الأخير انقطعت الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام، وانقطع تواصله مع شيعته ومواليه عن طريق السفراء والنواب الخاصين،



وأعلن عليه السلام قيام الغيبة الكبرى التي لا يخرج فيها إلا بعد خروج السفيناني والصيحة، كما ورد في التوقيع الأخير الذي أخرجه الشيخ السمرى قبيل وفاته بأيام من سنة (٣٢٩هـ) والذي جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ثم قال الراوي: فسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، ف قيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمرٌ هو بالغه، وقضى. فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه^(٢). وهنا يأتي التساؤل، هل أن الإمام عليه السلام ترك شيعته مُهمَلين، بلا خطة عمل، ولا طريق يسرون عليه ويستنيرون به، وتركهم سدىً تتلقفهم الأهواء والآراء، وأوكلهم إلى أنفسهم وعقولهم في إدارة شؤونهم، كل بما يراه ويقرره، والتي قد تتأثر كثيراً ببعض التجاذبات والحوادث من هنا وهناك؟

أم أنه عليه السلام وضع لهم مساراً خاصاً يكون لهم علماً هادياً، ونوراً يسترشدون به ويستضيئون بهده، حتى يأذن الله تعالى له بالخروج والقيام، وأنه لم يتركهم يخوضون غمار الأهواء والآراء دون ملجأ وثيق، ولا أنه تركهم تطحنهم المصاعب والمصائب دون حصن يحتمون به، ولا أمل يتعلقون به، ولا رؤيا لمستقبلهم يتمسكون بها؟

نعم، إن من لطف الإمام عليه السلام بشيعته، ومزيد رعايته لهم وعنايته بهم، وشدة حرصه في المحافظة على عقيدتهم وعبادتهم نقيّة خالصة، ولزوم استقامتهم على



النهج القويم، أن رسم لهم مساراً استراتيجياً لا يُحدّد بعصر ولا يُقيّد بزمان، ولا ينحصرُ بمكان، ولا بعنوان شخص ما، بل إنّ لهذا المسار القابلية على التفاعل في كل الأزمان والعصور والأماكن ومع كل الأشخاص - بشرطها وشروطها-، ويلائم كافة الظروف، ويتعايش مع المتغيرات الطارئة بدون استثناء.

ومن هنا حاولنا تسليط الضوء والتركيز على ثلاثة محاور مهمة -على نحو الاختصار- رسمها الإمام عليه السلام لشيعة في طريقة التعامل مع عصر الغيبة الكبرى، وكيفية التفاعل والتواصل معه عليه السلام، بعد أن ألغى طريقة التواصل المباشر معه على النحو السابق في الغيبة الصغرى عن طريق السفراء.

فلا يقال إن الإمام عليه السلام لا دور له في الغيبة الكبرى، وأنه أهمل شيعة تتقاذفهم الصراعات والأهواء، بل إنّ وضع استراتيجية محددة وخطة عمل بعيدة المدى، لا تشوبها شائبة ولا شبهة، ولا تعارضها أو تزاخمها استراتيجية أخرى مهما كان محل صدورها؛ لأن هذه الاستراتيجية صدرت برعاية إلهية، ومن حجة الله في الأرض.

وكانت هذه الاستراتيجية وخطة العمل الموضوعة من الإمام المهدي عليه السلام لشيعة في عصر الغيبة الكبرى تحاكي ثلاثة مسارات أو مستويات:

١- على مستوى الاتصال بالإمام المهدي عليه السلام، بنفي أي دعوى للسفارة عنه وتكذيبها.

٢- على مستوى قيادة الأمة، باللجوء إلى العلماء الأعلام الأبرار، والمراجع العظام والتمسك بهم.

٣- على مستوى الفرد، بمعرفة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام حق معرفته والإيمان بخروجه وانتظار ذلك.

المسار الأول: نفي أي دعوى للسفارة عنه عليه السلام وتكذيبها:

إنّ الإمام المهدي عليه السلام بهذا المسار المهم والتوجيه السديد قطع دابر أي دعوى



لللقاء به، وتبليغ شيء عنه ممن يدّعي ذلك، كطلاب الدنيا وأصحاب الأهواء الذين يدّعون السفارة عنه والنيابة واللقاء به، ويثّثون الإرشادات والتوجيهات المنسوبة إليه كذباً وزوراً لشييعته ومواليه عن طريق هذه الدعوى.

فأسّس عليه السلام قاعدة ثابتة قبيل وفاة السفير الأخير بأيام، كدّب فيها وأبطل كل دعوى تبثني على مشاهدته في الغيبة الكبرى واللقاء به ونقل الأوامر عنه حتى قيامه عليه السلام وظهوره العلني بأمر الله تعالى بعد الصيحة وخروج السفيناني، ونبّه شييعته إلى ذلك في توقيعه الأخير، حيث قال عليه السلام:

«... وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(٣). إذ أنّه عليه السلام حكّم على كل مدّعي المشاهدة والسفارة بأنهم كاذبون مُفترُونَ.

وهذا ما ألفناه وجداناً، وبصورة عملية، فإن كل دعاوى النيابة والسفارة على مدار القرون الماضية في الغيبة الكبرى نراها قد فشلت واضمحلت؛ لأنها لم تُحالكِ الواقع ولا العقل، وقد أخزي مدّعوها واتباعهم، ولم يبق لهم أثر ولا عين في الساحة الإسلامية، فضلاً عن الساحة الشيعية سوى الذكر السيء والكلام المشين في التاريخ، وتصنّف ضمن الدعاوى والفرق الضالة والطارئة على المجتمع الإسلامي.

بل نحن نرى إنكار هذا الأمر من الناحية التطبيقية العملية من عامة الشيعة وعلمائهم، فإنهم سرعان ما يلفظون أي مدّع للسفارة عن الإمام عليه السلام ويرفضونه ويسخرون من دعواه، ثم تكشف الأيام زيف دعواه وكذبه، ولم يتأثروا بأي دعوى من هذا القبيل على مدار القرون الماضية، إلا بعض الأغمار والسذج من بسطاء الناس ممن يسهل خداعهم أو إغرائهم.

فهذا المسار الاستراتيجي الأول أراد الإمام عليه السلام أن يحصّن شييعته من هؤلاء



الكذابين الأدعياء، ويرسم لهم خطأ ثابتاً مستقيماً لا يميل ولا يجيد عنه أحدٌ إلا ضلَّ طريق الحق، ولا ينخدعوا بدعاوى المضلين وأصحاب الأهواء، فينجروا خلفهم وينخدعوا بدعاوهم.

وهذا من أهم الحصون الحامية التي حفظت الشيعة من التمزق والتشتت، وجعلتهم أمة متماسكة على مدار القرون، رغم الضغط الشديد من الظالمين والقتل والتهديد، وما زالوا تحت نهج واحد وراية واضحة.

المسار الثاني: اللجوء إلى العلماء الاعلام والمراجع العظام والتمسك بهم: إنَّ الإمام المهدي عليه السلام يَعْلَمُ بحدوث منطقة فراغ في قيادة الأمة عند غيبته الكبرى، لاسيما بين شيعته ومواليه.

كما أنَّ موضوعات الأحكام الشرعية تتبدل وتتغير على مدار الأيام والعصور، والأحداث تتطور، والوقائع تتجدد خلالها، ومع اختلاف وتنوع الأماكن والبلدان، فلا بد من الوقوف على الواقع الفقهي من الحلال والحرام ونحوهما من الأحكام الشرعية على المكلف، وهذا مما لا يتيسر لكل أحد من الناس.

فضلاً عن تحصيل عقائد الشيعة - لاسيما لبسطاء الناس وعوامهم - من شبهات أهل الضلالة والتشكيك، بالوقوف بوجههم وردّهم بالحجة والبرهان. بيد أنَّه لا يمكن اللجوء في ذلك لكل أحد من علماء المسلمين، كعلماء العامة أو علماء الزيدية وغيرهم، بل وبعض من الشيعة من طلاب الدنيا أيضاً.

وهنا رسم الإمام المهدي عليه السلام مساراً استراتيجياً ثانياً لشيعة بعيد الأمد، لا يتقيد بزمان ولا مكان في الغيبة الكبرى - بعد أن كانت الشيعة تستنير منه عليه السلام مباشرة بواسطة سفرائه ونوابه الأربعة -، وهذا المسار هو الرجوع إلى رواة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، كما نبّه إلى ذلك، بقوله عليه السلام:



«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»^(٤).

ورواة الحديث المذكورون في الرواية هم العلماء الأعلام والمراجع العظام الذين حفظوا روايات أهل البيت عليهم السلام وتدارسوها، وعرفوا علوم آل محمد عليه السلام وفهموا كلامهم، وحملوا على عاتقهم بيان الحقائق المعرفية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وتوضيحها للناس على اختلاف العلوم وتنوعها، عقيدة ومنهجاً وسلوكاً، فكانوا ملاًذاً لحفظ عقائد الناس، ومرجعاً لحمايتهم من الانحراف.

وقد تمكّن هؤلاء العلماء الأعلام من استنباط الأحكام الشرعية في مختلف الوقائع الحادثة والمستحدثة من خلال ما أصّله أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول وعليكم أن تفرعوا»^(٥)، وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»^(٦).

فقام علماؤنا الأعلام بإرجاع هذه الفروع الحادثة إلى تلك الأصول الثابتة عنهم، ورفع العسر والخرج عن عامة الناس في أحكامهم العبادية والشرعية. ولكن ما هي صفة هؤلاء العلماء الذين أمرنا الإمام عليه السلام بالرجوع إليهم والتمسك بسيرتهم، وهل الأمر يشمل كافة العلماء، أو كلّ من ادّعى ذلك؟ أبداً، فإن والد الإمام المهدي عليه السلام قد رسم صفات هؤلاء العلماء وحدد معالمهم، حيث قال عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»^(٧). أي أن يرجعوا إليه ويتمسكوا بتوجيهاته وآرائه.

وقد حذّر عليه السلام من علماء الدنيا الذين يكون همّهم تمكّن زمام رقاب الناس بأي نحو كان، وحب الظهور وطلب الشهرة، والطمع الدنيوي، والتشكيك في عقائد الناس، دون وازع من ورع أو تقوى، فإن هؤلاء العلماء الدنيويين



الانتفاعيين - الذين هم من غير الشيعة الحقيقيين - أَضُرَّ عَلَى الشيعة من جيش يزيد بن معاوية عَلَى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

فقال عليه السلام - بعد أن ذكر صفات العلماء الأبرار الذين ترجع لهم الشيعة -:

«وذلك - أي الفقهاء الأبرار - لا يكون إِلَّا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم.

فإنَّ مَنْ ركب مِنَ القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة^(٨) فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً، ولا كرامة لهم، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك، لأنَّ الفسقة يتحملون عنا، فهم يرفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء عَلَى غير مواضعها ووجوهها؛ لقلّة معرفتهم.

وآخرين يتعمدون الكذب علينا ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إِلَى نار جهنم.

ومنهم قوم نُصاب لا يقدرُونَ عَلَى القدح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، ويتقصّون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا، التي نحن براء منها، فيقبله المسلمون المستسلمون من شيعتنا عَلَى أنه من علومنا فضلوا وأضلّوهم. وهم أَضُرَّ عَلَى ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد عَلَى الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وللمسلّوين عند الله أفضل الأحوال لما لحقهم من أعدائهم.

وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبهون بأنهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون، يُدْخِلُونَ الشكَّ والشبهة عَلَى ضعفاء شيعتنا، فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب^(٩).

ويكفيْنَا في الاطمئنان بصحة هذه الرواية ما شاهدناه وعرفناه من حال الكثيرين الذين أدعوا العلم والورع زوراً وبهتاناً في الواقع الشيعي، فخلخلوا نظام الناس وشوّشوا عَلَى معتقداتهم وسلوكهم.



كما نَلَمَسُ وجداناً حُسْنَ القيام بهذا الدور الذي أوكل إلى العلماء الأتقياء الأبرار على أرض الواقع، فقد اهتم علماءنا الأعلام بتأليف الكتب والموسوعات الكبيرة والمختصرة، العقائدية والفقهية، وإقامة الحوزات العلمية، وإرسال المبلغين لمختلف البلدان لنشر الأحكام الشرعية وتوضيح العقائد للناس، في إطار حفظ ونشر العلوم المعرفية والعقائدية والفقهية لمدرسة أهل البيت عليه السلام. وحيث إن مناط هذه الأمور هو من مسؤوليات الإمام عليه السلام وتحت إشرافه، فإنه عليه السلام أوكلها إلى بعض رعيته من العلماء الأعلام، واستناهم فيما لا يباشره بنفسه عليه السلام، من نظم أمور الشيعة في كل زمان وضبطها وإصلاحها، ورفع الشبهات عنهم، وتقوية عقائدهم، وبيان أحكامهم، ورعاية شؤونهم.

كما يجدرُ الانتباه إلى بعض العلماء الذين غرّتهم الدنيا، فأصبحوا من طلابها، وتفانوا في سبيلها، وانكبوا على زخارفها وحطامها، والذي هو سبب كل ظلمة وغشاوة، ورأس كل خطيئة ومعصية. فإن أمثال هؤلاء أبعد ما يكونون عن مراد الإمام عليه السلام وهدفه، فإن أمثالهم لا يصلحون لقيادة الأمة، ولا لإدارة شؤون الشيعة ومرجعيتها، كما لا يصلحون للتقليد؛ لأن هذه المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة برجوع الشيعة إلى أحد العلماء لا تتأتى إلا لمن أخلص لله تعالى وصدق في نواياه الظاهرة والباطنة، وأزال حب الدنيا عن قلبه وهواه، فكان أهلاً لقيادة الأمة وأخذ زمام مرجعيتها.

ومن هنا نرى أن مدرسة أهل البيت عليه السلام ما حُفِظ كيانها ولا حمي جذرانها من التصدع والخلل، ولا بقيت أركانها قائمة، وصورتها محفوظة، ورايتها مرفوعة ونابضةً بالعطاء الفكري والمعرفي -على الرغم من تنكّر الطغاة لها ومحاربتها، والطعن فيها من وعّاظ السلاطين وزبانيته من المشكّكين والمضللّين والمنحرفين على مدار القرون الماضية- إلا ببركة هؤلاء العلماء الأعلام، الورعين الأتقياء من مدرسة أهل البيت عليه السلام، ورواة حديثهم، فإنهم



كانوا وما زالوا قادة للأمة صامدين ثابتين لا تغير منهم الحوادث، ولا تميلهم الرياح العاتية، ولم تُغرهم زخارف الدنيا، وحملوا على عاتقهم الحفاظ على منهج أهل البيت عليه السلام ومعارفهم، وإبقاء صورته صافية ناصعة، ومشربه عذباً زلالاً، فكان أكبر همهم وأعلى جدهم الحفاظ على عقائد المؤمنين، ونشر علوم أهل البيت عليه السلام، والتصدي لأعداء الدين والمذهب، وحمايته من الدخلاء والجهلاء ومدّعي العلم بمختلف الأساليب والطرق.

فنبّه الإمام عليه السلام إلى أن العلماء الأعلام، الأتقياء الأبرار، هم القادة الفعليون للأمة في عصر الغيبة الكبرى، وباتباعهم تحصل النجاة من الضلال والضياع، والفتن التي تعصف بالأمة، وأن في طاعتهم طاعة له عليه السلام، حيث أمر باتباعهم والرجوع إليهم والالتزام والتمسك بهم، فإن في ذلك حفظاً للدين والعقيدة، كما قال جدُّ الإمام المهدي علي بن محمد الهادي عليه السلام:

«لَوْ لَمْ يَبْقَ بَعْدَ غَيْبَةِ قَائِمِكُمْ (قَائِمُنَا) (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مِنَ الْعُلَمَاءِ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، وَالدَّالِّينَ عَلَيْهِ، وَالذَّابِّينَ عَنْ دِينِهِ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَالْمُنْقِذِينَ لَضَعْفَاءِ عِبَادِ اللَّهِ مِنْ شِبَاكِ إِبْلِيسَ وَمُردَّتِهِ، وَمَنْ فُخَاخِ النُّوَاصِبِ، لَمَا بَقِيَ أَحَدٌ إِلَّا ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يُمْسِكُونَ أَرْزَمَةَ قُلُوبِ ضَعْفَاءِ الشَّيْعَةِ كَمَا يُمْسِكُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ سَكَّانَهَا، أَوْلَئِكَ هُمُ الْأَفْضَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ تعالى»^(١٠).

فالعلماء الأبرار هم نواب الإمام المهدي عليه السلام، وسفراؤه بالنيابة العامة بما حَمَلَهُمُ الإمام عليه السلام من المسؤولية في حفظ معالم الشريعة في غيبته الكبرى.

المسار الثالث: معرفة الإمام المنتظر عليه السلام والإيمان بخروجه وانتظار ذلك:

ورد عن رسول الله تعالى في الخبر المستفيض أنه قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١١).

بمعنى: أَنْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَهُ فَإِنَّهُ مُخَالَفٌ لِنَهْجِ الْإِسْلَامِ، وَلِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ تعالى، وَجَاحِدٌ لَكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَشَابَهُ عَمَلُهُ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ بِحُكْمِ الْكَافِرِ الْمُنْكَرِ لِلدِّينِ الْحَقِّ.



فإن من جملة الثوابت الإسلامية وأصوله - كما يدل عليها هذا الحديث الشريف ويثبتها - هي استمرارية وجود إمام العصر والزمان عليه السلام، ووجوب معرفته، والإيمان به والبيعة له والتزام طاعته، ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

وقد سُئل والد الإمام المهدي أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: «أَنْ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حِجَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وأن «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». فقال عليه السلام: «إِنْ هَذَا حَقٌّ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ».

فقيل له: يا بن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟

فقال: «ابني محمد، هو الإمام والحجة بعدي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. أَمَا إِنْ لَهُ غِيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»^(١٢).

وعن زرارة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنْ لِلْغُلَامِ غِيبة قبل أن يقوم».

قال قلت: ولم؟

قال: «يخاف»، وأوماً بيده إلى بطنه.

ثم قال: «يا زرارة وهو المنتظر، وهو الذي يُشك في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر غير أن الله تعالى يجب أن يمتحن الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون».

قال قلت: جعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان أي شيء أعمل؟

قال: «يا زرارة إذا أدركت ذلك الزمان فادع بهذا الدعاء:



اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»^(١٣).

معرفة الإمام المهدي عليه السلام والإيمان به:

والمعرفة الحقيقية للإمام عليه السلام لا تتقوّم بمعرفة اسمه ولا صفته فقط، وإن وجب تشخيص ذلك وتمييزه عن غيره، كما في مقامنا هذا وعصرنا، فهو الإمام محمد المهدي، ابن الإمام الحسن العسكري، ابن الإمام علي الهادي، ابن الإمام محمد الجواد، ابن الإمام علي الرضا، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين الشهيد، ابن الإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليها السلام، بنت رسول الله محمد ﷺ.

فإن على الإنسان -لا سيما في عصر الغيبة الكبرى- أن يعرف إمام زمانه حق معرفته، لكي يؤدي واجباته تجاهه، ولا يُقصر معه، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«معرفة الإمام الذي به يأتّم بنعته وصفته واسمه في حال العسر واليسر، وأدنى معرفة الإمام: أنه عدل النبي إلا درجة النبوة ووارثه، وأن طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله، والتسليم له في كل أمر، والرد إليه، والأخذ بقوله»^(١٤).
إن معرفة الإمام عليه السلام حق معرفته أمرٌ أوسع من هذا وأعماق، وأكبر وأهم، كما تشير الرواية: بأدنى معرفة الإمام. ومن أدنى هذه المعرفة أن طاعته طاعة لله ورسوله، وفي مخالفته والرد عليه رد عليهما ومخالفتهما، مع التسليم والانقياد التام له. وما يكون أبعد من هذا فهو في علمهم عليه السلام.

ومن ذلك أن على المؤمن أن يؤمن به ويسلم له ويطيعه على كل حال، سواء تقلد زمام الحكم أو تأخر عنه؛ لأن مقام الإمامة مقام إلهي يهبه الله تعالى



لمن اصطفاه، ولا يُنزع منه وإن لم يلي الأمر والحكم.
وقد روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام:

«مَنْ مات وليس له إمام فميته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره، تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»^(١٥).

وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١) فقال:

«يا فضيل إعرف إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرك تقدم هذا الأمر أو تأخر، وَمَنْ عَرَفَ إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة من كان قاعدًا في عسكره، لا بل بمنزلة من قعد تحت لوائه»^(١٦).
ومن بيان معرفته قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«القائم من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشأئله شأئلي، وسنته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي صلى الله عليه وآله وسلم، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذَّبني، ومن صدَّقه فقد صدَّقني، إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه، والمضللين لأمتي عن طريقته صلى الله عليه وآله وسلم وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» [الشعراء: ٢٢٧]»^(١٧).

فمن هذا، تعرف أنَّ طريق معرفة الإمام عليه السلام هو طريق معرفة الله تعالى وحدوده وأحكامه؛ لأن معرفته عليه السلام توجب التمسك بأحكام المولى؛ إذ أنَّ طاعته ملازمة لمعرفة وطاعة الله ورسوله، فإنه إذا عَرَفَ المسلم حق معرفته وجب الاقتداء به وطاعته، والالتزام بأوامره وإرشاداته وتوجيهاته، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إِنَّمَا يَعْرِفُ الله تعالى ويعبده مَنْ عَرَفَ إمامه منا أهل البيت،



وَمَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ
غَيْرَ اللَّهِ، هَكَذَا وَاللَّهُ ضَلَالًا^(١٨). أي أنهم يسلكون طريقاً خاطئاً ومنحرفاً عن
الصرط المستقيم، ويقعون في مستنقع الضلالة.

وبإنكار الإمام عليه السلام إنكار لرسول الله صلى الله عليه وآله، وَمَنْ أَنْكَرَ رَسُولَ اللَّهِ فَهُوَ خَارِجٌ
عَنِ الْمِلَّةِ وَكَافِرٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:

«مَنْ أَنْكَرَ الْقَائِمَ مِنْ وَلَدِي فَقَدْ أَنْكَرَنِي»^(١٩).

ومن جواب له عليه السلام: «أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ أَرْشَدُكَ اللَّهُ وَثَبَّتَكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكَرِينَ
لِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا وَبَنِي عَمِنَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ تعالى وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَمَنْ
أَنْكَرَنِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ ابْنِ نُوحٍ عليه السلام»^(٢٠).

فمعرفة إمام العصر عليه السلام من الضروريات الثابتة لدين المسلم، وأن الأرض لا
تخلو من حجة وإمام، إمّا إماماً ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، وإلاّ ساخت
الأرض بأهلها، كما ورد عنهم عليهم السلام^(٢١).

إِنَّ اللَّهَ تعالى لَا يَتْرِكُ عِبَادَهُ مُهْمَلِينَ، دُونَ عِلْمٍ مَرشِدٍ، وَلَا حُجَّةٍ هَادِيَةٍ، وَلَا نُورٍ
يَسْتَضِيئونَ بِهِ، وَإِنْ وَجَّهَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْإِمَامِ عليه السلام فِي غَيْبِهِ كَالْإِنْتِفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا
غَيَّبَهَا عَنِ الْأَبْصَارِ السَّحَابُ، وَأَنَّ الْإِمَامَ عليه السلام أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، كَمَا النُّجُومُ
أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فِيمَا رَوَى عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَعَنْهُ عليه السلام^(٢٢).

وفيمَا يُروى عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ:

«إِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لَذِكْرِكُمْ...»^(٢٣).

فمن كمال لطفه وعنايته، أَنَّهُ يُحِيطُنَا بِرَعَايَتِهِ، وَنَسْتَضِيءُ بِنُورِهِ، وَإِنْ لَمْ نَكُنْ
عارفين بتلك الطُّرُق والمَسَالِكِ.

التواصل بين الإمام المهدي عليه السلام وشيعته:

وعليه، فلا بد من بقاء الصلة والرابطة، والمحافظة عليها بيننا وبين الإمام
المهدي عليه السلام، وتواصلها بمختلف العناوين تذكيراً وسلوكاً، فإنه مما يستحب



للمؤمن أن يجدد البيعة له في كل صباح تذكيراً للنفس وتأكيداً عليها، كما ورد في دعاء العهد:

«اللهم إني أجدد له في صبيحة هذا اليوم، وما عشت به في أيامي، عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها ولا أزول، اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه، الذابين عنه، المسارعين في حوائجه، الممثلين لأوامره، المحامين عنه، المستشهدين بين يديه»^(٢٤).

كما أن الله تعالى لا يقبل من المسلم صلاة ولا صياماً، ولا حجاً ولا زكاة، ولا فرضاً ولا جهاداً، دون معرفة الإمام عليه السلام والبيعة له؛ لأن قبول هذه الأعمال منوط بالإيمان به عليه السلام ومعرفته، إذ يفترض أن من لوازم معرفة الإمام عليه السلام أن يتولد عند الإنسان باعث نفسي في أداء الفروض الشرعية الإسلامية، وبعث عملي للتحرك نحو ذلك؛ اقتداء به عليه السلام والتمسك والسير على نهجه القويم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه»^(٢٥)، والالتزام بمساره الثابت بدعوته إلى الله تعالى وما يلازمها، والتمسك بتطبيق ما بلغ به الإمام عليه السلام وآبائه الطاهرون، من الأوامر والنواهي على أرض الواقع، والتسليم المطلق له، والبحث عن مراده فيما يجب ويكره والعمل به؛ لأنه عليه السلام ظل الله في الأرض، وأنه الطريق الأبلج والحجة الإلهية على الناس؛ وذلك بتتبع الأخبار والمرويات التي تحكي عن أقوال الإمام عليه السلام وسيرته وأحواله، وعن آبائه الطاهرين عليهم السلام، فهذا جزء من أداء حق الإمام المهدي عليه السلام.

لا أن يكون معنى الاقتداء به عليه السلام مجرد لقلقة لسان وتباهٍ بالكلام، وحكاية أماني ورغبات، خالية من أي أثر حقيقي على أرض الواقع، ولا تأثير لها في سلوك الشخص ولا مسيرته، مع الله تعالى ولا في المجتمع.

ومن أبرز توجهاته - ما بيناهُ سالفاً - من رفض كل مدّعٍ للسفارة والنيابة



الخاصة عنه، والتمسك بالعلماء الأعلام الورعين الأتقياء، الذين بهم يحفظ الدين والمذهب، ويصان الإنسان، ويُحفظ من الفتنة والضلالة، وسوء العمل والمنقلب، فطريق معرفة الإمام المهدي عليه السلام، هو طريق لمعرفة الله تعالى والالتزام بحدوده وأحكامه.

انتظار الإمام المهدي عليه السلام:

كما أن من أهم حقوق معرفة الإمام عليه السلام التي في ذمة المؤمن به شخصاً ووجوداً، هو انتظار الفرج بخروجه المحتوم والنصر على الظالمين والدعاء له بذلك.

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «أفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج»^(٢٦).

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج»^(٢٧).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَفْضَلَ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ»^(٢٨).

بل ورد أنه من أفضل الجهاد، كما قال عليه السلام: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»^(٢٩).

كما يستحب كثرة الدعاء له بالفرج، فقد روي عنه عليه السلام: «أكثرُوا الدَّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ»^(٣٠).

إن على الشيعة أن يكونوا من الثابتين الصابرين، فلا يأخذهم اليأس ولا الملل من طول الانتظار، فإن هذا الأمر لا يأتي إلا بعد يأس (يأس)، «لا والله لا يأتيكم حتى تميزوا، لا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من شقي، ويسعد من سعد»^(٣١). فهنيئاً للثابتين، فإن أفضل العبادة انتظار الفرج.

ومن رسالة الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى والد الشيخ الصدوق رحمتهما الله، منها: «وعليك بالصبر وانتظار الفرج فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل أعمال أمتي



انتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي ﷺ، أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر»^(٣٢).

وحيث إن مفهوم الانتظار من أبرز مصاديقه وأصدقها يتمثل في انتظار فرج العالم من المحرومين والمضطهدين والمستضعفين، بخروج الإمام المهدي ﷺ وإقامة دولة العدل الإلهية على الأرض.

وأما موعد ظهور الفرج، فإنه موكل إلى أمر الله تعالى، قال الإمام الباقر عليه السلام:

«كذب الوقتون، كذب الوقتون، كذب الوقتون»^(٣٣).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي نتظر، متى هو؟

فقال: «يا مهزم كذب الوقتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون لأمرنا وطاعتنا وانتظار قائمنا»^(٣٤).

هذا، وتجد من الروايات في انتظار فرج قائم آل محمد ﷺ والحث على ذلك الشيء الكثير، وقد أعد الله تعالى للمتظرين الصادقين المقام الرفيع والأجر العظيم؛ لثبات نفوسهم واطمئنانهم بخروجه ونصره على الظالمين ولو بعد حين، بما أعطاهم الله تعالى من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به غيبته ﷺ عندهم بمنزلة المشاهدة واليقين في نفوسهم، منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول:

«من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه».

قال: ثم مكث هنيئة ثم قال:

«لا بل كمن قارع معه بسيفه»، ثم قال:

«لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله ﷺ»^(٣٥).



وسأل سائل الإمام الباقر عليه السلام: أخبرني بدينك الذي تدين الله تعالى به أنت وأهل بيتك؛ لأدين الله تعالى به؟

قال عليه السلام: «إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي ندين الله تعالى به، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لولينا، والبراءة من عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع» ^(٣٦).
وعن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كل زمان؛ لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً» ^(٣٧).

وقال عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الفرج» ^(٣٨).

وغير ذلك كثير من الروايات الحاثثة على انتظار الفرج بقائم آل محمد عليهم السلام، وقد اقتصرنا على هذه الروايات روماً للاختصار.

وهذه الروايات وغيرها تؤكد وتدلل على القناعة التامة بجدارة الحل الإسلامي كمنهج عبادة وحياة لقيادة العالم، بقيادة الإمام المنتظر مهدي هذه الأمة عليه السلام، وقدرته على حلّ مشاكل هذا العالم بما تهيأ له من الظروف والإمكانات والرجال، ليفتح أبواب العدالة والسعادة للعالم أجمع.

فمعنى الانتظار هو استراتيجية إلهية وتخطيط سماوي بآلية عبادية لبناء الإنسان وتكامله، والوصول به نحو تكامل الذات والروح، مقدمة للارتقاء به نحو بذل الجهد والاجتهاد على مستوى التطبيق العملي؛ وإقامة الهدف



المنشود لإقامة دولة العدل الإلهية، بالاستعداد وتهيئة النفس، بعد الإيمان بالإمام عليه السلام ومعرفته، مما يترتب على ذلك سلوك عملي، واقعي فعلي، بل إلى كل ما يبعث في الإنسان روح المسؤولية، ويوقظ فيه روح العقل، ويفتح طاقات الإنسان الكامنة في إقامة دولة العدل الإلهي، فتكون المسؤولية أكبر والتَّهَيُّؤُ لذلك أعظم، ولا يأخذه اليأس إلى ذلك، بل لا بد أن تكون قيم الثبات والصمود والصبر والإيمان راسخة في النفس مهما طال الأمد وقست القلوب وكثُر المشككون.

وقد بنى ركنة الانتظار ومَهَّدَ لها رسولُ الله ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام، حتى أرسى عليه السلام دعائمها بعد غيبته الكبرى، كمسار استراتيجي لشيعة، لكي لا يُنسى ذكره، ولا يُهمل أثره في نفوس شيعة ومواليه.

هذا، وإنَّ هناك كثيراً من العناصر التي تُعد من مقومات الانتظار الحقيقي التي تبني روح الإنسان المؤمن، وتتكامل بها شخصيته، وتقوى صلته بإمامه وتواصله، منها:

- الاستعداد التام والتَّهَيُّؤُ العملي لانتظار الفرج صباحاً ومساءً، والجِدِّ في الانتظار وعدم التغافل، ولا يكون مجرد قلق لسان وذكر أحاديث عابرة.

- استِحبابُ كثرة الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بالفرج، فإن أعظم الفرج هو انتظار الفرج، والتصدق عنه عليه السلام.

- الصبر على الانتظار وعدم اليأس من الفرج مهما مرَّت المصاعب والأحداث، وتناولت الأيام والدهور، فعن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية»^(٣٩).

- التورُّع عن محارم الله تعالى، والتمسك بنهج أهل البيت عليهم السلام، والتزین بمحاسن الأخلاق، قال الإمام الباقر عليه السلام:



«لِيَعْنُ قُوَيْكُمْ ضَعِيفَكُمْ، وَلِيَعْطِفَ غَنِيَكُمْ عَلَى فَقِيرِكُمْ، وَلِيَنْصَحَ الرَّجُلَ أَخَاهُ كَنْصِيحَتِهِ لِنَفْسِهِ، وَاكْتُمُوا أَسْرَارَنَا، وَلَا تَحْمِلُوا النَّاسَ عَلَى أَعْنَاقِنَا، وَانْظُرُوا أَمْرَنَا وَمَا جَاءَكُمْ عَنَا، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ لِلْقُرْآنِ مُوَافِقاً فَخُذُوا بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ مُوَافِقاً فَرُدُّوهُ، وَإِنْ اشْتَبَهَ الْأَمْرُ عَلَيْكُمْ فِيهِ فَفَقُّوا عَنْهُ، وَرُدُّوهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَشْرَحَ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَا، وَإِذَا كُتِمَ كَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ، لَمْ تَعْدُوا إِلَى غَيْرِهِ، فَمَاتَ مِنْكُمْ مِيتَ قَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ قَائِمُنَا كَانُ شَهِيداً، وَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ قَائِمُنَا فَقَتْلَ مَعَهُ كَانُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ، وَمَنْ قَتَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَدُوّاً لَنَا كَانُ لَهُ أَجْرُ عَشْرِينَ شَهِيداً»^(٤٠).

- تحصيل قواعد الشيعة وتثقيفها ورعايتها بالمعرفة بما يدفع عنهم آراء المتخرصين في إلقاء الشبهات والتشكيك بالإمام المهدي عليه السلام وعقائدهم.
- التمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم والثبات على ذلك، وأن لا يكون متردداً مضطرباً شاكاً. ومن معاني التمسك بولايتهم معرفتهم بأنهم اثنا عشر إماماً وخليفة، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي القائم محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، الذي بخروجه يتم الفرج، والإيمان بعقيدة المهدي المنتظر عليه السلام وغيرها.

- أن لا يكون انتظار الإمام القائم عليه السلام انتظار الكسالى والخاملين.
- أن لا يكون انتظاره انتظار المتفرج الذي لا يهتم شيء، ولا يعنيه من الأمر إلا نفعه الشخصي الآني.
- أن لا يكون انتظاره انتظار اتكال بل أن يكون انتظار توكل واستعداد وبناء.

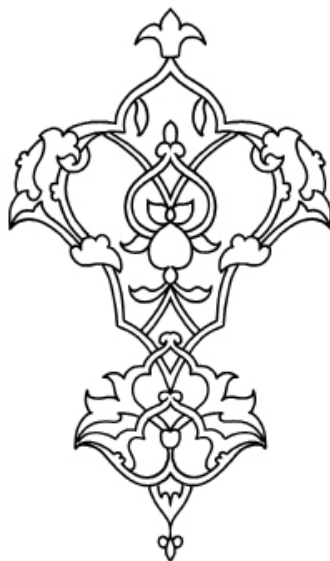
فإنَّ على أمثال هؤلاء أن يبحثوا عن ساحة بعيدة عن منهج أهل البيت عليهم السلام وليتنفعوا في حياتهم بغيرهم لا بهم عليهم السلام.



وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ اِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا اِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (هود: ١٢١-١٢٢). فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُنْتَظَرَ حَقًّا هُوَ الذي يُمَهِّدُ لِلنَّصْرِ، وَيَسْتَعِدُّ لِلْفَتْحِ مَعَ الْإِمَامِ الْقَائِمِ عجل الله فرجه، وَيَتَجَهَّزُ لَذَلِكَ الْيَوْمِ فِكْرًا وَسُلُوكًا وَعَمَلًا.

لَا أَنْ يَنْتَظِرَ انْتِظَارَ الْعَاطِلِينَ الْبَطَالِينَ؛ لِأَيَّتِهِ النَّصْرَ وَالْفَتْحَ مُنْحَةً سَمَاوِيَّةً خَالِصَةً مِنْ دُونَ ثَمَنِ وَلَا جِدٍّ وَلَا اجْتِهَادٍ؛ فَإِنَّهُ مَطْرُودٌ.

فَبِهَذِهِ الْمَسَارَاتِ الْأَسْتَرَاتِيجِيَّةِ الثَّلَاثِ، الَّتِي رَسَمَهَا الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عجل الله فرجه، حَافِظٌ عَلَىٰ كِيَانِ شِيعَتِهِ وَمَوَالِيهِ ثَابِتًا مَتَمَسِّكًا، وَجَعَلَ التَّرَابِطَ وَالتَّوَاصُلَ الرُّوحِيَّ قَائِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ بِالْخُرُوجِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.





الهوامش

١. الاستراتيجية: هي الخطط والأساليب والسياسات والمناهج المحددة مسبقاً لتحقيق أهداف معينة على المدى البعيد في ضوء الإمكانيات المتاحة، أو التي يمكن الحصول عليها. انظر الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).
٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٥١٦.
٣. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٥١٦.
٤. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٤٨٤.
٥. مستطرفات السرائر (موسوعة ابن ادریس) - ابن ادریس الحلبي - باب النوادر: ص ١٠٩.
٦. مستطرفات السرائر (موسوعة ابن ادریس) - ابن ادریس الحلبي - باب النوادر: ص ١٠٩-١١٠.
٧. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام - المنسوب له: ص ٣٠٠؛ الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٢٦٣.
٨. فقهاء السوء.
٩. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام - المنسوب له: ص ٣٠٠-٣٠١؛ الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٤.
١٠. تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام - المنسوب له: ص ٣٤٤-٣٤٥؛ الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ١، ص ٩-١٠.
١١. الوافي - الفيض الكاشاني: ج ٢ ص ١٢٠؛ جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي: ج ٢٦، ص ٥٦؛ وانظر صحيح مسلم - النيسابوري: ج ٦، ص ٢٢؛ مسند أحمد - ابن حنبل: ج ٤، ص ٩٦؛ مجمع الزوائد - الهيثمي: ج ٥، ص ٢١٨ وغيرها.
١٢. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٤٠٩.
١٣. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٣٧.
١٤. كفاية الأثر - الخزاز القمي: ص ٢٦٢-٢٦٣.
١٥. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٧١-٣٧٢.
١٦. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٧١.
١٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٤١١.
١٨. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ١٨١.
١٩. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٤١٢.
٢٠. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٤٨٤.
٢١. انظر الأمالي - الشيخ الصدوق ص ٢٥٣؛ الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٥٣٤.
٢٢. انظر الأمالي - الشيخ الصدوق: ص ٢٥٣؛ كفاية الأثر - الخزاز القمي: ص ٢٩.
٢٣. الاحتجاج - الشيخ الطبرسي: ج ٢، ص ٣٢٣.
٢٤. المزار - ابن المشهدي: ص ٦٦٤.
٢٥. نهج البلاغة - شرح محمد عبدة: ج ٣، ص ٧٠.
٢٦. تحف العقول - ابن شعبة: ص ٤٠٣.
٢٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق: ص ٣٧٧.
٢٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٦٤٤.

٢٩. تحف العقول - ابن شعبة: ص ٣٧.

٣٠. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٤٨٥.

٣١. انظر الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٧٠؛

كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٣٤٦.

٣٢. مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب: ج ٣،

ص ٥٢٧.

٣٣. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٦٨.

٣٤. الكافي - الشيخ الكليني: ج ١، ص ٣٦٨.

٣٥. المحاسن - البرقي: ج ١، ص ١٧٤.

٣٦. الكافي - الشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢١-٢٢.

٣٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٣٢٠.

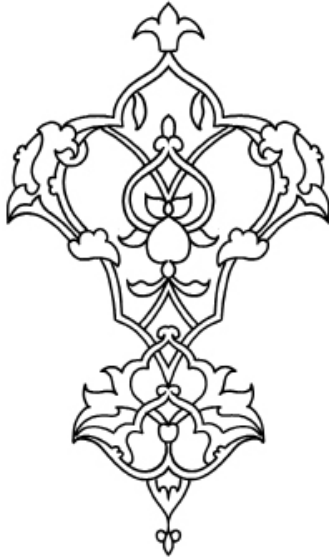
٣٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٣٢٠.

٣٩. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق:

ص ٣٥٨.

٤٠. الأمالي - الشيخ الطوسي: ص ٢٣٢.





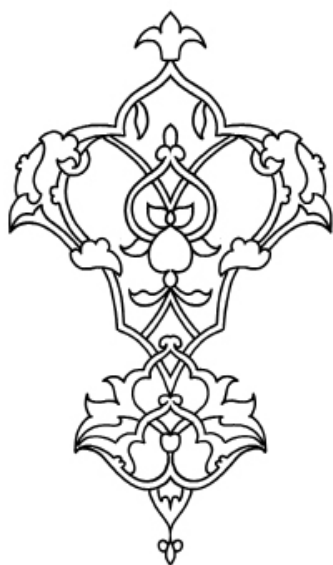
المصادر

١. القرآن الكريم كلام رب العالمين.
٢. الاحتجاج - الشيخ الطبرسي، تعليق وملاحظات السيد محمد باقر الخراسان/ ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، نشر دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.
٣. الأمالي - الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة قم، الطبعة الأولى/ ١٤١٧ نشر مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.
٤. الأمالي - الشيخ الطوسي - تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى/ ١٤١٤ هـ، نشر دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع قم المشرفة.
٥. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ - ابن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية/ ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٦. تفسير الإمام العسكري ﷺ - المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ، تحقيق مدرسة الإمام المهدي ﷺ، الطبعة الأولى محققة/ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ، المطبعة مهر - قم المقدسة، نشر مدرسة الإمام المهدي ﷺ - قم المقدسة.
٧. جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي / ١٤١٥ - ١٣٧٣ ش، مطبعة مهر قم، الناشر المؤلف.
٨. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري، نشر دار الفكر - بيروت - لبنان.
٩. الكافي - الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة/ ١٣٦٣ ش، مطبعة الحيدري نشر دار الكتب الإسلامية طهران.
١٠. كفاية الأثر - الخزاز القمي، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي/ ١٤٠١ مطبعة الخيام قم، انتشارات بيدار.
١١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري/ محرم الحرام ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٢. مجمع الزوائد - الهيثمي/ ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٣. المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد



المصادر

- البرقي/ ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش نشر دار الكتب الإسلامية طهران.
٢٠. الوافي- الفيض الكاشاني- تحقيق وتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني (العلامة) الأصفهاني، الطبعة الأولى/ أول شوال المكرم (١٤٠٦ هـ)، طباعة أفست نشاط أصفهان، نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة - أصفهان.
١٤. المزار- محمد بن جعفر المشهدي- تحقيق جواد القيومي الاصفهاني الطبعة الأولى/ رمضان المبارك ١٤١٩ هـ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، نشر القيوم - قم - إيران.
١٥. مستطرفات السرائر (موسوعة ابن إدريس الحلّي)، ابن إدريس الحلّي، تحقيق وتقديم السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان، الطبعة الأولى/ ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ م، نشر العتبة العلوية المقدسة.
١٦. مسند أحمد ابن حنبل، نشر دار صادر - بيروت لبنان.
١٧. مناقب آل أبي طالب- ابن شهر آشوب/ ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، الناشر مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.
١٨. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على شبكة الأنترنت.
١٩. نهج البلاغة- خطب الإمام علي (عليه السلام) شرح الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى/ ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، مطبعة النهضة - قم، نشر دار





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

تاريخ المرجعية ونيابتها عن الإمام عليه السلام في زمن الغيبة

الشيخ جاسم الوائلي

إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْحَقَّةِ - لَا سِيَّامَا مَعَ غِيْبَةِ وَلِيِّ الْأَمْرِ عليه السلام -
أَنْ جَعَلَ لَهَا مَوْثِقًا تَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَمَعْتَصِمًا تَعْتَصِمُ بِهِ وَتَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَهُمْ الْفُقَهَاءُ
الْجَامِعُونَ لَشَرَائِطِ الْفَتْوَى، وَالْمُتَشَرِّفُونَ بِمَقَامِ النِّيَابَةِ الْعَامَّةِ عَنْهُ عليه السلام.
وَحَيْثُ إِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْشَدٍ، فَلَمْ تَحُلْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ حَاسِدٍ وَحَقُودٍ
لَا يَفْتَأُ يَرْمِيهَا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ عَنْ قَوْسِ مَغَالِطَاتِهِ وَافْتِرَائَاتِهِ فِي حَقِّ أَوْلَئِكَ
الْفُقَهَاءِ الْعِظَامِ، لِيُوقَعَ ضِعَافُ عَوَامِّ الشَّيْعَةِ فِي شِرَاكِ أَوْهَامٍ وَإِشْكَالَاتٍ لَوْ
تَأَمَّلَهَا كُلُّ عَاقِلٍ مُنْصَفٍ لَوَجَدَهَا كُنْجَ الْعِنَاكِبِ، لَا تَصْمُدُ أَمَامَ دَلِيلٍ أَوْ
بِرْهَانٍ، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ (العنكبوت: ٤١)، وَلَوْ اطَّلَعَ
عَلَى أَصَالَةِ فِكْرَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ وَقَدَمِهَا الضَّارِبِ فِي عَمَقِ التَّارِيخِ وَوَقَفَ عَلَى
مَاهِيَّتِهَا وَحَقِيقَتِهَا لَمْ يَبْقَ لَهُ أَدْنَى غَمُوضٍ وَتَرَدُّدٍ فِيمَا يَرْمِي إِلَيْهِ الْمَشْكُوكُونَ
وَالطَّاعِنُونَ مِنْ أَهْدَافٍ، وَهِيَ أَهْدَافٌ فِي مَتْنِ الْخُبْثِ وَالْخَطُورَةِ عَلَى عَوَامِّ
النَّاسِ عَقِيدَةٌ وَفِكْرٌ وَمَنْهَجٌ وَسُلُوكٌ.

وَفِي هَذِهِ الْوَرِيقَاتِ نَحَاوِلُ تَسْلِيْطِ الضُّوْءِ عَلَى هَاتَيْنِ الْجَنْبَتَيْنِ فِي حَلَقَتَيْنِ

وَخَاتِمَةٌ:





الأولى: في تاريخ المرجعية وقدمها.

الثانية: حقيقة المرجعية ونيابة الفقيه عن المعصوم عليه السلام.

الخاتمة: في أن مرجعية الفقيه أمر غني عن الدليل النقلي.

الحلقة الأولى: في تاريخ المرجعية وقدمها

إنَّ المرجعية تاريخياً ترجع إلى صدر الإسلام، يوم عرفت الجزيرة الضاربة في البداوة ظاهرة التبليغ من قبل بعض المسلمين الأوائل، والذين كانوا النواة التي اتكأ عليها الرسول الخاتم عليه السلام في نشر تعاليم الإسلام في حياته الشريفة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢)، وفيه دلالة واضحة على أنه عليه السلام كان مأموراً بتعليم أصحابه معالم الدين وأحكام الشريعة، ليكونوا بعد أن يبعثهم إلى أطراف دولة الإسلام مراجع للمسلمين في شؤون دينهم، كما هو واضح في حال عماله الذين بعثهم إلى تلك البلدان والأطراف، وعلى رأسهم عامله على اليمن علي بن أبي طالب عليه السلام^(١)، كما يتضح ذلك أيضاً من نصب القضاة ليرجع إليهم المتخاصمون في حسم الخصومات على ضوء الكتاب والسنة، لاسيما في عصر الخلافة.

ولا يقدر في أصل الفكرة ما ارتكبه خلفاء الجور من نصبهم من لم يكن أهلاً لهذا المنصب، كما لم يقدر غضبهم للخلافة في حقانية مبدأ الإمامة. نعم، لم تكن المرجعية يوم ذاك بحاجة إلى كل هذه الدراسة وهذا التحصيل العلمي الذي هي عليه اليوم، لكن هذا لا يشكّل فارقاً في حقيقة المرجعية كما سيتبيّن لاحقاً إن شاء الله تعالى.

ومن أوضح النصوص في قدم تاريخ المرجعية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي



الدِّينَ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢)، فإنه صريح في أن التفقه في الدين قضية لا تتأتى لكل أحد، وأنه ليس للمؤمنين أن يتركوا بأجمعهم شؤونهم الحيائية ويعطلوا معاشهم الدنيوية لينفروا إلى دراسة الشريعة وتعلم أحكامها، بل إن ذلك واجب بنحو الكفاية، وذلك بأن ينفر من كل جماعة كبيرة - ﴿فِرْقَةً﴾ - جماعة صغيرة وأفراد معدودة - ﴿طَائِفَةً﴾ - لهذا الغرض، وبعد أن تتفقه كل جماعة من تلك الجماعات الصغيرة وترجع كل واحدة منها إلى بلدتها وموضع سكنها فإنها تأخذ على عاتقها إرشاد أهل تلك البلدة إلى معالم الدين وأحكام شريعة سيد المرسلين.

ولا فرق من هذه الناحية بين عود ضمير ﴿رَجَعُوا﴾ إلى الطائفة المتفقهة وبين عوده إلى القوم كما هو واضح بأدنى تأمل.

وعلى هذا جرى النبي الأكرم ﷺ في تعليم الناس بعضهم بالباشرة، وبعضهم بالواسطة، فكان إذا أراد لحكم أو قضية أن تنتشر بين المسلمين وتبلغ الغائبين منهم كما بلغت الحاضرين قال لهم: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»^(٢) أو نحو ذلك. وهذا نص آخر في الباب.

ثم أخذت المرجعية في عهد الأئمة عليهم السلام في التطور من حيث التحصيل العلمي والدقة في النظر والقدرة على الاستنباط أكثر فأكثر، بحيث تجد الفرق واضحة بين فقه صحابة النبي ﷺ وفقه أصحاب الأئمة عليهم السلام، شأنهم في ذلك شأن أصحاب الفنون والعلوم الأخرى التي لا خلاف بين عاقلين من جهة كونها في تطور دائم واتساع وارتقاء إلى مراتب لم تكن قد وصلتها في أوائل عهدها وبواكير تدوينها.

وأصدق شاهد على ذلك ما وقع في عهدي الإمامين الصادقين الباقرين عليهم السلام، إذ كان الأمر من هذه الجهة أكثر وضوحاً وأجلى صورة، حيث أخذوا عليهم السلام في تأسيس أول حوزة علمية بالمعنى المصطلح، وقد

ترَبَّى فيها العشرات بل المئات بل الألوف على يديهما في مختلف علوم الدين، ليكونوا مراجع للمسلمين في أطراف البلدان التي ليس بمقدور أهلها في العادة أن يأتوا إلى المدينة ليسألوا المعصوم ❶ عن معالم دينهم سواء في مجال العقائد أم الأحكام الشرعية في كل صغيرة أو كبيرة، ولذا كان بعضهم - كما سننقله - قد صرَّح بذلك لبعض الأئمة ❶، وأنه لا يقدر أن يلقاهم ❶ كلَّما عرضت له مسألة، وسأل الإمام ❶ ما إذا كان له أن يرجع إلى فلان من أصحابه ليأخذ معالم الدين منه، والإمام ❶ أقرَّه على ذلك.

وفي بعض النصوص ما يدلُّ صريحاً على أن المرجعية كانت موجودة إلى جنب الإمامة، فهذا أبان بن تغلب يأمره الإمام الباقر ❶ بأن يجلس في المسجد ويفتي الناس، بل أخبره ❶ بأنه يحبُّ أن يُرى في شيعته مثله، أعني مثل أبان.

وكان أبو حنيفة - فيما نقل عنه - إذا استعصت عليه مسألة واستغلقت بعث من يستفتي محمداً بن مسلم الطائفي الذي هو من أصحاب الباقرين ❶ ليأتيه بجواب المسألة منه، من دون أن يعلمه أنه من قبل أبي حنيفة، وهذا يعني أن محمداً كان متصدِّياً للفتوى في حياتهم ❶.

وهكذا ما ورد في ترجمة معاذ بن مسلم الهراء من تصدّيه للفتوى في أيام الصادق ❶، وأنه كان يفتي المسلمين كلاً حسب مذهبه، ومنهم الإمامية، وقد أقرَّه الإمام ❶ على ذلك.

وكذا ما ورد من قوله ❶ لأصحابه من أنه على الأئمة أن يلقوا لأصحابهم الأصول، وأن على الأصحاب التفريع، ومن المعلوم أن التفريع يتوقّف على وجود ملكة الاجتهاد والاستنباط ولو في بعض مراتبه المناسبة مع تلك العصور.

وصار الأمر أكثر وضوحاً في زمن الإمام الرضا ❶ حيث كانت مدرسة قم



حاضرة وعامة برجال الطائفة وفقهائها ومراجعها، أمثال أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري الذي جاء في ترجمته أنه كان الرئيس الذي يلقى السلطان، أي الفقيه الذي يلقاه سلطان ذلك الزمان كرئيسٍ للشيعة، كما نشاهد اليوم ذلك من مسؤولي الدولة بل المسؤولين الدوليين حينما يلتقون المرجعية العليا للطائفة كممثل شرعيٍّ عنها، وأنت خير بأن هذا العنوان لا ينطبق إلا على من كان مرجعاً للطائفة أو أحد مراجعها وفق مصطلحنا اليوم. ولتفصيل الكلام في إثبات قدم مرجعية الفقيه تاريخياً ومعاصرتها للإمامة وعصر المعصومين عليه السلام نعقد البحث في مقامات ثلاثة:

الأول: قَدَمُ المرجعية حسب نصوص المعصومين عليهم السلام.

الثاني: قَدَمُ المرجعية حسب كلمات الأعلام.

الثالث: قَدَمُ المرجعية حسب دليل العقل.

المقام الأول: قَدَمُ المرجعية حسب نصوص المعصومين عليهم السلام:

لقد نقل صاحب الوسائل عليه السلام نصوصاً كثيرة^(٣) يحصل من مجموعها القطع بالذي نروم إثباته من قدم المرجعية تاريخياً ومعاصرتها لصدر الإسلام، ولنذكر بعضها مع حذف أسانيدھا لئلا يطول بذكرها الكلام:

١ - ما رواه عمر بن حنظلة^(٤): سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دينٍ أو ميراثٍ، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيجل ذلك؟ قال: «من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]» قلت: فكيف يصنعان؟ قال: «ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا

فلم يقبل منه وإنما استُخِفَّ بحكم الله وعليه ردٌّ، والرَّادُّ علينا الرَّادُّ على الله، وهو على حدِّ الشُّرك بالله».

إن قوله عليه السلام: «ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا» ظاهر في النظر والمعرفة الفقهيّين، أعني من له القدرة على إرجاع الفروع إلى الأصول، وإلّا فأتى لراوي الحديث غير الفقيه أن يُرجع القضية المتنازع فيها بين المتخاصمين إلى هذا الحديث أو ذاك من أحاديثهم عليهم السلام؟!!

٢ - ما رواه أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عليه السلام: سألته وقلت: مَنْ أَعْمَلُ، وَعَمَّنْ آخِذُ، وَقَوْلٌ مِنْ أَقْبَلْ؟ فقال: «الْعَمْرِيُّ ثِقَتِي، فَمَا أَدَّى إِلَيْكَ عَنِّي فَعْنِي يُوَدِّي، وَمَا قَالَ لَكَ عَنِّي فَعْنِي يَقُولُ، فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ، فَإِنَّهُ الثَّقَةُ الْمَأْمُونُ». قال: وسألت أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال: «الْعَمْرِيُّ وابْنُهُ ثِقَتَانِ، فَمَا أَدَّى إِلَيْكَ عَنِّي فَعْنِي يُوَدِّيَانِ، وَمَا قَالَ لَكَ فَعْنِي يَقُولَانِ، فَاسْمَعْ لَهَا وَأَطِعْهُمَا، فَإِنَّهُمَا الثَّقَتَانِ الْمَأْمُونَانِ».

ومن المعلوم أن ثقاته عليه السلام لا ينحصرون بمن ذكر، فلا بدّ من ميزة للعمري وابنه اقتضت الإرجاع إليهما، كما لو كانا أقرب الرواة الفقهاء إلى مكان السائل، وهذا يحصل عادة، كما سيّضح لك جلياً من بعض النصوص الآتية. ٣ - ما رواه إسماعيل بن الفضل الهاشمي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المتعة فقال: «إِلْقَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ جَرِيحٍ فَسَلْهُ عَنْهَا، فَإِنَّ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْماً»، فلقيته، فأملئ عليّ شيئاً كثيراً في استحلالها.. إلخ.

ومن الواضح لو كان السؤال عن مجرّد حليّتها ومشروعيتها لأخبره الإمام عليه السلام بحكمها وحسب، فيعرف من هذا أن مطلوب السائل أمرٌ وراء مجرّد المشروعيّة، وقد أطلق عليه الإمام عليه السلام اسم العلم.

٤ - ما رواه إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمد بن عثمان العمريّ أن يوصل لي كتاباً... فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام: «...وَأَمَّا



الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواية حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله...» الحديث.

يعني: أن رواية أحاديثهم حجّة للإمام على الناس، وهو عليه السلام حجّة الله على الرّواة، ومن المعلوم والبدهيّ أن مجرد رواية أحاديثهم عليه السلام لا يوجب أن يكون الرّاي حجّة للإمام عليه السلام على الناس في طول كونه عليه السلام حجّة لله على الرّواة، إلّا أن يكون الرّاي عارفاً بما يروي، وفي أي مجال يرويه، بمعنى أنه متى ما سئل عن مسألة يريد السائل حكمها من أهل البيت عليه السلام فيجيبه عن مسألة بما هو مناسب لها مما ورد عنهم في تلك المسألة، وهذا يحتاج إلى فقه ومعرفة بكيفية الرجوع إلى الروايات لمعرفة حكم المسألة، وإلّا لكان يستوي الرّاي الجاهل بمواطن تطبيق الروايات مع الرّاي الفقيه العارف بذلك، وهذا مخالف لما يظهر من الحديث الأوّل، ولما روي عن الباقر عليه السلام من قوله: «قال رسول الله ﷺ: نصّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، ربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٥).

ولا يجوز في حكم العقل والعقلاء والشرع والمتشرّعة أن يكون حامل الروايات غير الفقيه - أعني الرّاي العاجز عن استنباط الأحكام الشرعيّة من تلك الروايات - حجّة على الفقيه - أعني القادر على استنباطها منها - حتى لو لم يكن من الرّايين لتلك الروايات.

٥ - ما رواه عبد المؤمن الأنصاري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً يروون أن رسول الله ﷺ قال: «اختلاف أمتي رحمة»، فقال: «صدقوا»، فقلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب، قال: «ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله ﷻ: ﴿فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله ﷺ فيتعلّموا، ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلّموهم،

إنما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافاً في دين الله، إنما الدين واحد، إنما الدين واحد».

وهو يدلُّ على المطلوب، فإن المذكورين ليسوا من الرواة فحسب، بل من المتفهمين في الدين، والذين يتمُّ إعدادهم ليكونوا مراجع لأقوامهم، لا مجرد رواة حديث.

نعم، لا ننكر أن مقدّمات الاستنباط يومذاك لم تكن بالصعوبة التي عليها اليوم، لأن المتفقه على يد النبي الأكرم ❷ لا يحتاج إلى سند بينه وبينه ❸، وبالتالي فهو مستغن عن علم الرجال بالمرّة، وهو علم يأخذ اليوم من الفقيه شطراً كبيراً من عمره في سبيل تحصيله ودراسته.

كما لا يحتاج إلى أن يدرس مباحث الألفاظ برمتها، والتي تبحث في علم الأصول، وتأخذ قسماً كبيراً من عمر فقهاء اليوم، وتشغل حيناً كبيراً من تفكيرهم من لدن بواكير دراستهم حتى آخر لحظة من حياتهم الشريفة. ناهيك عن علوم العربية كلها أو جلّها واستغناء أكثر الرواة عن دراستها يومذاك، بينما تأخذ شطراً وافراً من عمر الفقهاء اليوم وحيناً كبيراً من تفكيرهم.

إلى غير ذلك مما لم يكن الفقيه يومذاك بحاجة إليه مما أحوجنا إليه اليوم غيابُ المعصوم ❹ أو ابتعادنا عن تلك الأزمان التي لها تلك الخصوصيّات.

٦ - ما رواه جميل بن درّاج، قال: سمعت أبا عبد الله ❺ يقول: «بشر المختين بالجنة؛ بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير ليث بن البختری المرادي، ومحمد بن مسلم، وزرارة، أربعة نجباء، أمناء الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست».

وهو واضح في أن هؤلاء خصوصيّة لم تكن لغيرهم من رواة الحديث على كثرتهم، حتى قيل: إنهم بلغوا أربعة آلاف راوٍ.



٧ - ما رواه شعيب العقرقوفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ربما احتجنا أن نسأل عن الشيء، فمن نسأل؟ قال: «**عليك بالأسدي**»، يعني أبا بصير. ولو لم يكن للأسدي خصوصية لقال عليه السلام: عليك بالثقات من الرواة، وإلا فلا تبقى للأسدي أية خصوصية تستوجب تخصيصه بالذكر.

٨ - ما رواه الفضل بن عمر، أن أبا عبد الله عليه السلام قال للفيض بن المختار في حديث: «**فيذا أردت حديثنا فعليك بهذا الجالس**»، وأوماً إلى رجل من أصحابه، فسألت أصحابنا عنه، فقالوا: زرارة بن أعين.

وفيه دلالة على ما ذكرنا من أن الرواة الذين هم حجة علينا هم خصوص الفقهاء منهم لا مطلقاً، كزرارة، ومحمد بن مسلم، وأبي بصير، وأضرابهم، وإلا فإن الرواة من أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام وحده يزيدون على أربعة آلاف راوٍ كما ألمحنا، وأن الثقات منهم كثيرون جداً، فلم خص عليه السلام مراجعة الفيض بزرارة مع وجود رواة آخرين غيره وهم كثر؟! ومن البعيد أن لا يوجد أي راوٍ ثقة يمكن للفيض أن يرجع إليه غير زرارة، وفي الحديث الآتي دلالة على ذلك ظاهرة، بل هي أظهر.

٩ - ما رواه سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**ما أجد أحداً أحيى ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام إلا زرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حُفَظَ الدين، وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة**».

فلو كان إحياء أحاديثهم عليهم السلام بمجرد روايتها والتحديث بها لم تكن للمذكورين أية خصوصية من هذه الجهة، بل لكان غيرهم ممن هو أكثر منهم رواية أجدر منهم بذلك التوصيف.

وأنت إذا تأملت ما وصفهم به تيقنت أن المقصود من الرواة الذين هم حجة على العباد هم من كان فقيهاً منهم، ممّن له القابلية على استنباط مقاصدهم عليه السلام واستخراج الفروع من الأصول، وإلا فهل يستحق الراوي مقام حفظ الدين والأمانة على حلال الله وحرامه وكونه من السابقين إلى أهل البيت عليه السلام في الدنيا والآخرة بمجرد روايته لأحاديثهم عليه السلام من دون حملها على حاملها المقصودة لهم عليه السلام؟!.

وقريب من هذا المضمون الحديثان ٢٢ و ٢٦ من الباب، فراجع.

١٠ - ما رواه عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كلّ ساعة ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويحيي الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلّ ما يسألني عنه، فقال: «ما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي، فإنه سمع من أبي، وكان عنده وجيهاً».

ومن الواضح أنه لو كان المقصود مجرد الوصول إلى أحاديثهم عليه السلام لكفى الرجوع إلى ثقات الرواة، ولا حاجة إلى كون الراوي وجيهاً، كما أن وصف محمد بن مسلم بذلك دليل على أن سبب وجاهته لم يكن مجرد صدقه ووثاقته، وإلا كان جميع الثقات وجهاء عند أهل البيت عليه السلام.

١١ - ما رواه يونس بن يعقوب، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «أما لكم من مفزع؟ أما لكم من مستراحٍ تستريحون إليه؟ ما يمنعكم من الحارث بن المغيرة النصري؟».

ومن البعيد جداً أن لا يوجد أيّ راوٍ ثقة غير النصري في ناحية المخاطبين وبلدتهم، ما يعني أن للنصري خصوصية بها استحق اسم المفزع والمستراح، وإلا فالراوي مهما كان ثقة لا يصدق في حقّه العنوانان المذكوران إذا لم يكن قادراً على استنباط وظائف من يفزعون ويستريحون إليه مما يرويه من أحاديثهم عليه السلام.

١٢ - ما رواه جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث أنه ذمّ رجلاً،



فقال: «لا قدّس الله روحه، ولا قدّس مثله، إنه ذكر أقواماً كان أبي ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودعُ سرّي، وأصحابُ أبي حقّاً، إذا أراد الله بأهل الأرض سوءاً صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتاً، هم الذين أحيوا ذكر أبي، بهم يكشف الله كلّ بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، وتأويل الغالين»، ثم بكى، فقلت: من هم؟ فقال: «من عليهم صلوات الله وعليهم رحمته أحياء وأمواتاً، بريد العجلي، وأبو بصير، وزرارة، ومحمد بن مسلم».

والكلام فيه كالكلام في النصّ التاسع المتقدّم.

ونزيد هنا أن كشف البدع ونفي انتحال المتحليين لا يتهيأ لكلّ راوٍ ما لم يكن ذا فضل وفقاهة كافيين في ذلك كما هو أوضح من أن يوضح.

١٣ - ما رواه عليّ بن المسيب الهمداني، قال: قلت للرضا عليه السلام: شقّتي بعيدة ولست أصل إليك في كلّ وقت، فممن أخذ معالم ديني؟ قال: «من زكريا بن آدم القميّ المأمون على الدين والدنيا»، قال علي بن المسيب: فلمّا انصرفت قدمنا على زكريا بن آدم، فسألته عما احتجت إليه.

ومن البعيد جداً صدق العنوان المذكور - «المأمون على الدين والدنيا» - على من لا يحسن إلّا حفظ الروايات عن ظهر قلب، أو في أصل أو كتاب مما يتمكّن منه كثير من الثقات آنذاك، وإلّا فهل يُعدّ من حفظ الدين حمل الروايات على غير مقاصدهم عليهم السلام التي تحتاج معرفتها إلى إحاطة ودراية وفقهٍ لجملة معتدّ بها من تلك الروايات؟! كلا، بل لابدّ في تحقّق العنوان المذكور من الاتّصاف بما ذكرنا مما له تمام المدخليّة في الفقاهة والفهم بالمقدار المعتدّ به، وإلى هذا المعنى يشير حديث الإمام الصادق عليه السلام الآتي: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون محدّثاً»، فقيل له: أو يكون المؤمن محدّثاً؟ قال: «يكون مفهّماً، والمفهم

المحدث»، فلاحظ قوله عليه السلام: «بقدر ما يحسنون من روايتهم عنا»، وقوله عليه السلام: «حتّى يكون محدّثاً» وتفسيره له تعرف أن القول ما قلنا.

١٤ - ما رواه عبد العزيز بن المهدي والحسن بن علي بن يقطين جميعاً، عن الرضا عليه السلام، قال: قلت: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كلّ ما أحتاج إليه من معالم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة أخذ عنه ما أحتاج إليه من معالم ديني؟ فقال: «نعم».

فالراوي لم يسأل عن أخذ نصوص الروايات من يونس كما هي، بل عن أخذ معالم الدين منه، والمعالم: جمع معلم، وهو الأمر البارز، كمعالم الطريق، وهي علاماته، ومعالم المدينة، وهي أبنيتها المرتفعة وما كان بارزاً منها، ومعالم التاريخ، وهي أحداثه المهمة والبارزة، وعلى هذا لا بدّ أن يكون المراد من معالم الدين ما هو الأهم من بين مسائله، لا خصوص الأحكام الفرعية، وهذا ما لا يمكن لغير الفقيه تحديده واستخراجه من الروايات. وعلى منواله الحديثان ٣٤ و ٣٥ من الباب.

١٥ - ما رواه معاذ بن مسلم النحوي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «بلغني أنّك تقعد في الجامع فتفتي الناس»، قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، وحبكم، فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا، وجاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك، فقال لي: «اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع».

وهذا مما لا يحتاج إلى إيضاح، فإنه نصّ في المطلوب.

١٥ - ما رواه محمد بن أحمد بن حماد المروزي المحمودي يرفعه، قال: قال الصادق عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإنّا لا



نَعُدُّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً»، ف قيل له: أو يكون المؤمن محدثاً؟ قال: «يكون مُفَهِّمًا، والمفَهِّمُ المُحَدِّثُ».

ودلالة هذا الحديث على ما ذكرنا آنفاً أوضح من أن تحتاج إلى توضيح. هذه جملة من النصوص الدالة على قدم المرجعية بقدَم الإمامة، لا يرتاب بعد الاطلاع عليها إلا كل مريض القلب أو سقيم الفهم.

المقام الثاني: قَدَمُ المرجعية حسب كلمات الأعلام:

ولنعطف الكلام إلى ما قاله رجالُوا الطائفة في حق جماعة من الرواة عن الأئمة عليهم السلام، مما يدل على أنهم كانوا مراجع للشيعية في عصور الأئمة عليهم السلام، وإليك بعض كلماتهم في حق بعض الرواة ممن يغنى ذكرهم عن ذكر من سواهم:

١ - ما جاء في رجال الكشي تحت عنوان (تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام) من قوله: (أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي. قالوا: وأفقه الستة زرارة، وقال بعضهم مكان أبي بصير الأسدي: أبو بصير المرادي، وهو ليث بن البختری)^(٦).

٢ - وقال تحت عنوان (تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام): (أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عن هؤلاء، وتصديقهم لما يقولون، وأقرُّوا لهم بالفقه، من دون أولئك الستة الذين عدناهم وسمَّيناهم، ستة نفر: جميل بن درَّاج، وعبد الله بن مُسكان، وعبد الله بن بكير، وحمَّاد بن عيسى، وحمَّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان. قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه - يعني ثعلبة بن ميمون - أنَّ أفقه هؤلاء جميل بن درَّاج، وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله عليه السلام)^(٧).



٣ - وقال تحت عنوان (تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا ʒ): (أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء، وتصديقهم، وأقرّوا لهم بالفقه والعلم، وهم ستّة نفر آخر دون الستّة نفر الذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبد الله ʒ، منهم: يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى بيّاع السّابريّ، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمد بن أبي نصر. وقال بعضهم مكان الحسن بن محبوب: الحسن بن عليّ بن فضال، وفُضالة بن أيّوب، وقال بعضهم مكان ابن فضال: عثمان بن عيسى. وأفقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى^(٨).

ومن المعلوم أنّ هؤلاء المذكورين في العبارات الثلاثة للكشي ʒ لو لم يكونوا مراجع تفزع الشيعة إليهم في زمن الأئمّة ʒ فلا معنى لقول المجمعين بأنّ الأصحاب انقادوا لهؤلاء الثمانية عشر وأقرّوا لهم بالفقه والعلم.

٤ - ما ذكره النجاشي في ترجمة أبان بن تغلب، من قوله ʒ: وقال له أبو جعفر ʒ: «اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإنّي أحبُّ أن يُرى في شيعتي مثلك»^(٩).

ولعمري إن الأمر لا يحتاج إلى مزيد توضيح، وفي هذا كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأمّا مرضى القلوب ومن قبلهم النواصب فلا حرص لنا على إقناعهم.

المقام الثالث: قدّم المرجعية حسب دليل العقل:

إن قدم المرجعية أمر لا يحتاج في إثباته إلى نصّ، فإنه مما تقتضيه طبيعة الحال، بل هو أمر لا بدّ منه، إذ لا يمكن للمكلّفين - بأيّة حال - تحصيل العلم بمعظم الأحكام الشرعية إلّا من خلال الرجوع إلى العالمين بها.

وبيان ذلك يتمّ بتقديم ثلاث مقدمات بديهيّة:

الأولى: إن كلّ مسلم يعلم بوجود تكاليف شرعيّة يجب عليه إحراز امتثالها.



الثانية: إن إحراز امتثالها يتوقّف على العلم بها.

الثالثة: إن الأحكام الشرعية منها ما هو واضح ومعلوم لكلّ مسلم، وهو أقلّ القليل من الأحكام، كوجوب الفرائض اليومية، واستحباب صلاة الليل، وحرمة قتل النفس المحترمة، والزنا، وشرب الخمر، وأمّا القسم الأعظم منها فيتوقّف العلم به على عملية الاستنباط، ويعبر عن هذا القسم بالأحكام الاجتهادية، ومعه فلا يمكن تحصيل العلم بها لغير الفقهاء والمجتهدين.

هذه ثلاث مقدّمات لا كلام فيها بعد بدايتها.

وننتجها الحتميّة: أن إحراز امتثال التكاليف الاجتهادية يتوقّف على أحد

طرق ثلاثة:

١ - الاجتهاد.

٢ - التقليد لمن بلغ رتبة الاجتهاد.

٣ - الاحتياط، وهو طريق وقع الخلاف في مشروعيّته.

والطريق الممكن للسّواد الأعظم من المكلفين هو الثاني دون غيره.

أمّا الطريق الأوّل فيتوقّف على بلوغ المكلف رتبة الاجتهاد والاستنباط، وهي رتبة لا يمكن تحصيلها لكلّ أحد، بل لا يمكن في العادة أن يتفرّغ لتحصيلها إلّا أقلّ القليل ممن يمكنهم تحصيلها، ولذا تجد أن عدد الفقهاء في كلّ عصر قليل جدّاً بالقياس إلى عدد المكلفين في ذلك العصر.

وما ذلك إلّا لما تقتضيه طبيعة الحال، فإنها تقتضي أن ينصرف معظم الناس إلى شؤونهم الحياتية، فينصرف التّجار إلى مواضع تجارتهم، والموظّفون إلى وظائفهم، والمزارعون إلى مزارعهم، والعُمال والحرفيّون إلى أماكن عملهم، والكسّبة إلى مصادر كسبهم، والمعلّمون والطلّبة إلى مدارسهم، والأطباء والمرضون إلى مستشفياتهم، وربّات البيوت إلى إدارة شؤون أسرهنّ، ورجال الجيش والأمن إلى ثكناتهم، وهكذا.



وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة آفة الذكر: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة: ١٢٢)، أي: ليس لهم أن ينفروا جميعاً إلى المدينة لتحصيل الفقه بالأحكام الشرعية وغيرها من أمور الدين من النبي الأكرم عليه السلام، بل يكفي أن ينفر إليها من كل بلدة أو قرية جماعة لتحصيل ذلك، ثم تقوم هذه الجماعة بدورها بنقل ما حصّلته إلى أهل ناحيتهم وسكّان بلدتهم.

ومن هنا يتضح لك جلياً أن مفاد الآية الكريمة هو الإرشاد إلى ما تقدّم من حكم العقل، وليس مفادها حكماً مولوياً تأسيسياً كما قد يُتوهم.

وأما الطريق الثالث - أعني الاحتياط - فمضافاً إلى وقوع الخلاف في مشروعيته هو متعسر على العوام، بل مستحيل في العادة.

توضيحه: أن من لم يبلغ رتبة الاجتهاد لو أراد إحراز امتثال التكليف من غير طريق التقليد فعليه أن يكون محيطاً بجميع آيات وروايات الأحكام المبيّنة لتلك التكليف، مضافاً إلى الإحاطة بجميع المسائل الخلافية بين الفقهاء، ثمّ يلاحظ في كل مسألة ما هو الأحوط فيها بحسب ما لاحظته من نصوص الكتاب العزيز والروايات الشريفة وكلمات الفقهاء.

ومن المعلوم أن الإحاطة بذلك كلّها تحتاج إلى تحصيل علمي عالٍ يقرب من تحصيل رتبة الاجتهاد، والمفروض أن كلامنا في السّواد الأعظم من المكلفين المنصرفين إلى حياتهم كما أُلحنا.

هذا كلّه فيمن يجيد قراءة النصوص وكلمات الأعلام بأقلّ مستوى مقبول، وأما من لم يكن كذلك وهم الأكثر فلا سبيل لهم إلا التقليد، فضلاً عن الأميين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، وفي حكمهم الأعاجم الذين لا يجيدون العربية أو لا يعرفونها أصلاً.

هذا كلّه في الموارد التي يمكن فيها الاحتياط، وأمّا التي يكون مستحيلاً فيها - كموارد الدوران بين المحذورين كالدوران بين وجوب فعل وحرمة



- فينحصر طريق الامتثال فيها بالاجتهاد والتقليد، وحيث إن الكلام في غير المجتهدين فيتعيّن عليهم التقليد ولا سبيل لهم غيره.

والمتحصّل مما تقدّم: أن مرجعية الفقهاء لغيرهم من المكلفين أمر قديم بقدم الإسلام، ولا أقلّ بقدم الإمامة ولو في عهد الإمامين الباقرين عليه السلام، وأنها ليست حالة طارئة اقتضتها غيبة المعصوم عليه السلام كما يتوهم ذلك كثير من الناس، كما أنه أمر لا بُدّ للعوامّ منه في تحصيل تكاليفهم الاجتهادية.

الحلقة الثانية: حقيقة المرجعية ونيابة الفقيه عن المعصوم عليه السلام:

لا كلام في أن المكلفين في زمن الغيبة الصغرى كانوا يرجعون إلى الوكلاء الذين أمر المعصومون عليهم السلام بالرجوع إليهم، ولذا فقد تمثّلت المرجعية آنذاك بهم، ويصطلح عليهم بالنوّاب الخاصّين، لنصّ المعصوم عليه السلام عليهم بأعيانهم وأسمائهم، أولهم: عثمان بن سعيد العمري الزيات، ثمّ من بعده ابنه محمد بن عثمان الحلّاني، ثمّ من بعده الحسين بن روح النوبختي، ثمّ من بعده عليّ بن محمد السّمري، والذي بموته انقطعت السفارة والنيابة الخاصة، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما في زمن الغيبة الكبرى فلا شكّ في أن الحاجة إلى المراجع تكون أشدّ وأكبر كما اتّضح مما سبق، وليس ثمة من يليق بهذا المقام الخطير إلا الفقهاء العدول، ويصطلح عليهم بالنوّاب العامّين، لأنّ المعصوم عليه السلام لم ينصّ عليهم بأسمائهم، بل بأوصافٍ تصدق على العديد منهم في كلّ زمان، وأعطى ضابطة عامّة في ذلك، فمن توقّرت فيه جاز الرجوع إليه، كما في قوله عليه السلام: «... فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه...».

والوجه في ذلك: أن التشريع لم يجعل لزمان دون زمان، بل أريد له أن يبقى إلى آخر الدنيا، ومن المعلوم أن الأحوال والوقائع في تغير دائم وتطوّر مستمرّ

في الوسائل والأدوات والعلوم والفنون والمعاملات، وغير ذلك ممّا يدعو إلى ضرورة معرفة الموقف الشرعي منها، وهو ما أشار إليه عليه السلام في الرواية الرابعة من الروايات المتقدّمة: «... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله»، وحيث إن معرفة أحكام تلك الوقائع تتوقّف على استنباطها من مصادر التشريع - أعني: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل - فانحصر تحصيلها بالفقيه، لأنه هو وحده من له القدرة على استنباط الأحكام من تلك المصادر.

وفي حال لم يجد الفقيه حكمها في شيء من تلك المصادر فلا بد من تحديد الموقف الشرعي من طرق أخرى، وهنا تكون الحاجة إلى الفقيه أشدّ منها في الموارد التي يمكن له أن يستنبط حكمها من تلك المصادر، فيرجع إلى قواعد ثبت لديه بالدليل وجوب الرجوع إليها في تلك الحالة، كقاعدة البراءة، والاستصحاب، والتخير، والاشتغال، وغيرها من القواعد.

ولا يمكن لأي شخص أن يفتي استناداً إلى تلك الأدلّة أو القواعد ما لم يكن قد قطع شوطاً بعيداً وزمنياً طويلاً في دراسة جملة علوم لا يمكنه الوصول إلى مرتبة الاجتهاد إلّا بالغوص في أعماقها وسبر أغوارها واستيعابها وضمّنها جيداً نظرياً ثمّ تطبيقياً، ولذا تجد كثيراً من طلبة العلوم الحوزوية لا يتمكّنون من الوصول إلى هذه المرتبة، الأمر الذي يكشف عن مدى دقّتها وصعوبتها ووعورة طريقها.

وتشتدّ الحاجة إلى الفقيه أكثر فأكثر في المسائل المرتبطة بالدماء والأعراض والأموال.

ولا ينبغي أن ننسى في هذا المجال باب القضاء، والذي يحتاج إلى مرتبة عالية جداً من العلم والفقاهة.



كما لا يخفى اشتداد الحاجة بشكل مضاعف لو قلنا بثبوت الولاية للفقهاء في إدارة البلاد في هذه الأجواء الخطيرة والغارقة في السياسات الدولية المعقدة والمخادعة، والتي تتطلب من الفقيه - زيادة على الإحاطة بالعلوم الحوزوية - أن يكون له اطلاع واسع على السياسة والقوانين الدولية، ولو من خلال الاستعانة بالخبراء والمستشارين الثقات في هذا المجال.

ومن هذا كله يتّضح ما للمرجعية من مكانة خطيرة ومنزلة تساوق مقام الإمامة بالمعنى الأعمّ، فإن الإمامة بالمعنى الأعمّ تعني القيادة، وهي إمّا تؤدّي بالأتباع إلى الجنة وتلك هي إمامة أئمة الهدى، وإمّا تؤدّي بهم إلى جهنّم، وتلك هي إمامة أئمة النار، وحيث إن إمامة الفقهاء العدول امتدادٌ لإمامة المعصومين عليهم السلام الذين هم أئمة الهدى - كما يستفاد من بعض النصوص المتقدمة لا سيما قوله عليه السلام: «**فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله**» - فتكون إمامتهم إمامة هدى أيضاً، وأمّا غير الفقهاء أو الفقهاء المنحرفون فحيث لم يكونوا من أئمة الهدى فلا بد أن يكونوا من أئمة النار، لعدم التوسّط بين الإمامتين.

والحاصل: أن المرجعية - حقيقةً - هي الظهير والداعم للإمامة في زمن الحضور، وهي الامتداد لها في زمن الغيبة ولو برتبة نازلة. ومنه يتّضح ما هو مقامها ومكانتها عند الإمامية، وكونها تالية الإمامة الكبرى، كما أن الإمامة تالية النبوة، من غير مبالغة ولا غلو في أي شيء من ذلك ألبتة.

الخاتمة: مرجعية الفقيه أمر غني عن الدليل النقلي

ينبغي أن لا نغفل عما قدّمناه في المقام الثالث من الحلقة الأولى من أن الحاجة إلى الفقيه أمر تقتضيه طبيعة الحال، وليس أمراً مستفاداً من النصوص إلا بنحو الإرشاد إلى حكم العقل.

ومن هنا نعرف أننا لا نغير كثير أهمية لتصحيح أسانيد بعض الروايات المتقدمة، ومعه فلا يشكل علينا بأن أسانيد بعضها ضعيف.

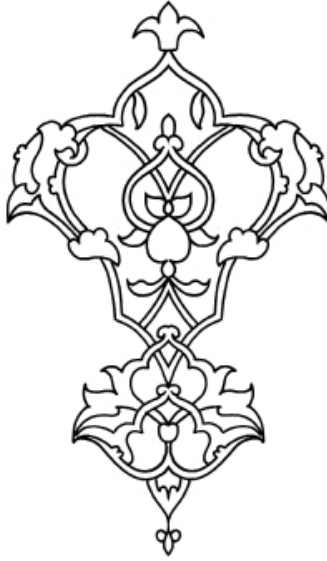
نعم، يمكن أن تشكّل بمجموعها دليلاً قطعياً، لاجتماعها على لازم واحد مشترك بينها بحيث يكون أمراً متواتراً تواتراً إجمالياً، ألا وهو مشروعية الرجوع إلى الفقهاء في جميع العصور لمن لم يكن فقيهاً.

فإن لم تبلغ بمجموعها رتبة الدليل فهي تصلح مؤيداً لما ذكرنا.

وعلى جميع التقادير يكفيها دليل العقل القطعي المتقدّم والذي لا ينكره إلا جاهل أو مكابر أو متكبر.

والحمد لله تعالى أولاً وآخراً، وله الشكر باطناً وظاهراً، وصلواته على عباده الذين اصطفى، محمد وعترته خير الوري، ورضوانه ورحمته على أمتائهم على الحلال والحرام فقهاء الأمة العدول، ومعتمدي الأئمة الأطهار من آل الرسول صلوات الله عليه وآله.

١. لاحظ: السُّنن الكبرى للنسائي ٣: ٢٦٧، و٣٨٠/ طبعة دار الكتب العلمية بيروت/ بتحقيق: الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن. والاستيعاب لابن عبد البر ٤: ١٧١٩/ طبعة دار الجيل بيروت/ بتحقيق: علي محمد البجاوي. وتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٧: ٣٧٣/ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
٢. بحار الأنوار ٧٣: ٣٥٠.
٣. وسائل الشيعة ٢٧: ١٣٦، الباب ١١.
٤. ويعبر عن هذه الرواية بمقبولة عمر بن حنظلة، لأن العلماء تلقَّوها بالقبول.
٥. مستدرک الوسائل ١٧: ٢٨٥.
٦. اختيار معرفة الرجال: ٥٠٧.
٧. المصدر: ٣٢٢.
٨. المصدر: ٤٦٦.
٩. رجال النجاشي: ١٠.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

جدلية المقدّس وتمثّل المقدّس

تمثّلات ظاهرة المهدوية في مخيال شعوب المغرب الإسلامي أنموذجاً

د. السيد خالد سيساوي الجزائري

مقدمة:

إنه لمن التعسّف الفكري مقارنة سؤال ماهية المقدّس بمعزل عن تمثّله العملي في المخيال السوسيو-ثقافي^(١) لشعب ما. وإذا تعين علينا مقارنة المهدوية كظاهرة فُطر عليها الوجدان في مقام الثبوت وتجاوزتها العقول في مقام الإثبات، وتمثّلتها الممارسات في مقام الامتثال؛ فإننا ملزمون بالوقوف على مظاهر اصطباغها الدلالي ضمن نسقها التاريخي، مع حفظ حيثة المواضعة^(٢) التي تحيل إلى تجليات ظاهرة المهدوية في نطاق الوعي الجمعي دون إحالتها على التعريف الحقيقي للظاهرة.

تحتل ظاهرة المهدوية مكانة علمية مرموقة بين الظواهر السوسيو-أنثروبولوجيا^(٣) المساوقة للتاريخ الإنساني؛ كونها تحيل على ما هو تكويني وفطري. وهذا ما جعلها مسألة توائم المخيال الإنساني وتربطه بمنظومة المقدسات التي تشكّل هي إحدى حلقاتها الوثيقة. لذا نجد مجموعة من الصور الحاكية عن ذلك المقدّس (المهدوية) قد أفرزها ذلك المخيال؛ ثم راح يطبقها على الكم الهائل من التمثّلات الاجتماعية حتّى يُشبع تلك الرغبة



الجامحة في أمل تحقق ما يخالج وجدان الإنسان بظهور المنقذ عندما تترأى الأزمت الخانقة؛ وتتعاظم المحن، وتتبدى آمال المستضعفين.

تحيلنا بحوث أنثروبولوجيا العقائد القديمة^(٤) على صور متشابهة لشخصية ذلك المنقذ المخلص؛ الذي يمثل السند الإلهي للمستضعفين والمظلومين والحد الفاصل بين الحق والباطل. نعم هناك خلاف تمثلي لهذه الشخصية بين الديانات وبين مذاهب الدين الواحد؛ إلا أن القدر المتيقن بينها جميعاً يقضي بأن (المنقذ) هو الصورة المثالية للإنسان المتعالي كما يسميه (نيتشه)^(٥).

إن مسألة المهديوية هي مسألة إنسانية بامتياز فضلاً عن كونها دينية أو إسلامية؛ يقول الشهيد محمد باقر الصدر: (ليس المهدي عليه السلام تجسيدا لعقيدة إسلامية، ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لطموح أُنْجَهِتْ إليه البشرية، بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري، أدرك الناس؛ من خلاله؛ على الرغم من تنوع عقائدهم، ووسائلهم إلى الغيب، أن للإنسانية يوماً موعوداً على الأرض، تحقق رسالات السماء، بمغزاها الكبير، وهدفها النهائي. وتجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان؛ على مر التاريخ؛ استقرارها وطمأنيتها. بعد عناء طويل. بل لم يقتصر الشعور بهذا اليوم الغيبي، والمستقبل المنتظر على المؤمنين دينياً بالغيب، بل امتد إلى غيرهم أيضاً، وانعكس حتى على أشد الإيديولوجيات والاتجاهات العقائدية، رفضاً للغيب والغيبيات كالمادية الجدلية التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات، وآمنت بيوم موعود، تُصَفَّى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام والسلام. وهكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور التي مارستها الإنسانية على مر الزمن، من أوسع التجارب النفسية وأكثرها عموماً بين أفراد الإنسان)^(٦).

وعليه سيكون حديثنا في هذا البحث موجّهاً (للإنسان) الذي يروم طمأنينة السماء بعدما أعيته كدورات الأرض؛ طمأنينة سيكون ممثلها الإلهي صاحب



العصر والزمان أرواحنا فداه (المخلص) الذي يُطهّر الأرض ويملاها عدلاً وقسطاً فتظهر ببركته سرائر الناس ويحسن إيمانهم ويتجلى فيهم التوحيد الخالص.

مفاهيم البحث:

المهدوية: اشتق اسم المهدي في اللغة العربية من الفعل (هَدَى)، وقد ورد في المعاجم العربية بمعان متأثرة بتصورات الفكر الإسلامي، فقد جاء في معجم الصحاح أن المهدي من هدى يهدي بمعنى دَلَّ وأرشد^(٧)، وفي لسان العرب فإن المهدي (هو الذي هداه الله إلى الحق، وبه سُمي المهدي الذي بشر به الرسول ﷺ)^(٨). وربط ياقوت الحموي أصل التسمية بمهد عيسى بن مريم عليهما السلام^(٩). وكيفما كان فلفظ (المهدوية) مصدر صناعي يحاكي ظاهرة مقدسة تتمثل في خروج مخلص المستضعفين ومقيم العدل والقسط.

المخيال: أول المتطرقين لمفهوم المخيال هو (أرسطو) حيث عبّر عنه بكلمة المتخيلة (phantasma) ثم عرّف في الدراسات الحديثة باصطلاح المخيال (l'imaginaire)^(١٠)، ثم انسحب هذا الاصطلاح الفلسفي مع تطور الدراسات في حقل علم النفس والأنثروبولوجيا إلى مجالات علم الاجتماع وفلسفة التاريخ وغيرها.

تتميز المعاني الخيالية بخصوصية الإحالة؛ أي إحالة الصور المتخيلة على دائرة العقل والواقع، فتكون بذلك أوسع الدوائر الإدراكية إحاطةً، حيث تأخذ من الحس خاصية الصور المحسوسة ومن العقل خاصية الصور المجردة؛ أي إنها برزخ بين المرتبتين.

وبسبب هذا التداخل وصعوبة الفصل بين ما هو عقلي خالص وما هو مخيالي؛ نجد الإنسان يحاول جاهداً جعل تلك الدلالات الخيالية دلالات متعالية حكمية.

أمّا علاقة المخيال بالدراسات الأنثروبولوجيا فهي علاقة تُولد؛ إذ يتولّد المخيال في رحم الذاكرة الجماعية أو العقل الجمعي خلال مختلف المراحل التاريخية، ثمّ يُوظّف تبعاً لمقتضيات الظرف السياسي أو الاجتماعي. وبعبارة دقيقة يمكننا تعريف المخيال بأنه (شبكة من الصور المرابطة في اللاوعي الجمعي، تنتظر اللحظة المناسبة لتسجل حضورها الفاعل في الواقع التاريخي للإنسانية). ويقابل المخيال الفردي المخيال الاجتماعي؛ حيث يعد هذا الأخير شبكة إفراسات متراكمة للمخيال الفردي ضمن سيرورة تاريخية وايدولوجية تقتضي خروجه من الذاتانية المخيالية^(١١) التي يكون محورها الفرد إلى الشراكة المخيالية^(١٢) التي تحرّك العقل الجمعي لمجتمع ما.

المقدّس:

يصعب حصر مفهوم المقدس من وجهة نظر وحيدة أو داخل حقل معرفي معين من حقول المعرفة الإنسانية، لأن هذا المفهوم يتجاوز ما هو محسوس إلى ما هو مجرد، أو يجمع بينهما. وبهذا، حاز هذا المفهوم حضوراً عميقاً وعريقاً في التعاريف والمقاربات والتأويلات التي طالها الفكر الإنساني.

- فالمقدس في لسان العرب من قدّس، تقديساً، أي تنزيهه الله ﷻ^(١٣)، وفي التهذيب: القدس تنزيهه الله تعالى، وهو المتقدس القدوس المقدس. ويقال: القدوس فعول من القدس، وهو الطهارة. والتقديس: التطهير والتبريك، وتقديس أي تطهر^(١٤).

- وفي القاموس الأنثروبولوجي، المقدّس (sacer) التي اشتق منها مصطلح (sacred) (المقدّس) هو صلة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجبة الاحترام، فيقيم لها طقوساً دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله، أو الآلهة، أو المعبودات والقوى فوق الطبيعية، أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية



للمجتمع، ولهذا فهي مصنونة من العبث أو التخريب، أي تلك المنطلقات الفكرية والإيديولوجية، التي كانت سبباً في تولّد المشترك الديني^(١٥).

وهذا ما عبّر عنه أحد الكتّاب الأنثروبولوجيين بقوله: يشير المقدّس في سياقه السوسيوي-أنثروبولوجي بأن قوة الاعتقاد والطقوس المحفّزة لها، كانت شكلاً من أشكال التوافق مع المعايير الدينية المتحكّمة، حتّى في مشاعر الأفراد وعقولهم^(١٦).

ففكرة (المقدّس)، تكتسب أهمّيتها من التعارض الوجودي مع الدينيّ (Le profane)، وهو في النهاية؛ تعبير عن مجموعة من تصوّرات المشتركة بين الأفراد، والتي تختلف درجات حضورها في حياة المجتمعات، إلى حدّ بعيد، ولكن تبقى أشكال هذه العلاقة، تُفهم في سياق تحليليّ، يعتمد مساءلة أو فهم درجات استبطان الأفراد لها في (لا شعورهم الجمعي)^(١٧) على حدّ تعبير كارل غوستاف يونغ.

المقدّس في سياقه التاريخي أو تمثّلات المقدّس:

تلامس الأنثروبولوجيا (المقدّس) من خلال محاولة كشفية لدلالاته المعنائية عبر تجلّيات المتعالي المكوّنة للإنسان في بعده الثقافي. وإذا ما استحضرنّا تحليل إدوارد تايلور^(١٨) الذي يعتبر الثقافة: (هي ذلك الكلّ المركّب، الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنّ، والأخلاق، والقانون، والأعراف، والقدرات، والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان، بوصفه عضواً في المجتمع)^(١٩)، فإنّنا سنجد فكرنا يستحضر كل تمثّلات المقدّس المتكثّرة ضمن سياقها التاريخي ليرجعها في الأخير إلى المقدّس الذي يتعالى عن الزمان والمكان. وعلى هذا الأساس: (يكون الدين قوّة إحساسية نفسية وعاطفية، تمهّد لنشأة الإحساس المشترك، كعامل تتمحور حوله الوقائع المادية والاجتماعية)^(٢٠)، فالقداسة ليست مفهوماً غيبياً بعيداً عن السياق التاريخي لتطور المجتمعات،

فالإنسان يصنع المقدس عندما يضيف على شيء ما هذه الصفة، والإنسان هو الذي يوسع دائماً من رقعة المقدس، بحيث يشمل الوقائع الحياتية، ويذهب به بعيداً فيطال البشر من رجال الدين الذين يعتبرون أنفسهم حَمَلة ختم القداسة.

يقدم التاريخ البشري لوحة عامة تتصف بها المجتمعات منذ القدم حتى اليوم، يجري فيها استخدام النصوص المقدسة لإضفاء طابع القداسة والتعالى على أعمال البشر وتصرفاتهم وسلوكياتهم في الحياة الدنيوية. فلم يعد المقدس ذلك الشيء العلوي والإلهي، بل بدا أنه مخلوق باستمرار من البشر، نابع من الحاجات، وموظف في الصراعات الاجتماعية والسياسية، مما يعني أن نزاع القدسية عن المقدس الدنيوي يشكل واحداً من أهم معالم تحرير المجتمعات العربية والإسلامية من الفكر الجامد والمنغلق على العصر.

في هذا السياق بات التفكير في دلالات الدين ومظاهر التدين في سلوك البشر والعلاقات القائمة بينهم، ومختلف التحولات التي طرأت على الممارسات الدينية في المجتمعات البشرية، واحداً من أهم مشاغل فلسفة الدين وعلم الاجتماع الديني. ففهم المقدس في سياقه الاجتماعي والتاريخي يرتبط بمجموعة محدّدة من تعاريف الدين نفسه، وبعملية تصنيف لبعض النشاطات الاجتماعية بوصفها نشاطات دينية، وبمقاربات اجتماعية خاصة للموضوع. حيث أكّدت هذه الاعتبار أن التصورات الاجتماعية لما يُكوّن المقدس كظاهرة اجتماعية تخضع لتغير دائم على مستوى التمثلات.

علاقة المقدس بالديني:

يعتبر المقدس جوهر الدين؛ فصفة القدسية المضافة على ما هو ديني هي الدليل الأنفسي^(٢١) على تمظهر الذات الإنسانية في تفاعلها معه محبة وخوفاً ورهبة؛ تلك التمظهرات التي تحيل على تمثله طوعاً. إلا أن الخطير هو سريان



الحكم على التمثلات إلى المقدس نفسه؛ إذ الإخفاق في تمثيل المقدس من شأنه أن يسلب شيئاً فشيئاً صفة القدسية الاجتماعية عن المقدس.

تفترض التجارب الدينية قسمة بين النفي والإثبات للمقدس وغير المقدس، حيث تقيّم تلك التجارب بمدى تمثيلها للمقدس أو إخفاقها.

يُجد المقدس أعلى تجلياته في الأديان التوحيدية على الأخص، حيث يطغى بشكل كبير على كل ما يتصل بالدين، سواء على مستوى النصوص أو على مستوى الممارسة العملية. فالقرآن يمثل بالنسبة إلى المسلمين أعلى درجات القداسة، بوصفه تجسيداً لكلام الله تعالى، وبانسحاب القداسة على المظاهر المتمثلة لذلك القرآن تكتسب تلك المظاهر القدسية نفسها. وهذا ما نجده في حديث الثقلين حيث كانت القداسة تفاعلية بين الثقلين: (القرآن) و(العترة الطاهرة).

فالمقدس في مقام الإثبات تولّد من رحم الدين (الشريعة) وإن كان في مقام الثبوت (التكوين) أسبق منه رتبة؛ لأنه في ذلك المقام يساوق الوجود. وهذا ما ذهبت إليه مدرسة الحكمة المتعالية التي أسس بنائها الفيلسوف المتأله (صدر المتألهين الشيرازي) من أنّ مقول المقدس يصدق على نفس الوجود المطلق أولاً وبالذات وعلى مظاهر ذلك الوجود ثانياً وبالعرض. ومن خلال التمييز بين القداستين يمكننا القول: إن المقدس بغيره يحكي جمال القداسة الذاتية في الذوات الممكنة.

من المواضيع المطروحة للتحليل والنقد في الفكر الإسلامي هو موضوع (العقيدة المهدوية) باعتبارها إحدى مصاديق المقدس الديني الذي غدّى خيال الحركات الإصلاحية على مر التاريخ الإنساني وراحت تتمثله سياسياً وثقافياً ودينياً.



أنحاء تمثّل ظاهرة المهدوية في المخيال الفردي والاجتماعي:

يتبادر ابتداءً أن اصطلاح (التمثّل) إذا ما تعلّق بظاهرة المهدوية فإنه يتضمّن معنىً سلبياً؛ يوحي بالانحراف عن العقيدة المهدوية الحقّة؛ مع أنه في الوقت نفسه قد يحمل - بلحاظ حيثيات أخرى - معنىً إيجابياً من قبيل: تمثّل التمهيد لظهور المهدي عليه السلام الذي يقتضي القيام بأشرف وظيفة في عصر غيبة الإمام المنتظر ألا وهي مقاومة الظلم والاستبداد. وكيفما كان فالاستقراءات التاريخية وقفت على أنماط مختلفة لتلك التمثّلات السلبية يمكن حصرها في الآتي:

- التمثّل بشخص الإمام المهدي عليه السلام؛ أي ادعاء التمثّل للظاهرة المهدوية أنه هو المهدي المنتظر. وهذا النمط أكثر التمثّلات رواجاً في التاريخ المهدوي؛ مع أنه بناءً على الأسس العقدية والأدلة القاطعة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام واضح البطلان.

- التمثّل بالنيابة الخاصة؛ وهو نمط مردود ابتداءً بنص من الإمام المنتظر عليه السلام نفسه، من خلال التوقيع المبارك الصادر عنه قبل غيبته الكبرى إلى السفير الرابع (علي بن محمد السمري)، فعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكنى بـ «محمّد» قال كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري رحمه الله فحضرت قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفينتين والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». (قال)



فنسخرنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقليل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: (الله أمر هو بالغه) وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه^(٢٢).

- التمثّل بالنيابة العامة؛ وهو تمثّل مشروع يستدعي شروطاً مستعصية لا يسعها إلا عالم ثبتت أعلميته واجتهاده وعدالته من خلال شهادة ذوي الاختصاص والخبرة. أمّا دليل مشروعيته فهو التوقيع المروي عن الإمام الحجة عليه السلام والذي نصّه: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ أَحَادِيثِنَا، فَإِنَّهُمْ حَجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»، وما ورد في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا لِهَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ، فَلِلْعَوَامِ أَنْ يَقْلُدُوهُ»^(٢٣). وقد يتشكل (بعض ذلك من بعض)؛ بمعنى أن العقل يمكنه رصد نماذج أخرى من التمثّلات المهدوية تتقاطع فيها الأنماط الثلاث المذكورة أعلاه. فمدعي النيابة العامة قد يرتقي بنفسه أو بغيره من خلال حاكمية المخيال الشعبي إلى ادّعاء مرتبة النيابة الخاصة، بل ربما إلى التمثّل الشخصي للمهدوية، وهذا هو مصبّ الدراسات التحليلية لتمثّلات ظاهرة المهدوية في مخيال الشعوب. إذ الملاحظ أن كثيراً من الأحكام الصادرة في حق أناس نُسب لهم (ادّعاء المهدوية) خصوصاً في بلاد المغرب الإسلامي لم تكن أحكاماً منصفة؛ بل أكثر تلك الأحكام تحمل تناقضات صارخة قد غدّتها الأهواء الأموية والعباسية ضد أتباع أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن الخلفيات القومية أو السياسية.

بين مطالعة التاريخ وتفهم التاريخ:

حينما نقرر جعل (الماضي) موضوعاً لدراستنا فإننا نكون قد أحلنا عقولنا على قراءة التاريخ هرمنيوطيقياً؛ أي محاولة تفهم للأحداث التاريخية التي نود قراءتها من خلال تمثّل المخايل التي سادت تلك العصور.

وهنا يكمن الفرق بين مطالعة التاريخ وتفهم الوقائع التاريخية؛ فمطالعة التاريخ بمعزل عن محاولة تفهمه هي سياحة اركيولوجية^(٢٤) وإجحاف علمي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وإقحام خلفياتنا الأيديولوجية والدينية... أمّا تفهمنا للأحداث التاريخية المتعلقة بالمقدس (ظاهرة المهدوية) وتمثلاته فهو محاولة للوقوف على العلاقة التي تربط بين الاعتقاد والمخيال الاجتماعي من جهة والخلفية الاجتماعية المكوّنة للموروث العقدي الشعبي من جهة أخرى، حينها فقط سيكون الماضي المدروس حاضراً والحاضر استشرافاً للمستقبل.

جذور عقيدة المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي:

عمدت الحركات الإصلاحية إلى استلهاً ما كان سائداً لدى المغاربة من تمثلات دينية، كان على رأسها الإيمان المطلق بالغيبات، التي عدّها ابن خلدون من خصائصهم قائلًا: (وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الإنساني من أشخاصهم)^(٢٥)، ولعلّ الأمر الذي شكّل أقوى الأسباب الباعثة على قابليتهم للالتفاف حول مدّعي المهدوية. فمع أن عقيدة المهدوية قد نمت في أحضان الفكر الشيعي إلا أن الدراسات الأنثروبولوجية في بلاد المغرب الإسلامي تشير إلى عراققتها كظاهرة في المخيال الشعبي لتلك المنطقة^(٢٦). بل إن ما يُستشف ضمناً من السيرة التاريخية لحكومة (الأدارسة) وحركة (العبيديين) في بلاد المغرب لدليل حي على اعتقاد المغاربة بعقيدة المهدوية^(٢٧). ومع ذلك فإن أوج تمثلات المهدوية في بلاد المغرب - بغض النظر عن صحتها - يؤرخ لها ابتداءً من القرن السادس الهجري، حيث صرخت التناقضات الاجتماعية من رحم القهر السلطوي وتوالت الحروب والنكسات الاقتصادية لتكوّن أرضية مناسبة لطرح ظاهرة المخلص - خصوصاً حينما احتدم الصراع بين المسيحيين والمسلمين في الأندلس - لدرجة انسحاب تلك التمثلات إلى داخل البيت الصوفي فصاروا (يعيّنون الوقت والرجل والمكان



فينقضي الزمان ولا أثر لشيء من ذلك... فيرجعون إلى تحديد موعد آخر^(٢٨)، فضلاً عن وجدان العامة الذي لم تفارقه قط فكرة ظهور المهدي المنتظر. ومع كون الشواهد الدينية تؤصل إلى قداسة عقيدة المهدوية وتمثلاتها بصفاتها وعداً إلهياً بظهور مخلص يرتقي بالإنسان إلى سر الهندسة الإلهية للخلق؛ إلا أن معظم الدارسات التاريخية والأنثروبولوجيا قد صرحت بأن توظيف ظاهرة المهدوية في بلاد المغرب قد غلب عليه البعد السياسي المؤطر ضمن حركة ثورية أو حزبية تدعو إلى الالتفاف حول أحد زعمائها المدّعي للنسب الشريف^(٢٩).

تمثلات ظاهرة المهدوية في مخيال دول المغرب الإسلامي:

يفتقر المقدس الديني في مقام الإثبات إلى محيط سوسيولوجي تتجلى فيه تأثيراته التكوينية والتشريعية، وهذا يرجع إلى فاعلية المخيال الجمعي في جعل ذلك المقدس الديني يسير وفق سياقه التكويني؛ وهذا ما يُفسر ظهور تمثلاتها بأنماطها المذكورة سلفاً على مستوى دول حكمت بلاد المغرب الإسلامي. فالمهدوية باعتبارها مشروعاً شمولياً تتقاطع فيه الولاءات العليا لتطال الأمة سياسياً ورمزياً؛ باتت لفترة ما الوسيلة الوحيدة لإضفاء الشرعية على الحكم^(٣٠).

الدولة الإدريسية:

أول ما يتبادر في سياق دراستنا هذه هي شخصية المولى إدريس الأكبر مؤسس أول دولة مغربية إسلامية، فهل كان مدّعيّاً للمهدوية؟ ترجع أصول دولة الأدارسة في المغرب الأقصى إلى إدريس الأول بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ الذي أتى المغرب بعد ما شهد واقعة فخ وشارك فيها؛ وهذا الأمر يساعدنا كثيراً في تأطير حركته الإصلاحية من الناحية العقدية والولائية لأهل البيت عليهم السلام.

حيث صرّح والده الذي كان قائداً لمعركة (فخ) إبان خروجه على العباسيين بأنه خرج داعياً إلى الرضا من آل محمد ﷺ؛ وقد كان عليّ ويحيى ابنا عبد الله يقولان: (ما خرجنا حتّى شاورنا أهل بيتنا؛ وشاورنا موسى بن جعفر عليه السلام فأمرونا بالخروج) (٣٢).

دخل إدريس المغرب برفقة مولاه راشد - الذي كان يحسن البربرية - في غرة ربيع الأول (١٧٢ هـ) بعد مروره على مدينة (تلمسان) الجزائرية ثم إلى (طنجة) ومنها إلى (وليلي) التي تستوطنها قبيلة (أوربه) وهي أكبر قبائل الأمازيغ. وعلى ديدن أهل البيت عليه السلام شرع (إدريس) في الدعوة إلى نبذ الظلم العباسي واستنهاض الهمم والعقول في قبيلة (أوربه) التي التفت حوله قلباً وقالباً وبايعته على الأمانة وتبع ذلك بيعة القبائل الأخرى في وليلى وما حولها. وقام فيهم خطيباً فقال:

(أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذين تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا البربر اليد الحاصدة للظلم والجور وأنصار الكتاب والسنة القائمين بحق المظلومين من ذرية النبين فكونوا عند الله بمنزلة من كان مع الله. أتيتكم وأنا المظلوم الطريد الخائف الذي كثر واثره وقل ناصره وقتل أخوه وأبوه وأهله فأجيبوا داعي الله) (٣٣). وبعد أن استتب له الأمر إلى غاية سنة (١٧٧ هـ)؛ أي بعد خمس سنوات من بيعته، فقد تقرّر اغتياله بتحريض من الوزير البرمكي وبأمر من هارون العباسي. فأرسل له (سليمان الشماخ) مظهراً ولاءه له ولأهل البيت عليه السلام فأمنه إدريس وقبله بين أنصاره. ولما تمكّن منه دسّ له السم (٣٤).

ولما وضعت زوجته (كنزة البربرية) مولوداً ذكراً سمّته على اسمه حيث عرف فيما بعد باسم (إدريس الثاني) مؤسس الدولة الإدريسية العظيمة التي



استحكمت زهاء قرنين من الزمن (١٧٥ هـ إلى ٣٧٠ هـ). فقد بويع إدريس من قبل القبائل البربرية واستتب له الحكم بعد إزالة خطر الأغلبة الأمويين إلى أن توسعت رقعة دولته لتبلغ بلاد الأندلس؛ إلا أن الشهادة قد سارعت إلى إدريس الثاني عن عمر يناهز السادسة والثلاثين فقتل مسموماً.

شاهدنا الموضوعي هنا، هو أن حركة إدريس الأول والثاني في المغرب قد استمدت مشروعيتها من إمام زمانها (الإمام الكاظم عليه السلام)؛ ولعل ما نسب إلى الإمام الرضا عليه السلام في قوله: «إدريس بن عبد الله من شجعان أهل البيت، والله ما ترك فينا مثله»^(٣٥)؛ «رحم الله إدريس بن إدريس، كان نجيباً وشجاعاً في أهل البيت، والله لم يكن له شبيه بيننا» لشاهد على أن سيرة هذين السيدين الشريفين خالية من ادعاء الإمامة لنفسيهما؛ فكيف يتمثلان بادعاء المهدوية يا ترى؟!!

إن ما يلتبس على الكثيرين ممن نسبوا (ادعاء المهدوية) للمولى إدريس - إن أحسننا الظن بهم - هو الخلط بين مقام التمثل الشخصي لظاهرة المهدوية ومقام التمثل الوظيفي (التمهيد) وشتان بين المقامين. فمقام التمثل الوظيفي هو مقام إنتاج متجدد وبنية إصلاحية لحالة اليتيم السياسي والتاريخي تحاكي طوبوية^(٣٦) المشروع المهدوي.

دولة الموحدين:

من أبرز الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي على أساس الفكرة المهدوية، مشكّلة منعطفاً حاسماً في تاريخ المنطقة، هي دولة الموحدين التي أسسها (المهدي بن تومرت). ففي إحدى قرى جبال (دَرَن)^(٣٧) جنوب المغرب الأقصى؛ وُلد محمد بن تومرت حوالي عام (٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م) من بطون قبائل (مصمودة البربرية)، حيث ترعرع فيها حتى اشتد عوده، ثم تنقل طالباً للعلم على مرّ أربع عشرة سنة. وبعد عودته إلى المغرب شرع في بثّ دعوته على أساس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستغلاً تناقضات الحكم المرابطي، وناهلاً من مذاهب عديدة. وكانت المهدوية من بين الأفكار الأساسية التي تبنّاها وبنى عليها مشروعه الإصلاحية^(٣٨)، بعد أن ربط نسبه بالنبي ﷺ، مع أن بعض المؤرخين نفى عنه ذلك مُدّعياً أن توظيف ابن تومرت لفكرة المهدوية كان خبرة لوجستية لاستتباب الحكم. وبعد فترة قصيرة من العمل السري، وتحديداً سنة (٥١٨ هـ / ١١٢٤ م)؛ خرجت الدعوة الموحّدية إلى ميدان العمل المسلّح، ومُنيّت بهزيمة في معركة البحيرة عام (٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م)، استتبعها وفاة ابن تومرت.

انخرط توظيف فكرتي الإمامة والعصمة كرمزين أساسيين للمهدوية في البناء الإيديولوجي للدولة الموحّدية، حيث يقول المهدي ابن تومرت في رسالة له عن الإمامة؛ إنّها:

ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة، ولا يصحّ قيام الحق في الدنيا إلّا بوجوب اعتقاد الإمامة في كلّ زمان من الأزمان، إلى أن تقوم الساعة؛ ما من زمان إلّا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه... ولا يكون الإمام إلّا معصوماً من الباطل... معصوماً من الضلال... معصوماً من الجور...^(٤٠). وليس له مصداق في ذلك العصر إلّا المهدي المنتظر ﷺ، وهذا ما أكدّه المحقق الدكتور عبد الغني أبو العزم حينما قال: (إلّا أنه - يقصد ابن تومرت - يقفز بعد الخلافة الراشدية عبر القرون ليعتبر أن الإمامة الحق هي إمامة المهدي المنتظر الذي يعيد الحق إلى سالف عهده)^(٤١).

والعجيب أن سماحة الدكتور قد جوّز لنفسه محاكاة الحالة النفسية التي كان عليها ابن تومرت؛ فيدّعي أن ابن تومرت قد أشار تلميحاً بأنه هو شخص المهدي المخلص!^(٤٢).



ولعلّ مقارنة الإمامة عند ابن تومرت؛ قد دعت المؤرخ عبد الواحد المراكشي إلى القول بأنه (كان يُبطن شيئاً من التشيع، غير أنّه لم يُظهر منه إلى العامّة شيئاً)؛ إلّا أن البعض ينكر ذلك مدعيّاً أن التأثير الشيعي الواضح في ظاهرة التمثلات المهدوية على مستوى الحكومة في فترة دولة الموحدين، لم يرتق إلى التأسيس العقدي أو المذهبي^(٤٣).

أمّا رأينا في الموضوع؛ ومن خلال تتبعنا لتاريخ الدولة الموحّدية؛ فإن ثبوت (ادّعاء المهدوية) من قبل ابن تومرت ليس وارداً إلّا إذا أثبتنا سكوته عمن نعتوه بها ورأوا فيه شخص المهدي المنتظر؛ أو إذا ثبت توظيف ما كان يسوقه من أحاديث إمامة (الإمام المهدي عليه السلام) لأطماع سياسية سلطوية إلّا أنني أستبعد هذه الأخيرة من باب السالبة بانتفاء المحمول. أمّا الأدلة التي اعتمدها بعض الدارسين لتاريخ (المهدي ابن تومرت) في إلصاق هذه التهمة به؛ فإنها لم تتولّد عن منهج علمي، إنّما غذتها نعمة طائفية وعصبية وهوى أمويّ خصوصاً أن رسوخ التمثّل المهدوي التومرتي في مخيال أتباعه كان له الأثر البالغ في استمرار الحركة الموحّدية ونجاحها في إقامة دولة رصينة على جميع المستويات.

الدولة العبيدية:

يُرجع المؤرخون أول ظهور لبذرة التشيع في بلاد المغرب الإسلامي إلى (سنة ١٤٥ هـ)؛ حيث دخل أبو سفيان الحسن بن القاسم وعبد الله بن علي بن أحمد المشهور بالحلواني؛ موفدين من قبل الإمام الصادق عليه السلام إلى أرض المغرب الإسلامي لنشر علوم أهل البيت عليه السلام؛ ونسب للإمام أنه قال لهما: «المغرب أرض بور فاذهبوا وأحرثاها حتّى يجيء صاحب البذر»^(٤٤)، فنزل أحدهما قرية تسمى مرماجنة^(٤٥) إلى شمال تونس حالياً، والآخر توغل في بلاد البربر لتحضنه في الأخير قبيلة (كتامة)^(٤٦) البربرية. أمّا عبيد الله الشيعي (صاحب البذر) فقد التحق بأرض كتامة بعد وفاة أبي سفيان والحلواني اللذين قاما

بمرحلة الإعداد الديني والسياسي، وبعد أن دعاه أشراف قبيلة كتامة إثر لقائهم به في موسم الحج. بدأ عبيد الله بمرحلة التأسيس والتحسيس بأهمية الوقوف في وجه الظلم العباسي وأزلامه إلى أن استتب له الأمر في استقطاب قبائل أخرى على حساب نفوذ (دولة الأغالبة) الذين واجههم عسكرياً في كثير من المناطق المغاربية.

تذكر بعض الدراسات أن ادّعاء عبيد الله للنسب النبوي الشريف - باعتباره شرطاً أساسياً لارتداء ثوب المهدوية وتلقيب نفسه بالمهدي - كان أول خطوة في مشروعه المهدوي؛ أمّا بعضها الآخر فتعتبره ممهداً لمشروع المهدوية الفاطمية. تبدو تهمة ادّعاء المهدوية من قبل عبيد الله الصنعاني تهمة واهية؛ أولاً للنت الذي يوصف به عادة من قبل الدارسين لسيرته وهو وصف (الشيعة) حيث لا يخفى أن استخدام هذا الوصف كدليل إقناعي هو مصادرة واضحة كما يذكر أحد الباحثين في كلام هزيل: أن بربر شمال افريقيا كانوا مدفوعين في تشيعهم لدرجة أنهم لم يفرقوا بين حب أهل البيت عليهم السلام والتشيع^(٤٧)، وثانياً: أن تغذية المخيال الشعبي المغاربي وإحيائه بأمر خروج المهدي عليه السلام في آخر الزمان لا يلزم أبداً ادّعاء المهدوية أو تلقيب عبيد الله نفسه بالمهدي.

تمثّلات ظاهرة المهدوية في مخيال مقاومة الاحتلال الفرنسي:

تستدعي السيرة التاريخية للانتفاضات وحركات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي من جهة؛ وظاهرة ادّعاء المهدوية من جهة أخرى؛ وقفة تأمل. فمقاومة الأمير عبد القادر انتهت سنة (١٨٤٥ م)؛ أعقبها فترة (هدوء) دامت إلى سنة (١٨٥١ م)، ثم قامت ثورة (الزعاطشة) وثورة (القبائل) وثورة (الأوراس) بين (١٨٤٩ م و ١٨٥٧ م)، أعقبتهما فترة (هدوء) أخرى دامت إلى سنة (١٨٦٣ م) ثم قامت ثورة (أولاد سيدي الشيخ) بالجنوب الغربي سنة (١٨٦٤ م) ثم كانت فترة (هدوء) إلى أن قامت ثورة (١٨٧١ م) بالقبائل الكبرى والصغرى



ثم أعقبتها فترة (هدوء) إلى أن ظهرت ثورة أولاد سيدي الشيخ الثانية سنة (١٨٨١م) وهكذا دواليك إلى الثورة الكبرى.

إن حالة النوسان^(٤٨) المتأرجحة بين الهدوء والانتفاضة ضمن السياق الزمكاني المذكور تشير إلى أن (حركات المهدوية) لعبت دور المُفعّل للمخيل المقاوم - حين تخفق الانتفاضات المسلحة - من خلال إثارة الغيرة الوطنية وإبقاء أمل الاستقلال ثابتاً لا يتزعزع، ورصد حالة الأمل الجماهيري بظهور المخلص عند كل نقطة انطلاق جديدة. يقول أحد الباحثين الفرنسيين: (ما هو ثابت ومؤكد أن الشعب الجزائري قادر على الصمود أمام النكبات والمحن. لقد كتب الله على المسلمين أن تنالهم المصائب وعليهم أن يتجلدوا بالصبر ويتحلوا بالعزيمة القوية إلى أن تحل ساعة الفرج)^(٤٩).

لقد مسّت الظاهرة المهدوية المخيال الجماعي لشرائح اجتماعية واسعة كانت تعاني من نير الاستعمار الفرنسي، ورغم التفطيت الذي تعرضت له البنى الاجتماعية والاقتصادية التقليدية بفعل سياسة الرأسمالية الاستعمارية، إلا أن تلك التمثّلات المهدوية قد حافظت على القدرات القتالية وطاقات المقاومة لدى هذه الشرائح الاجتماعية.

تزعّم أكثر التمثّلات المهدوية التي وقفت في وجه الاستعمار الفرنسي شيوخٌ ينتمون إلى الطرق الصوفية؛ إلا أن بعض الخلّص من أصحاب البصيرة النافذة حارب على جبهتين: جبهة الاستعمار الفرنسي، وجبهة المدّعين للمهدوية. من قبيل الأمير عبد القادر والشيخ الحداد والشيخ بوعمامة. ولعلّ مقاومة الأمير عبد القادر لحركة الشيخ موسى بن الحاج الدرقاوي بإقليم المدية سنة (١٨٣٤م) والشيخ محمد الصغير التيجاني بإقليم الجنوب سنة (١٨٣٨م) خير دليل على ذلك.

وخلال سنة (١٨٤٥م)، ترأس الشيخ (بومعزة) أحد شيوخ الطريقة

(الطيّبة) انتفاضة ضد الاستعمار انطلقت من إقليم (الظهرة) إلى (جبال الونسريش) إلى إقليمي (التيطري والحضنة). فتلقب بالمهدي محمد بن عبد الله وكثر أشياعه فاشتهر ذكره عند العام والخاص^(٥٠).

عقب ثورة (١٨٧١ م) الشهيرة وفي ظل وضع اقتصادي مُتردّ اتسم بالجفاف والعوز العام، قامت حركة الشيخ محمد أمزيان بإقليم الأوراس سنة (١٨٧٩ م)، كان الشيخ إماماً فقيهاً، ينتمي إلى زاوية تبرماسين الرحمانية، اعتبر نفسه مهدياً لإثبات قوته وتمكين نفوذه، فكان يوقع الرسائل التي يوجهها إلى العروش (محمد بن عبد الرحمن الإمام المهدي، المبعوث إلى الحق ويهزم من كفر)^(٥١).

تمثّلات ظاهرة المهدوية في مخيال الزوايا:

تحكي أركيولوجيا^(٥٢) الزوايا وأضرحة أولياء الله الصالحين عن جغرافية المقدّس الديني وتجذّره في المخيال الشعبي لتلك المناطق؛ حتّى قيل: (إذا كانت بلاد المشرق هي بلاد الرسل والأنبياء، فإن بلاد المغرب هي أرض الصالحين والأولياء)^(٥٣)، حيث ظلّ هذا العنصر الأصيل ولا يزال رافداً مهماً على المستوى المعرفي والنضالي.

تلبس الظاهرة المهدوية في المخيال الصوفي ثوباً غنوصياً يتأرجح بين الولاية الظاهرة والباطنة؛ مما يجعل فهمها أمراً مستعصياً على غير المتخصص، وهذا ما ننأى عن الخوض فيه مقتصرين على السيرونة التاريخية لظاهرة المهدوية في المخيال الصوفي لبلاد المغرب الإسلامي.

تختلف ظاهرة المهدوية عن الطروقية^(٥٤) المغربية، فهي ظاهرة شمولية تأبى الحياء والتخندق؛ وهذا ما لا ينسجم مع أيديولوجيا الزوايا التي تأسست على نظرة إقليمية يحمي حرمتها البعد الأمني الذي توفره الحكومة. بخلاف (المهدوية) التي تعكس الطابع الحسبي في تعاملها مع الحكومات المستبدة والجائرة، وتعتمد استراتيجية التأييد الغيبي في نجاح مشروعها الإصلاحية العالمي.



لم يجد من لاح له من متصوفة المغرب الإسلامي أمل الترقى المقامي من الولاية إلى الإمامة وسيلة أشرف وأنجع من (ادعاء المهدوية) في تسنُّم ظهر الإمامة. فراح كثير منهم يلتمس التأييد من أحكام النجوم والقرانات والحدثان لتوقيتاتهم الزمكانية والوصفية، حتّى إذا انتفت مزاعمهم عادوا إلى توقّيات أخرى. إلّا أن الملاحظ هو تجدد الأمل في ظهور صاحب الأمر الحقيقي بالموازاة مع تجدد المزاعم، ولعلّ ذلك يرجع إلى الثقة العمياء بمن يتصدّر مقام الولاية الصوفية^(٥٥).

تمثّلات ظاهرة المهدوية في المخيال الشعبي الأدبي:

يحتل الأدب الشعبي مكانة مهمة في المخيال المغاربي؛ خصوصاً (الملحون) منه الذي يعدّ ضرباً من ضروب الشعر المغربي، وديواناً يحكي حياة المغاربة ويستعرض حضارتهم العريقة. وحيث إن جبل الوصال مع أهل البيت عليه السلام يمثّل الصورة القدسية في مخيال الشعب المغاربي؛ فإن سيرتهم ودورهم في حفظ الرسالة المحمدية قد شكّل الموضوع الأساس لهذا النمط من الشعر الشعبي. يعتبر الباحث الاثنوغرافي^(٥٦) (ج. ديارمي) الأدب الشعبي نمطاً من أنماط المقاومة القولية التي ترسّخ أمل التحرر من نير الاستعمار وتزيح صورة اليأس عن المخيال المغاربي؛ فيقول: (الصورة الصادقة للشعور الجماهيري المتطلع إلى جلاء الفرنسيين من البلاد)^(٥٧). وبعبارة أخرى فهو أدب نضالي المنحى يعبر عن ذاتية صادقة تركز على ثوابت تاريخية مثل الارتباط بالأرض، والتطلع إلى الحرية ومقاومة الاستبداد. فالمجتمع الجزائري قد قصّ للتاريخ مخياله النضالي من خلال الصور الشعرية لقصائد الشعر الملحون بدواً من التأريخ القديم وصولاً إلى صور بطولية أخرى لزعماء الكفاح الوطني تعيد الاعتبار إلى الذات الجماعية التي أبت إلّا أن تعيش عزيزة أبيّة^(٥٨).

ترجع موضوعية الظاهرة المهدوية في الشعر الشعبي الجزائري إلى ما بين

(١٨٨١-١٩١٨م)؛ حيث اقترنت سنة (١٩٠٨م) بحلول القرن الرابع عشر الذي اعتبره الرأي العام الجزائري زمن ظهور (الإمام) المصطفى من قبل الله لقيادة المؤمنين وإنقاذهم من جور الكافرين. فترات التمثلات الشعرية في فضاء الأدب الشعبي متغنية بالحاج قيوم (قاهر سبعة أجناس منها الفرنسيين)^(٥٩) وبجيشه العرمم الذي يضرب بمناطده -Zeppelins- في السماء وبغواصاته في البحر وبمدافعه ذات عيار (٤٢٠) في الأرض^(٦٠) فما على فرنسا إلا أن تغادر الجزائر أمام زحف القوات الألمانية.

حلل الباحث ديارمي^(٦١) مدونة (ديوان الصالحين) التي يرجع تاريخها إلى سنة (١٩٠٨م) وقد عثر عليها بناحية (البليدة)^(٦٢)، فلاحظ أنها تحكي (مداولات الأولياء الصالحين بإشراف القطب سيدي عبد القادر الجيلالي) وتدعوهم إلى تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي بهذا الدعاء: (يا أيها الأولياء الصالحون قوموا وتكفلوا بقضيتنا... ابعثوا إلى هذه الأمة صاحب الوقت ومولى الساعة).

من نماذج هذا النمط الشعري الذي يعدّ لوحة شعرية صادقة تجسّد الإيمان بهذا الوعد الإلهي؛ ما أنشده أحد أولياء الله الصالحين (سيدي عيسى الأغواطي)^(٦٣) الحسنّي؛ قال:

حتّى أن سنّى نورها تحت الثرى
ورضات بيك اميارها راجل وأمرا
في دوح الوجود يا ولد الزهرا
فوق أعناق الطاغيين أنبت شجره
في نور الكبره وفي فهر القدرة
بسخاوتكم يا ملوك أهل العمره

طلعت شمسك من سماوات الفردوس
وطاعت لك يا بن الرياس الروس
اسعدك سعدين بألف أصبحت عروس
في مكناس ألفين عفس فيها دوس
العين اسمك للعناية يا مرفوس
البا يا موالى بهجة النفوس



البدال اسمك في كفك الأغوال تبوس
والقاصي في استنبول أهل القوس
مولاي إدريس بيك في كم روس
كان طعام الناس قبل أمرك مسوس
نصرتك يا فحل الفحول إحاطة سوس
كان أباك بسطوته كلاب ضروس
اخلفته في سيرتك حتى الناموس
تاب العاصي تاب من هو فلعوص
اسلاحك عدام يبري كل حسوس
نصره فيها ألف هيبه والمنقوص
عمرت بيك بلاد يا سيدي محروس
جامع مانع نلتها من غير فلوس
مقواك ولد المصطفى جنة قيطوس
خذها كيف عصاة موسى بها حوص
حاتم طي وليد النبي برنوس
فرنسيس وسبنيول ملوك الناقوس
من زفرات محايك لبدا محسوس
اعماله وهران اخليها دبوس
ما يبريه إلا كتاب يحيي من سوس
وقال في خروجه:

سيف الحق نسل من غمده مسنون
لفيف الحق انحل من كن فيكون

حسك في صنعا وفي الشام ومصر
ما يجهل ذكرك ولا ذكر القدره
ملوك السود أولادهم بيك أمرا
كيف ظهرت أطياب مشروب الوري
وأفعالك في تينبكتو مشكوره
غرب وشرق في القدر شامخ السيره
يطيعك لو تامره يبرز برا
ورضات بيك الصالحين أهل النصره
حتى بالجازيب يا زين الغره
من لا طاعك طاح في النار الحمرا
بيد البطش شديد يا بدر الداره
معطى العاطي قدها لك مظفوره
سلسلة الرسلا والأنبياء الحضرة
وتبع طريق جدك منجوره
فوق لباسات الملوك المذكورة
أرشد منهم عسايس هجماتك مره
في بر عسايس هجماتك مره
بخنافر الأرياف من ذيك الكفره
عنوانه طابع العناية والكبره^(٦٤)

وعلى سر البطش في الظلمه قطع
ريش ريش القهر من فمه يسطع



بدر الفخره من السحاب خرج في لون
شمس الفتح شعاعه من كبد الكون
لمع أتجلى ممدوح بهجة سر الكون
علا الإسلام مع المواهب لون بلون
إلى أن يقول^(٦٦):

راني في هذا البلاد هنا مرهون
يخرج سعدي معاك في من هو مدفون
ويكت نوفي نقابلك ونقول لهون
إذا ربي عطفك وسخات عيون
منك قربني وبدل هذا اللون
حياتي مت لكني ماني مدفون
راني عايش بيك يا عيش الكمون
ما تفسد في محبتك يا سيدي طنون
بنذيق غناك والغرام يصب مزون
نقره صحيح وكان مكتوب من الكون
تملكها من واد نون إلى طيلون
تسلب حتى الي تبع سيرة قارون
كنت أنت وعنايتك في الكون كمون
يا ممضاك بسيف من ربي مسنون
وفي حجر ك أولادتي يحياوا سكون

أتخير العين في الشعاع يذا هو شع
انفلتت فوق الوري والنور
جبهه ربي لكورة العالم يدفع
أخباراته وال بغى السع يلسع^(٦٥)

نرجى في من آل خبرك يتبوع
يتمحلى في دولتك راه مددع
يا من فيك الخير راعيني واشفع
وأنت هلالك فوق من طالع يطلع
والي راني لابس له لين يرجع
انصرني يا بن الرسول ادفع وانفع
أنت زادي وماك في القلب منفع
حي وتحت التراب راني متولع
الساني في عجايبك شكره يفزع
من تفكارك عاش فكري متوجع
وتجيك هدايا اسطنبول الشايح
تبرد نسفاتها اللفة هي واللفع
وعداك الحساد بعدك تضعضع
رماحك تهزم ما خذه من كل سبع
ويذا ماتوا في حجر جدك يشفع

بيدي قابض فيك مانيشي بالصبع^(٦٧)

خاتمة:

ترجع صعوبة ملامسة جدلية المقدّس وتمثّلاته في المخيال المغاربي لأمرين مهمين: الأول هو قياس المقدّس بنجاح تمثّلاته الآنية بدلاً عن قياس التمثّلات بفسوخ المقدّس نفسه. إلّا أن تجاوز فشل تلك التمثّلات بعد كل كبوة ينبئ عن أن الحقيقة المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي حقيقة راسخة وأن المهدي المنتظر أمل اللحظة والآن. ما يعني أن الظاهرة المهدوية امتزجت مع الثقافة الأمازيغية المحلية لبلاد المغرب الإسلامي امتزاجاً مثولوجياً لتكون محرّكاً رئيساً لحركات المقاومة والتحرر من نير الاستعمار.

في آخر هذا البحث المتواضع يجدر بنا الالتفات إلى أن كثيراً من الدراسات التاريخية التي تناولت المقدّس بنحو عام أو (ظاهرة المهدوية) بنحو خاص في بلاد المغرب الإسلامي قد وقعت عمداً أو استدراجاً في خندق حرب مخيالية (سيكوترونية)^(٦٨)؛ أي (المخيال وصناعة المخيال المضاد) لتوجيه المخيال المغاربي فيما يتعلق بالمقدّس وعلى رأسه ظاهرة المهدوية إلى دائرة الخرافة والأساطير؛ وإرجاع الفشل الذي منيت به بعض الدول الحاكمة في بلاد المغرب الإسلامي إلى نفس الاعتقاد بالمهدوية رامية من خلال ذلك إلى إيجاد حالة من الإحباط الوجداني والعملي في نفوس من حملوا راية المقاومة، بيد أن الصور المخيالية لظاهرة المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي كانت وستظل من أكبر المحفّزات لبقاء راية النضال خفاقة في وجه الظلم والجور.

الهوامش

١. صيغة منحوتة من إدغام كلمتين (سيسيولوجيا) و(ثقافية) تشير إلى تقاطع البعد الاجتماعي والثقافي.
٢. المواضعة إشارة إلى الوضع اللغوي.
٣. صيغة منحوتة من إدغام كلمتين (سيسيولوجيا) و(أنثروبولوجيا) تشير إلى تاريخ علم الإنسان الاجتماعي.
٤. تخصص دقيق من فروع الأنثروبولوجيا يهتم قبل كل شيء بأصل وطبيعة الدين؛ حيث يدرس الظواهر الدينية انطلاقاً من بعدين: زماني (synchronique) وآخر تعاقبي وتكاملي (diachronique).
٥. فريدريك فيلهيلم نيتش (Friedrich Nietzsche) فيلسوف وناقد وشاعر ألماني، كان لمقارباته الفلسفية تأثير كبير على مسار الفلسفة الغربية، له مقاربة تسمى بـ (موت الإله) أو أقول المتعالي تشير إلى أن الناس قد أفنوا المتعالي من خلال أعمالهم لذا يتعين أن يتعالي الإنسان ليحقق صورة الإنسان المتأله أو المتعالي.
٦. الشهيد الصدر، بحث حول المهدي، مقدمة المؤلف.
٧. الجوهري الفارابي أبو نصر، الصحاح؛ تاج اللغة، مج. ٦، بيروت، ١٩٨٧، ص. ٢٥٣٣.
٨. ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج. ١٥، دار صادر، بيروت، ص. ٣٥٤.
٩. الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج. ٥، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص. ٢٣٠.
١٠. عرف هذا الاصطلاح الرواج في منتصف القرن الحالي على يد عالم التحليل النفسي الفرنسي جاك لاقان (Jacques Lacan).
١١. السيرة التاريخية تمثل حركة تعاقبية وتكاملية للأحداث التاريخية وفق أيديولوجية خاصة.
١٢. الذاتية (Subjectivism) مذهب فلسفي رأى أن المعرفة تدور مدار الخبرة الذاتية والانكفاء على الذات في تفسير الوقائع والمعتقدات؛ وقد وظفتها هنا لأشير بأن المخيال الفردي لا يعتد به في الدراسات الأنثروبولوجية إنما الاعتداد يكون بالمخيل الاجتماعي.
١٣. ينظر جذر (قدس)، ابن منظور، لسان العرب.
١٤. ينظر جذر (قدس)، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، التهذيب في اللغة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، ٢٠٠١ م.
١٥. يراجع قاموس الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا؛ بيار بونت وآخرون، ترجمة مصباح الصمد، نشر (مجد)؛ ط٢، بيروت، ص ٦٦٤-٨٦٥.
16. PARKIN (R.) and DE SALES (A.), Out of the study and into the field. Ethnographic theory and practice in French anthropology, New York, Oxford, Berghahn Books, 2010, p. 45.
17. JUNG (C.-G.) et VON FRANZ (M.-L.), L'homme et ses symboles, Paris, Robert Laffont, 1990.
١٨. إدوارد بايرنت تايلور (Edward Burnett Tylor) أنثروبولوجي إنكليزي، و أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد (١٨٩٦ - ١٩٠٩) يعدد الواضع لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية. من أشهر مؤلفاته (الثقافة البدائية) و(الأنثروبولوجيا).
- TAYLOR (E.), Primitive culture, London, 1973, p. 19.
3. COURTAS (R.) et ISAMBER (F.-A.), «La notion du "sacré"» ; in Archives des sciences sociales des religions, vol. 44, numéro 1, 1977, p. 148.
٢١. المقصود من الدليل الأنفسي هنا هو: أن النفس المتلبسة بالمعتقد الديني (المقدس) تلامس حقيقة ذلك المعتقد من خلال انسحاب قدسيته على أفعالها؛ فلا تحتاج حينها إلى تعمّل فكري لتدرك حقيقة ذلك

الهوامش

- المقدس.
- ٢٢.. دعوى السفارة في الغيبة الكبرى، آية الله الشيخ محمد السند: ص ٤١.
- ٢٣.. الاجتهاد والتقليد، الشيخ محمد مهدي الآصفي: ص ١٠٥.
- ٢٤.. أركيولوجيا: علم الآثار والفنون القديمة، وقد استخدمته في عبارة (سياحة اركيولوجية) لكي أبين أن الباحث التاريخي الذي يقف على سطحية الظواهر هو بمثابة سائح تجذبه جمالية الآثار بخلاف الباحث التاريخي الذي يسعى إلى تفهم الظواهر التاريخية ومتابعة ملامستها الاجتماعية والسياسية و...
- ٢٥.. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون: ج ٦: ص ١٣٨.
- ٢٦.. سجل البكري إحدى أقدم الإشارات التي يظهر فيها توظيف المهدوية، حينما ذكر متحدثاً عن صالح بن طريف البرغواطي، زعمه أنه (سَيَنْصَرِفُ إليهم في دولة السابع من ملوكهم، وأنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال، وأن عيسى بن مريم سيكون من أصحابه وَسَيُصَلِّي خلفه. وتكلم في ذلك كلاماً كثيراً تَسَبَّهُ إلى موسى الكليم وإلى سطيح الكاهن وابن عباس) البكري أبي عبيد الله، المسالك والممالك؛ الجزء الخاص ببلاد المغرب، تحقيق زينب الهكاري، مراجعة، محمد لغريب، مطابع ربا نيت، الرباط، ٢٠١٢، ص ٢٤٩.
27. Herman beck leonard, l'image d'Idriss II, ses descendants de Fas et la politique sharifienne des sultans marinides (656-869/1258-1465), Col-lection, Asfar, v. 3, traduction, Nambot. A. M, Editions, J. brill, leiden, 1989, pp. 17. 49
- ٢٨.. أرينال كارسيا، (التشوف اليهودي زمن المهدوية)، ترجمة، محمد لغريب، الرباط، ٢٠١٣، ص ٤٣٣.
- ٢٩.. استيتو محمد، (الجغرافيا وتفسير الظواهر الدينية في مقدمة ابن خلدون؛ الظاهرة الدينية أمودجاً)، منشورات، مجلة كلية الآداب بالقيطيرة، ع. ٩، ٢٠٠٩، ص ١٨٨.
30. MARIBEL Fierro, « Le mahdi Ibn Tūmart et al-Andalus: l'élaboration de la légitimité almohade », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée En ligne., 91-94 | juillet 2000
- ٣١.. مقال الطالبين لأبي الفرج الاصفهاني: ص ٢٩٩.
- ٣٢.. المصدر السابق: ص ٣٠٤.
- ٣٣.. ينظر الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس (رض)، أحمد بن عبد الحي: ج ١، ص ٤٣٤، وكذا (الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب)، ياسر طالب الخزاعلة: ص ١٥٧.
- ٣٤.. هناك روايتان في قتله: الأولى أنه قد أهدى إليه عطر مسموم فلما شمه نال السم من بدنه حتى التحق بالرفيق الأعلى. والثانية أنه أهدى له مسواك مسموم.
- ٣٥.. أعيان الشيعة ٢٣١/٣: إدريس.
- ٣٦.. مصدر صناعي يدعو إلى صناعة مُجْتَمَعٍ خَالٍ مِنَ الصَّرَاعِ تسوده المثل العُلْيَا؛ يقال فكر طُوبَاوِيٌّ؛ أي فكر يتحرك في فضاء مثالي من المثل والأخلاقيات.
- ٣٧.. وهي من أعلى قمم جبال الأطلس المغربي التي يطلق عليها حالياً (الأطلس الكبير) وأغلب سكانها من الأمازيغ.
- ٣٨.. الهاشمي العلوي قاسم، (حركة المهدوية في الغرب الإسلامي)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، ع. ١٠، ١٩٨٩، ص ١٨٤-١٨٣.
- ٣٩.. البيذق أبوبكر الصنهاجي، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عبد الوهاب بن

- منصور، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١، ص ١٢ و ١٣.
- ومن المصادر التي تذكر نسبة ابن تومرت إلى بيت النبوة نجد ابن خلدون يعتبر من أبرز المدافعين عن ابن تومرت، حتى أنه يذكر طريقتين لنسبه يؤيد كلاهما إلى إثبات النسبة المحمدية.
٤٠. انظر: الإمامة عند ابن تومرت - دراسة مقارنة مع الإمامية الاثني عشرية - علي الإدريسي - الجزائر - ديوان المطبوعات الجامعية- ١٩٨٧م، ابن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق د.ع بد الغني أبو العزم: ص ٢٣.
٤١. المصدر السابق، ص ٢٤.
٤٢. المصدر السابق.
٤٣. يراجع المهدوية كإيديولوجية سياسية بالمغرب، عبد الله حمودي، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي: عدد ٧-٨.
٤٤. ابتداء دولة العبيدين من كتاب العبر للمؤرخ ابن خلدون: ج ٤، ص ٤١؛ يرى البعض أن هذا الكلام جاء على لسان أبا سفيان؛ ينظر تاريخ الدولة الفاطمية.
٤٥. مرماجنة: قرية بإفريقيا تسكنها قبيلة هواره وبين مرماجنة والأريس مرحلة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٩.
٤٦. ابن خلدون، المقدمة، ج ١، ص ٤، أنظر أيضاً الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٨، ص ٣١.
٤٧. أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، علي حُسنِي الخربوطي، ص ٣٩-٤٠.
٤٨. كناية عن عدم الاستقرار والتغير المستمر، وهو لفظ يستخدم أيضاً في مجالات متعددة من قبيل الطب والفيزياء.
49. DESPARMET, J.- Les réactions nationales...- in BSGA, Alger, 1910.
٥٠. ابن ع المازري - المرجع السابق - ص ٢٢٢.
٥١. زوزو، ع ج.- ثورة الأوراس. - الجزائر، ١٩٨٦ - ص ٦٣.
٥٢. تم توضيح معنى هذه المفردة سابقاً في هامش رقم (٢٤).
٥٣. هذه العبارة هي مقولة مشهورة في بلاد المغرب تداولها المحققون باعتبارها من المشهورات.
٥٤. الطروقية لفظ مشتق من الطريقة التي يوصف بها المتصوفة عادة فيقال: أهل الطريقة؛ وهو لفظ مشهور عندنا في بلاد المغرب.
٥٥. يرجع إلى بحث ثملات ظاهرة المهدوية في مخيال مقاومة الاحتلال الفرنسي من هذه الدراسة لمعرفة بعض مدعي المهدوية من شيوخ الصوفية.
٥٦. نسبة إلى أثولوجرافيا المشتقة من الكلمة اليونانية (Ethnos) وتعني العرق والجنس، وهو فرع من فروع الدراسات الأنثروبولوجيا.
57. DESPARMET, J.- Les élégies et les satires politiques.- in BSGA, Alger, 1933.
58. DESPARMET, J.- Les chansons de geste 1830 - 1914.- in Revue africaine, Alger, 1932.
٥٩. إمّا أنه اعتبر هو (الإمام المهدي) أو أنه الممهد لظهور الإمام.
60. DESPARMET, J.- La chanson d'Alger pendant la guerre
61. DESPARMET, J.- Les cent et une séance. - in BSGA, Alger, 1910
٦٢. مدينة جزائرية.
٦٣. نسبة إلى مدينة الأغواط الجزائرية.
٦٤. خلاصة ما أفاده هذا النظم الراقي صورة ومعنى: أن الشاعر بدأ باستعراض وجداني للإمام المهدي ﷺ والتعريف به وبكراماته معرجاً على تجليات نهضته المباركة؛ خصوصاً تلك التي تعصف بجيوش الظلم والجور مستخدماً الرمز في نعوتهما بما يقتضيه العصر الذي يعيش فيه.
٦٥. في هذه المقاطع يستعرض الشاعر الصالح قدرة سيف الإمام المهدي ﷺ عند خروجه مستخدماً بعض



المفاهيم الصوفية والعرفانية.

٦٦. يعرّج الشاعر في هذه الأبيات على حالة الوجد التي تعتريه كمنتظر لخروج المهدي المنتظر عليه السلام؛ فيبدأ بمحاكاته الوجدانية بكلمات مرموزة وأخرى صريحة، مستجدياً إياه في الأخذ بيده؛ فهو من دونه جسد خوار. ثمّ يصرّح بأن وجوده في هذه الدنيا منوط برؤية طلعت البهية إلا أن طول انتظاره قد أضنى قلبه العاشق، إلى أن يختم كلامه بيت رائع مفاده أن مصير ذرية الشاعر إلى أمرين: إما الحياة مع الإمام عليه السلام أو الشهادة التي لا يعدلها إلا شفاعته جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

٦٧. قصيدة للشاعر الشعبي: سيدي الحاج عيسى الأغواطي، من شعراء الجزائر في النصف الأول من القرن الثامن عشر وهو ولي من أولياء الله الصالحين ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن عليه السلام الجفر في الشعر الشعبي الجزائري: دراسة أدبية، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب الشعبي، للباحث بومداني مصطفى، ص ٧٦-٨٨؛ ٢٠١٦ م.

٦٨. يرى البعض أن سايكوترونك هو (علم القوى الخارقة)؛ إلا أنه في الحقيقة مشروع اعتمدته قوى الاستكبار العالمي لصناعة تصورات ذهنية بديلة تخدم مصالحها من خلال دراسة مواطن الطاقة الإدراكية في الإنسان والهيمنة عليها إعلامياً.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

دور الإمام الغائب عليه السلام في بقاء حجج الله تعالى وبيّناته وفي هداية البشر

الشيخ حسن الكاشاني

ضرورة التعريف الوحياني لمقام الإمامة:

ليس بوسع البشر أن يعرف مقام الإمامة تعريفاً حقيقياً يغطي جميع المساحات والزوايا، وذلك لعدم بلوغ العقل البشري لفهم حقيقة مقام الإمامة، ومن هنا عرفوها بما يقصر دوره على حضوره وظهوره، لكنها الإمامة في التعريف الوحياني: ملك إلهي لا يزول بإدبار الناس ويبقى فاعلاً ونشطاً في غيبته كما هو في حضوره.

عدم اقتصار دور الإمام عليه السلام على التصدي العلني:

في التعاريف الموجودة - سيما لدى مدرسة أبناء العامة - يقتصر دور الإمام على التصدي الظاهري المعلن، ويغيب دوره بغياب شخصه، فإنهم عرفوا الإمامة بمقام السلطة الظاهرية التي يُحتاج إليها لإقامة الحدود والحكم بين الناس^(١). وهذا الشأن كما ترى قائم بحضوره وحياته الظاهري بين الناس بل بتصديه الظاهري للملك وقيامه بالسلطة، وهم بذلك غيروا مفهوم الإمامة وجعلوا مكانها مفهوم السلطة والحكومة الظاهرية، فسلبوا مقام الإمامة ممن لم يباشر إدارة الدولة، وأثبتوها لمن باشره وإن كان جائراً شقيماً.

كما أن البعض عرفوا مقام الإمامة بمقام بيان الأحكام والمعارف الوحيانية





وتفسير القرآن الكريم، شأن العلماء الأبرار، وهذا الدور وإن كان مما اهتم به أئمتنا عليهم السلام إلا أنه لا يقتصر دور الإمام على ذلك، لتكون فاعليته منحصرةً بزمن الظهور وتتعلل إمامته في غيبته.

بينما نرى القرآن المجيد يعرف مقام الإمامة بقوله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧) وقد وردت روايات كثيرة تفسر الآية بأن لكل زمان إماماً يهديهم بأمر ربهم، فالقرآن الكريم يصّر على فاعلية دور الإمام في الهداية لكل قوم وفي كل زمان، فلو غاب دوره في الهداية بغيابه لكان نقضاً للآية الكريمة.

دور الإمام عليه السلام في حفظ الدين وبقاء الحجج:

فمن جملة التعاريف الوحيانية لمقام الإمامة أنه الحافظ لحجج الله، حيث عقد المرحوم الكليني باباً في أصول الكافي سمّاه (باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام)^(٢) وقد أفصح عنه أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لكيلا تبطل حجج الله وبياناته»^(٣).

وهذا يعطي أن من أدوار الإمام عليه السلام هو حفظ حجج الله وبياناته، وهذا الدور غير مقتصر على زمن ظهوره، وعليه تبطل حجة جميع الحجج الوحيانية في حالة فقد الإمام. وقد نبّه أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه هذا على أمر بات مرتكزاً عند جميع العقلاء وبمختلف مستوياتهم، ويمكن بيانه بعدة لغات وجملة من البراهين.

بطلان جميع حجج الله دون رعاية الإمام الحي:

امتداد آفاق الوحي وعدم استطاعة عقل البشر لاستيعاب آفاقه اللامتناهية. القرآن الكريم يخبرنا بوجود آفاق عظيمة ومهولة للمعلومات الغيبية الوحيانية، فإنها تغطي مساحات شاسعة من عوالم الغيب، بل لا نفاد لكلمات



الله تعالى ولو مُدَّ جميع أشجار الأرض بسبعة أبحر من المداد، وأن منها علوماً عالية فاق بتعلمها آدم جميع ملائكة الرحمن، بل صار بها مسجوداً لهم ومطاعاً، وقد أنبأ بأن كل شيء أحصاه الله تعالى في الكتاب وأنه مشتمل للوح المحو والإثبات وملكوت كل شيء وفيه مفاتيح الغيب، وحكم بهيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب والعلوم وأنه تبيان لكل شيء.

فصار شعار الأنبياء ﷺ: (الله أكبر) في حين ينادي البعض بأن العقل أكبر أو التجربة والطاقة البشرية أكبر، ومن أجل ذلك لا يكتفى بالعقل والتجربة عن الوحي والنبى وهو برهان الحاجة إلى النبى، حيث إن الطاقة البشرية تعجز عن الإحاطة بعوالم الغيب والشهادة ليعرف خالقه وما عنده من المصالح والمفاسد وأنه من أين وفي أين وإلى أين.

أتى للعقل البشري أن يستوعب كلمات الله تعالى التي وصفها الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَفَنَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان: ٢٧).

وكانت الحاجة للنبى والرسول ليتوسط لنا في تنزيل ذلك الغيب لعالم الشهادة، فأساس النبوة قائم على وجود علوم إلهية لا يصل إليها العقل البشري، ولا يتيسر الارتباط بعالم الغيب لأي واحد من الناس، فاحتجنا للسفير والوسيط بين الله تعالى وبين خلقه ليتلقى تلك العلوم الغيبية فينزلها لنا، وهو سيد الرسل ﷺ أنزل إليه القرآن وهو يحيط بجميع هذه العلوم، لاسيما بعد التصريح بذلك في قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩).

لا يحفظ الوحي إلا بالوحي:

هل الوحي المحمدي له دوام وبقاء وخلود بعد سيد الرسل ﷺ أم يزول بفقده وبه تنتهي صلاحيته؟
من المعلوم أنه لا يمكن المصير للثاني، وهذا لا خلاف فيه بين السنة والشيعة، فالكل متفقون على ضرورة بقاء واستمرار هذه العلوم الغيبية التي نزل بها رسول الله ﷺ.
إنما الخلاف في من له شأن حفظ هذه العلوم والحجج.

فيرى أبناء العامة أن ما بقي من الوحي المحمدي هو الكتاب والسنة الصامتان وإنما حفظا وبقيتا بفضل الصحابة والتابعين، ومن هنا يتحسسون من التعرض للصحابة والتابعين، فالتعرض لهم يوجب التزعزع في الدين والوحي عندهم، لأنهم حفظة الوحي والدين حسب زعمهم.
لكننا نقول: لا يكون بقاء الوحي إلا ببقاء الكتاب المبين وروح القدس وحاملها وهو الإمام علي عليه السلام ومن هنا صارت الإمامة عندنا أس الإسلام، لأن بزوال الإمام يزول الدين.
ويمكن أن يبرهن عليه بأمور:

١- برهان الأمن:

المسؤول عن حفظ الأمن لا بد وأن يكون عالماً بجميع خفايا وأسرار ذلك الشيء، فلا يؤتمن لحفظ أمن البلد من لا يعرف شيئاً عنه، ولا يؤتمن لحفظ القرآن والوحي إلا من يُلمّ بعلم القرآن والوحي وكلمات الله تعالى التي لا نفاد لها.

فلا يؤتمن لحفظ الشيء إلا من يطلع على جميع ما يراد حفظه، فقد يكون شخص حافظاً لمؤسسة صغيرة أو مصرف متوسط لكنه لا يؤتمن عليه لحفظ مؤسسة عسكرية أو مركز اقتصادي رفيع المستوى، فإن الأمن علم وخبرة



واطلاع واستطلاع، وليس كل إنسان عادل يمكنه إيجاد الأمن في مساحات واسعة.

فلا يوصف الإنسان بالأمانة والحفظ والصدق بمجرد عدم تعمد الخيانة والكذب، بل لابد من الإحاطة العلمية بالذي يريد حفظه وأمانته، فمن لا يكون مطلعاً على خفايا وبواطن مؤسسة عسكرية ولا يعرف شيئاً عن علومها لا يعتمد عليه في حفظ الأمن وسلامة المعسكر، وإنما الاعتماد على القائد الخبير الميداني المطلع على علوم الأمن والعسكر، ومن هنا فالنبي ﷺ لا يكون أميناً على الوحي ولا حافظاً له إن كان علمه دون مستوى تلك الآفاق الوسيعة من الوحي الإلهي.

ومن هنا لا يحفظ الوحي إلا بالوحي، لأن البشر يقصر علمه عن وعي الوحي، ومن هنا قال تعالى بصريح الكلمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وهذا برهان قاطع على أن حفظ الوحي ليس بوسع البشر.

أمين الله على وحيه وعزائم أمره صفة الإمام دون الصحابة والرواة والفقهاء:

إن الله تعالى وعد بحفظ وبقاء الوحي، وهنا يطرح السؤال أنه لو كان الحافظ للوحي والقرآن من لا يكون مطلعاً على كل تلك الآفاق الوسيعة ولا يكون مؤيداً بروح القدس - كما كان النبي ﷺ - فلا يمكن أن يعتمد عليه في الحفظ ولن يكون أميناً، وذلك ليس لتعمد الخيانة فحسب، بل لأن الإنسان لا يكون حافظاً لشيء لا يحيط به علماً، والصحابة والتابعون وغيرهم من البشر ولو أجمعوا وضم بعضهم إلى بعض لن يصل علمهم إلى أدنى مستويات علم النبي ﷺ، فهم ليسوا أمناء على الوحي، بل لا يمكن أن يكون الحافظ والأمين للوحي إلا من يوازي علمه علم الرسول ﷺ ويكون وارثاً لروح القدس.

ومن هنا صار الوصي عليه السلام دون غيره باباً لمدينة علم النبي ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(٤).

فلا يكفي لصدق وصف الأمانة على الإنسان كونه صادقاً وعادلاً، ما لم يكن عنده علم بالأمن بنسبة ما اتّمن عليه.

والمسؤول عن أمن البلد أو الجيش أو المواقع الالكترونية كيف يكون أميناً حينما لا يعرف شيئاً عن علوم الأمن والعسكر والالكترونيات؟ وكيف يصدق وصف (أمين الله على وحيه) أو (أمين الله في أرضه) على الصحابة مع عدم اطلاعهم على الوحي والكتاب المبين؟

باب مدينة علم الرسول ﷺ:

زعم بعض أن كل من سمع شيئاً عن رسول الله ﷺ فإنه يكون باباً إليه في ذلك المقدار، ومن هنا قال: لا خصوصية في أمير المؤمنين عليه السلام ليكون هو باب مدينة علم النبي ﷺ دون غيره.

وهذا الوهم ناشئ عن ظنه أن باب الوصول إلى النبي ﷺ هو مجرد القناة الحسية، والحال أن أمير المؤمنين عليه السلام خُص من بين سائر الصحابة بتحملة للروح القدسي النازل للنبي ﷺ، وذلك أن آفاق الوحي ليست مقتصرة على الألفاظ التي خرجت من فم رسول الله المقدس ﷺ، بل الوحي هو الروح الذي أوحى إلى النبي ﷺ في قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

وهذا الوحي المحمدي تمتد آفاقه إلى السماوات والأرضين كما هو المنصوص في عدة من آيات الذكر الحكيم، ولا يتيسر الوصول إليه إلا عبر من يتحمل ذلك العلم بعد رسول الله ﷺ. فكل خبر أو حديث أو تأويل أو تفسير ينقل عن رسول الله ﷺ يكتسب حجتيه من علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو الممثل الرسمي لعلوم النبي ﷺ والحامل لذلك الروح القدسي.



فانحصر الباب للوصول إلى الغيب في شخص واحد، وهو القيّم على ما يتداوله الناس من أخبار وآثار رسول الله ﷺ. ولا حجية في من يتلقى عن الغيب دون إشراف وهيمنة الوصي، نظير ما لو فرضنا أن أحداً التقى بجبرئيل وسمع منه أو كشف له الغيب في المنام أو اليقظة فخالف مؤدى كشفه لرأي النبي ﷺ وفعله، فلو ترك كلام النبي ﷺ واتبع ما كشف له، فقد أنكر نبوة النبي ﷺ وادعى لنفسه النبوة. وذلك لو كان هنالك طريق للارتباط بعالم الغيب دون وساطة النبي ﷺ فأى حجة تبقى إلى النبي، فهذا الفرض بنفسه مناقض لأساس النبوة والرسالة.

وهذا سدٌ لباب جميع الفرق المنحرفة المؤسسة على الكشف والشهود الغيبي في المنام أو اليقظة، فإن أساس النبوة قائم على أن إنزال الغيب للشهادة من صلاحيات صاحب الروح القدسي المصطفى، ومن هنا ورد أن من تكهن أو تكهن له فقد برئ من دين محمد ﷺ^(٥).

لن يكون البشر أميناً على وحي الله ولا صادقاً إلا بعد رعاية ممثل الدولة الإلهية وهو الإمام، ولو كان الحافظ للوحي هم الصحابة لتنزل الوحي إلى قدر الطاقة البشرية، ولكان متأثراً بالبيئة والتراب والجغرافيا والثقافة البشرية فيتضيق لضيق المسار والحافظ، ولن يكون أميناً حتى في نقل ألفاظ الوحي فضلاً عن علومه اللامتناهية، فإن من لم يحط بعلم شيء فإنه يمكن أن يمؤّه عليه وقد تخونه ذاكرته فلا يعتمد عليه، لاسيما بعد سعيهم إلى منع تدوين الحديث ورواج سوق الكذابين وغيره من المؤثرات التي تسلب عن الوحي صفة الحجية الوحيانية.

ففي حالة عدم الإمام المعصوم لا يكون الكتاب والسنة إلا بقدر العقل البشري، وهو رجوع عن الحاجة للوحي الذي يفوق عقل البشر، فبقاء الوحي بالبشر لا يفرق عن حالة عدم إرسال الرسول. وذلك للإشكال في المتلقي دون الملقى.



وفي الكتاب والسنة أيضاً نقول: لو فرضنا أن الإمام الصادق عليه السلام شأنه شأن سائر الناس والعلماء الذين يستفيدون علمهم بأدوات بشرية من الاستظهار والاعتماد على الرواة بعد استيضاح حالهم وغيرها، ولم يكن هناك رقيب وحياني حامل لروح القدس في حفظ الوحي، لكان مثل ما لو أُوحي إلى شخص غير واجد لروح القدس ليتنزل الوحي إلى قدر سعة طاقته ويضيق بضيق فهمه ووعيه.

قال الله تعالى ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٢) فليس كل أذن تعي الوحي، ولو لم يكن المتلقي أو الحافظ للوحي بمستوى الوحي للزم أن لا تكون حجية الوحي إلا حجية بشرية ولا يمكن الاعتماد عليه لرفع الاختلاف فيما لا سبيل للعقل البشري إليه، أي فيما كانت الحاجة فيه إلى وجود الرسول.

من هنا جاء الإصرار على بيان المقامات الغيبية لأئمة الدين في الأحاديث والأخبار، إذ لو اقتصرنا على البحث الكلامي ولم نركز على الجهة القدسية وروح القدس في الإمام فإن ذلك يلازم محو الدين وبطلانه، إذ الحافظ للوحي لا بد وأن يكون حاملاً لروح القدس كحامل الوحي حرفاً بحرف.

٢- برهان التأويل:

إن القرآن الكريم مشتمل على التأويل وهو غير التنزيل والوحي الإلهي مشتمل عليهما معاً، والتأويل لا نفاذ له والصحابة والرواة لو كانوا في أعلى درجات الصدق والوثاقة والتقوى إنما يحفظون التنزيل، فلو لم يكن إماماً حاملاً لعلم التأويل لبطل الوحي وهو بطلان للرسالة.

٣- برهان الصدق:

السفير المبعوث للسفارة لا يعتمد عليه إن لم يكن مستواه العلمي بقدر مستوى الجهة التي يمثلها، فلو احتجنا لمعلم معهد علمي رفيع المستوى، فأوكلنا هذه المهمة لرجل ليس بمستوى علم ذلك المعهد ولم يتلمذ لديهم، بل



كان مجرد سامع للألفاظ وحافظ لها ثم نقلها لنا، فهو لا يغني لسد الحاجة، بل لا يعتمد عليه، ولا يكون صادقاً في نقله عن ذلك المعهد. بل يكون إسناد نقولاته لذلك المعهد افتراء يحاسب عليه.

وذلك لأن الصدق ليس فقط بصدق اللهجة، بل إن الخبرة لها دور كبير في ذلك، فقد يكون إنسان صادقاً في أخباره عن شيء بسيط لكنه ليس بصادق في أنبائه عن معلومة خطيرة ودقيقة.

فلا يكون الراوي - بمعنى حفظه الوحي - صادقاً إذا لم يكن علمه بمستوى علم من يروي عنه أو متاخماً له، فإن الصدق يكون بالأمانة والحفظ، وحفظ المعلومة العلمية الدقيقة ليس بوسع شخص عادي جاهل، بل يمكن القول بأنه ليس صادقاً حتى في نقل الألفاظ لعدم حفظه لها بعد الاعتراف بقصور علمه.

ومن هنا إذا ذهب شخص عامي وسمع من جامعة رفيعة المستوى في العلم فرجع ونسب إليها أقوالاً سمعها منهم فلن يُصدق، بل يُعدّ مفترياً عليهم حتى لو كان ثقة، إلا أنه لا يعتمد عليه في نقل ما لا خبرة له في المعلومة. فلو كان بقاء الوحي والذكر والقرآن بحفظ البشر لها لبطلت حجية القرآن والوحي ولما صحّ إسناد هذه الألفاظ إلى الله تعالى.

تعريف الإمام بأنه مثل العلماء الأبرار هو قضاء على الدين كتفسير النبوة بذلك، فمثلاً لو قيل إن عالماً كبيراً أسس معهداً علمياً ومركزاً للدراسات والناس محتاجون إليه، لكنه لم يخلف من يرث علمه بتمامه وكماله، فيكون موته موتاً للمعهد العلمي، وذلك أن العلم يموت بموت حامله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

الصحابة ليسوا بذلك المستوى، فهم ليسوا أمناء على الوحي ولا صادقين عنه، وليس ذلك لتعمد الكذب فقط، بل لعدم الإحاطة العلمية وأن ما



يعلمون من الوحي لا شيء بالنسبة إلى الآفاق العظيمة من علوم الوحي وبيناته. والدليل على قصور علم البشر عن مستوى الوحي هو استمرارية المداولة والبحث والتنقيب في علوم الوحي المختلفة كما في ساير العلوم، فهناك تسالم وارتكاز على وجود مساحات من المعلومات القرآنية والوحيانية لازالت مستورة عن البشر وهم في طورهم لاكتشاف بعض أسرارها يوماً بعد يوم. وهذا إقرار بعدم إحاطة علوم جميع علماء البشر بالوحي وآفاقه الوسيعة، فلو جمع كل ما لدى العلماء من أولهم إلى آخرهم وضم بعضها إلى بعض لن يفي بجميع علوم الوحي، بل لازال الطريق للكشف وإزاحة الستار عن تلك العلوم بحاله، ومن هنا تجد الفاعلية والحيوية والنشاط في العلوم المختلفة سيما علوم الوحي، كما ورد في الحديث وصف القرآن أنه: «يجري كما يجري الشمس والقمر»^(٦) فكل يوم له إشراقة جديدة وإطلالة متميزة.

فهذا الإصرار على مداولة العلوم المختلفة ومنه تفسير القرآن الكريم يعني أنه ما زالت توجد حقائق غير مكتشفة للبشر، فال بشرية بأجمعهم ليسوا بمستوى حفظ الوحي لقصور علمهم عن الوحي، فبعد هذا الاعتراف هل يمكن أن يكون البشر بأجمعهم هم الحافظون للوحي؟ أو يقال: إن الوحي المحمدي بقي بفضل العلماء والرواة والصحابة والتابعين فقط؟

أتى لهم ذلك وهم على ضفاف بحر عميق من علوم الوحي العظيمة ولم يرتووا من ينابيع حكمه إلا النزر اليسير، فكيف يكون غير المحيط بشيء أميناً عليه وحافظاً له؟

وهذا كله برهان على أن صاحب الوحي شخص آخر وهو الحافظ له، ومن دون هذا الشخص ودون رعايته وهيمته يكون الدين أمراً بشرياً عادياً لا بمستوى الوحي الإلهي.



غياب الإمام عليه السلام لا يضر بفاعلية دوره في حفظ الحجج والبيئات:

لو كانت هنالك شركة صانعة لأجهزة بماركة معروفة ومميزة، فوجد لتلك الشركة فرع في بلد آخر، فلا يمكن إسناد إنتاج ذلك الفرع إلى تلك الشركة إلا إذا كان تحت رعاية وإشراف ممثل تلك الشركة، ومن دون ذلك يعد إسناد إنتاجه إليها افتراءً ولا تقبل الشركة ببقاء هذا التزوير.

وليس حضور وظهور ممثل الشركة أمام أعين العمال شرطاً في صحة النسبة، وإنما إشرافه وهيمته ولو كان غائباً عن أعينهم.

ومنه نعرف أن نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى ونسبة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام مع أن الأيدي العاملة لحفظها هم الرواة والصحابة من البشر لا يمكن إلا إذا كان عملهم تحت إشراف وتدبير ممثل الدولة الإلهية ولو كان غائباً. اقتضاءً لمهمة حفظ الشريعة من قبله عليه السلام.

والوجود الغيبي للنبي صلى الله عليه وآله والإمام بعد وفاتها لا يفيد في حفظ وبقاء الذكر في عالم الشهادة، كما أن الوجود النوري والغيبي للنبي صلى الله عليه وآله قبل ولادته لا يغني عن خلقه الترابي ووجوده الدنيوي.

كما أنه بعد وجوده الدنيوي في عالم الشهادة لا يضر غيابه عن أعين الرعية مادام لا يغيب عن دوره في الرعاية وحفظ الوحي، ولو فرضنا غياب دوره يوماً عن الساحة فلن تبقى أية حجية لسائر الحجج، كما لو غاب الراعي لتلك المؤسسة أو الشركة يوماً ما عن تصديه للرعاية، فمن ذاك الوقت تنقطع العلاقة بين الفرع والأصل ويكون إسناد إنتاجها لتلك الجهة افتراء.

ومن هنا وردت الأخبار أن الأرض لو خلت ساعة بغير حجة لساخت بأهلها، وذلك لأن بقاءها ساعة بغير حجة يكون لغواً.

ضرورة مذهب الإمامية أن منبع حجية الحجج هو الإمام الحي:

قامت ضرورة مذهب الإمامية على أن منبع الحجية ليس هو التراث الصامت

كتاباً أو سنة، بل الحجة هو الإمام الحي، وبوجوده تضافى صفة الحجية على القرآن الكريم والسنة الصامتين، والبعض حينما غفل عن هذه الحقيقة زعم أن الشيعة تشترك مع السنة في الاعتماد على جهد البشر استقلالاً لحفظ وإبقاء الدين أو لبناء الدولة والحكم السياسي بفارق مائتي سنة، مع أن قوام مذهب أهل البيت عليه السلام ليس باستمرار تواجد المعصوم أكثر من مائتي سنة فإن ذلك وإن كان لا ينكر تأثيره في تثبيت وتبيين الدين، إلا أن قوام المذهب بوجود الإمام الحي وتفعيل دوره الركني في مجال التشريع والحجية أو مجال الحكم والسياسة، فيكون الاستناد إليه أولاً وبالذات ثم بالرواية أو العلماء والفقهاء.

إن جعل الإجماع في مذهب الإمامية حجة في عرض حجة القرآن الكريم والسنة أثار استغراب البعض وهو في غير محله، وذلك أن الإجماع قد يكون حجة مهيمنة على الكتاب والسنة وهو الإجماع اللطفي بتقريب: أن الغرض من بقاء الخلق لما كان هو التكامل بالعبادة فلا بد من بقاء الحجج والبيئات والقرآن والسنة، ولو حدث فيه تحريف أو انحراف كلي، لتصرف الإمام وَمَنَعَ من ذلك، لأنه الحافظ لحجج الله تعالى والأمين على وحي الله تعالى، فوجود الإمام يحصل اطمئنان ببقاء الحجج والبيئات. فإن ثقتنا بالقرآن الصامت والإمام الصامت وهو التراث الباقي بجهد العلماء إنما هو لوجود الإمام الحي ورعايته، فهو الأمين على الوحي وعلى حفظه وإن كنا لا نشاهده، كما أن غياب ممثل الشركة أو الجامعة عن أعين الأيدي العاملة لا يضر بإسناد الحجية إليه دون الأيدي العاملة.

إن هذه الضرورة راجعة من أنه تعالى ليس بمنعزل عن سلطانه، لينتج البشر إنتاجاً دون تقرير وتأييد حجة الله تعالى ثم لا يحرك ساكناً، فإن الإسناد إلى جهة علمية عالية المستوى دون الأذن منه افتراء وبقاءه ساكتاً يدل على عجزه وضعفه، والله تعالى منزه عن ذلك. مضافاً إلى أنه ينتفي الغرض من



الخلق، لعدم بقاء الوحي فتتخسف، كما ورد في الأخبار:
«لو خلت الأرض بغير حجة طرفة عين لساخت بأهلها»^(٧).

نعم رعاية الإمام لحفظ الدين له مراتب، ففي عصر الغيبة إنما يحفظ السقف الأدنى وهو المسار العام للدين، دون التفاصيل والجزئيات فإن ذلك يكون في عصر الظهور.

كيف يتصرف الإمام عليه السلام وهو غائب؟

من الغفلة أن نقصر دور الإمام في التصرف العلني الظاهر، فإن مركز القدرة أمر خفي على البشر.

إن خليفة الله تعالى يعلم بمراكز القدرة وأنه بتغيير لبنة واحدة سوف يحدث تغيير كبير في موازنات القدرة.

والمثال الواضح لذلك: الخضر عليه السلام، حيث منع الظالم من أخذ سفينة المساكين، والملك زعم أنه هو الذي اختار أن لا يأخذ السفينة ولا يدري أنه عجز أمام قدرة الخضر عليه السلام، فالذي يتحكم هو الخضر عليه السلام وليس الملك، وكذلك في قتل الغلام الذي حال دون نمو الطغاة وحصول البيئة الفاسدة وعوضه الله تعالى بجارية وُلِدَ منها عدد كبير من الأنبياء، فضخّ هذا الكم من الأنبياء والحيولة دون ضخّ هذا الطاغية أمر لا يأتي في حسابان من يدّعي أن بيده مركز القدرة. واليتمان لم يدريا يوماً أن الخضر عليه السلام هو الذي هداهم لكنز أبيهم وزعموا أن ذلك بقدرة نفسيهما، بينما مركز التحكم بيد الخضر عليه السلام.

كلام السيد المرتضى:

السيد المرتضى ادعى إجماع الطائفة والمذهب على أن حجية التراث الحديثي الواصل إلينا إنما هو لأجل وجود الإمام الحي الحافظ، فالحجة هو الإمام الحي وبحجيته تتم حجية الأحاديث.

قال:

(أنَّ الفرقة المحقّة القائلة بوجود إمام حافظ للشريعة هي عارفة بما نقل من الشريعة عن النبي ﷺ...، من أجل كون الإمام من ورائها).
وقال أيضاً:

(... فقد بينّا أنّ الحافظ ليس يخلو من أن يكون الأئمة أو الإمام، وأبطلنا أن تكون الأئمة هي الحافظة فلا بدّ من ثبوت الحفظ للإمام وإلاّ وجب أن تكون الشريعة مهملة).

بل عند السيد المرتضى لا يعول إلى النقل المتواتر لبقاء وحيانية الدين إلّا إذا كان تحت رعاية مباشرة من الإمام، قال ﷺ:

(فأمّا إلزامك تجويز حفظها بالتواتر على حدّ ما كانت تصل الأخبار في حياة الرسول ﷺ إلى من غاب عنه فقد رضينا بذلك، وقنعنا بأن نوجب في وصول الشريعة إلينا بعد وفاة الرسول ﷺ ما نوجبه في وصوله إلى من غاب عنه حال حياته، لأننا نعلم أنّها كانت تصل إلى من بعد عنه ﷺ بنقل وهو عليه من ورائه، وقائم بمراعاته، وتلافي ما ثلم فيه من غلط وزلل، وترك الواجب، فيجب أن يكون من وراء ما ينقل إلينا بعد وفاته من شريعته معصوم يتلافى ما يجري في الشريعة من زلل وترك الواجب كما كان ذلك في حياته وإلاّ فقد اختلف الحال، وبطل حملك أحدهما على الأخرى).

فأمّا قولك: (لزمهم إثبات حجّة وهو عليه حيّ) فعجيب، وأي حجّة هو أكبر من النبي المعصوم المؤيّد بالملائكة والوحي ﷺ؟!
وكيف تظنّ أنّا إذا أوجبنا أن يكون وراء المتواترين حجّة أن لا نكتفي بالنبي ﷺ وهو سيّد الحجج في ذلك).

ثم قال:

(فأمّا هذه الطريقة التي حكيها آنفاً فترتيب الاستدلال بها على خلاف



ما رتبته وهو أن يقال: قد علمنا أن شريعة نبيِّنا ﷺ مؤبدة غير منسوخة، ومستمرة غير منقطعة، فإنَّ التَّعبُّد لازم للمكلفين إلى أوان قيام الساعة، ولا بدَّ لها من حافظ، لأنَّ تركها بغير حافظ إهمال لأمرها، وتكليف لمن تعبَّد بها ما لا يطاق، وليس يخلو أن يكون الحافظ معصوماً أو غير معصوم، فإن لم يكن معصوماً لم يؤمن من تغييره وتبديله، وفي جواز ذلك عليه -وهو الحافظ لها- رجوع إلى أنَّها غير محفوظة في الحقيقة، لأنَّه لا فرق بين أن تحفظ بمن جائز عليه التغيير والتبديل والزلل والخطأ وبين أن لا تحفظ جملة إذا كان ما يؤدي إليه القول بتجويز ترك حفظها يؤدي إليه حفظها بمن ليس بمعصوم، وإذا ثبت أنَّ الحافظ لا بدَّ أن يكون معصوماً استحال أن تكون محفوظة بالأمة وهي غير معصومة، والخطأ جائز على آحادها وجماعتها، وإذا بطل أن يكون الحافظ هو الأمة فلا بدَّ من إمام معصوم حافظ لها.

وهذا على خلاف ما ظنَّه صاحب الكتاب لأنَّ من أحسن الظنِّ بأصحابنا لا يجوز أن يتوهم عليهم الاستدلال بهذه الطريقة مع تصريحهم في إثباتها بما يوجب الاختصاص بشريعتنا هذه على وجوب الإمامة في كلِّ عصر وأوان، وقبل ورود الشرع).

وكرر ﷺ أن بقاء القرآن والدين ليس بالتواتر ولا نقل الرواة إلا بعد كون الإمام من ورثه إلى أن قال في نهاية المطاف:

(فقد بينّا إنّنا قد عرفنا أكثر الشريعة ببيان من تقدّم من آبائه عليه السلام، غير أنّه لا نقضي الغنى في الشريعة من الوجه الذي تردد في كلامنا مراراً^(٨)).

تعريف الإمام عليه السلام بصاحب مقام الشهادة على الأعمال وكونه الراعي والولي:

ومن جملة تعاريف مقام الإمامة تعريفه بمقام شهادته على أعمال العباد، وهذا ما دل عليه القرآن في آيات عديدة والروايات الكثيرة، ولها مداليل مهمة في معرفة



مقام الإمام. فرغم أن الله تعالى هو الشهيد الرقيب إلا أنه لا يحسم أمر الناس يوم القيامة إلا بعد حضور الشهداء والإدلاء بشهادتهم.

إنها تدل على وجود فئة مختارة ومصطفاة ليسوا برتبة المؤمنين بل لهم مقام الهيمنة والإشراف على الناس في حين الرسول ﷺ مشرف ومهيمن عليهم، فهم الحلقة المتوسطة بين الرسول وبين عموم الناس، وهذه المرتبة تبقى ثابتة إلى يوم القيامة في مقام الإدلاء بالشهادة والحساب، فحتى يوم القيامة لن يقفوا في الموقف مع ساير الناس بل في مقام الشهداء، ولعظمة دورهم يوم القيامة سمي الله تعالى ذلك اليوم بيوم يقوم الأشهاد.

فهرس الآيات الدالة على مقام الشهادة على الأعمال:

- ١- البراءة ١٠٥: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.
- ٢- النحل ٨٩: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ﴾.
- أي إن مقام الشهداء متوسطة بين النبي ﷺ وبين عموم الناس.
- ٣- البقرة ١٤٣: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

فإن يوم القيامة يوم القسط والفصل ولا يمكن أن تقبل شهادة الفاسق أو غير الخير والعالم بتفاصيل أعمال العباد ونواياهم وسيرتهم، فهل تظن أن الله تعالى يفصل يوم القيامة بشهادة شاهد قد يصيب وقد يخطئ؟ كلا إنه الحكم العادل، وليس هنالك مجال للأحكام الظاهرية كما في الدنيا، من هنا جعل الشهداء أمة وسطاً أي معصومين عن الزلل والخطأ ليكونوا شهداء على الناس.

- ٤- الحج ٧٨: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

فدل على أنّ الشهداء إنما هم ثلثة مختارة ومجتبة من ذرية إبراهيم عليه السلام.

٥- الرعد ٤٣: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.

٦- آل عمران ١٤٠: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾.

٧- المطففين ١٨-٢١: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

٨- الواقعة ٧-١١: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

٩- النساء ٤١: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾.

١٠- الأعراف ٤٦: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾.

وهناك باب عقده المرحوم الكليني في أصول الكافي أسماه (باب أن الأئمة شهداء الله على خلقه).

الإمام هو الشاهد على الأعمال سواء في غيبته أو حضوره:

ومقام الشهادة على الأعمال لا يختص بزمان الظهور بل هو يقتضي دوام الرعاية والعناية الأبوية من الإمام لآحاد الناس سيما المؤمنين، وذلك أن الله تعالى ستر ولا يطلع غير الولي المتصدي للرعاية الفعلية والتدبير الفعلي على تفاصيل أعمال العباد.

دور الإمام في الهداية الإيصالية متوقف على شهادته للأعمال:

من فوارق النبوة عن الإمامة أن الأول للهداية الإرائية والثاني للهداية الإيصالية وليس المراد منها الجبر على الهداية، بل مرافقة الإنسان في سلوكه إلى الله تعالى ليرفع العوائق ويعينه من حيث يشعر أو لا يشعر ليصل إلى المقصود. مثلاً الخضر عليه السلام حيث

منع من حدوث الفقر والمجاعة لأرباب السفينة ومنع من ترعرع ذلك الطاغية الذي يستضعف الناس، وأوصل لليتيمين كنز أبيهما وفيها الحكمة، فهو قد رافق الطوائف الثلاث في سلوكهم فأوصلهم للغاية برفع العوائق عن المسير والعون والتسهيل والمدد وهذه هي مفاهيم الهداية الإيصالية.

وهذا النمط من الهداية لا يتيسر إلا إذا كان الإمام شاهداً لأعمال الأمة ليهديهم وليوصلهم، ترى هل يمكن أن يكون الغائب عن أحوال السالك موصلاً له إلى المقصود؟ فمقام الشهادة مرتبطة بالهداية الإيصالية وهي من مقومات الإمامة.

ما أشهد الله تعالى الإمام على الأعمال إلا لأجل كونه راعياً وولياً:

إن الله تعالى ستر العيوب ولا يفضح عباده، ويستر القبيح ويظهر الجميل، فكيف يطلع النبي ﷺ والإمام عليه السلام على أعمال العباد؟

والجواب: أن ولي الأمر ومن يتصدى للتربية والرعاية لابد وأن يكون مطلعاً على أعمال من يوكل عليه، وإلا كيف يقوم بالرعاية والتربية. فاطلاع الوالد على تفاصيل أعمال ولده الصغير أو المراهق من ملزومات الرعاية الأبوية والولاية التربوية، بل لو لم يطلع عليه يُعد مهملًا ويعاتب عليه. نعم يقبح اطلاع غير الولي والمربي على جميع تفاصيل الأعمال، ومن هنا يستر الله تعالى أعمال عباده عن ملائكته، بل يجدد كل يوم ملائكة الرقيب والعيتد كيلا ينفضح عبده عند الملائكة، لكن الولي لابد وأن يشهد لأنه المتصدى للرعاية والتربية. وإنما أراد الله تعالى خيرهم وصالحهم فأرسل رسوله لمقام الولاية على النفوس ورعايتها نحو التكامل فجعله شاهداً عليهم.

«إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم»:

ورد في توقيع الإمام المهدي عليه السلام للشيخ المفيد:

«إنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ومعرفتنا بالذلل الذي أصابكم منذ جَنَحَ كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، وببذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.



إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِدِكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمْ اللَّأْوَاءُ
وَاصْطَلَمَكُمُ الْأَعْدَاءُ»^(٩).

اللاؤاء: الشدة وضيق المعيشة.

اصطلمه: استأصله.

فأثبت أولاً لنفسه ﷺ مقام الشهادة على الأعمال: «إِنَّا نَحِيطُ عِلْماً بِأَنْبَائِكُمْ وَلَا
يَغِيبُ عَنَا شَيْئاً مِنْ أَخْبَارِكُمْ» ثم رتب على هذا العلم والاطلاع مقام ولايته
ورعايته «إِنَّا غَيْرُ مُهْمِلِينَ لِمُرَاعَاتِكُمْ وَلَا نَاسِينَ لِدِكْرِكُمْ» ثم أخبر عن أنه لولا
هذه الرعاية لحدث ما حدث.

كالشمس إذا سترها السحاب:

في توقيع لصاحب الزمان ﷺ خرج على يد السفير الثاني محمد بن العثمان
العمري:

«وَأَمَّا وَجْهُ الْإِنْتِفَاعِ بِي فِي عَيْتِي فَكَأَلَا نْتِفَاعَ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَتْهَا عَنِ الْأَبْصَارِ
السَّحَابُ، وَإِنِّي لِأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَأَغْلَقُوا
أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيكُمْ وَلَا تَتَكَلَّفُوا عِلْمَ مَا قَدْ كُفِيتُمْ وَأَكْثَرُوا الدُّعَاءَ
بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ وَعَلَى
مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى»^(١٠).

وهذا ما تكرر صدوره عن رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام لبيان دور
الإمام المهدي ﷺ في غيبته، وهو تمثيل وحياني فيه مداليل عظيمة. فإن الإنسان
في سلوكه لطريق معين لا يكفي أن تكون عنده الخريطة ولا يكفي كونه عالماً
بالطريق، بل يحتاج لإشراق نور الشمس في كل آن ولحظة ليتمكن من السير وفق
المخطط ولا يشته عليه الأمر. فعدم نور الشمس يجعل الخريطة لا يستفاد منها ولا
حجية فيها، ففاعلية دورها تكون بالشمس وضيائها، ولا يشترط ظهور قرصها في
السماء، بل حتى ولو كان وراء السحاب إلا أن نورها الواصل إلينا هو الذي يُفَعِّلُ
أدوار الحجج وينشّط الحياة.



إنَّ ما أتى به الرسول ﷺ إنما يتمثل في إعطاء الخريطة للسلوك نحو الصراط المستقيم وهذا هو دور الهداية الإرائية، لكنه لا يُكتفى بها من دون الهداية الإيصالية التي ترافق الإنسان في كل خطوة خطوة وتنير له الدرب ليتمكن من التطبيق والعمل بالوحي والدستور الإلهي وليهتدي إلى الصراط المستقيم.

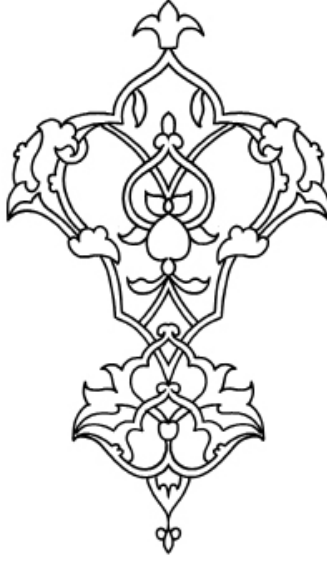
وهذا الدور إنما يفعله الإمام الغائب، وغيبته لا تعطل دوره في حفظ الحجج وإبقائها والهداية الإيصالية والرقابة. ولا يمكن الاستغناء عنه بوجود الأئمة الماضين عليهم السلام ولا بوجود سيد الرسل ﷺ، فإن كل يوم نحتاج لإشراق الشمس، فهل يا ترى يستغنى عن طلوع الشمس اليوم بطلعتها يوم أمس؟

وهل يستغنى اليوم عن الإمام الحي بوجوده في يوم أمس؟

كلا، بل كل يوم وكل ساعة نحتاج لإشراقه وإطلاله وهيمنته وقيادته، وهذا هو مؤدى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧) فلم يكتف بوجود الرسول ﷺ في الهداية، إلّا وضّم إليه وجود الهادي الرباني لكل قوم وفي كل زمان. وتدل الآية الكريمة على أنه بفقد الهادي يبطل سبيل الهداية وتبطل حجج الله تعالى وبيناته كما صرح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل: «إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا - وَأَشَارَ يَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً... كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا، وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِيَلَّا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أَوْلَيْكَ؟ أَوْلَيْكَ وَاللَّهُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوَهَا نَظَرَاءَهُمْ، وَيَزَرَعُوَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ»^(١١).

الهوامش

١. القاضي الايجي - شرح المواقف، ج٨، ص٣٤٥؛ التفزازاني - شرح المقاصد: ج٥، ص٢٣٣.
٢. الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص١٧٧.
٣. نهج البلاغة: حكمة ١٤٧.
٤. التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٠٧.
٥. الوسائل: باب ٢٦، ح ٢٢٢١٥.
٦. الغيبة للنعماني: ج١، ص١١؛ تفسير العياشي: ج١، ص١٩٦.
٧. كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٢٠٤.
٨. الشافي في الإمامة: ج١، ص١٧٩ - ١٨١.
٩. الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٢٣.
١٠. كمال الدين وتمام النعمة: ج١، ص٤٨٥.
١١. نهج البلاغة: حكمة ١٤٧.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

تعريف المهدوية للحضارات الأخرى

بقلم: مجتبی السادة

إننا نعيش فترة أيام حاسمة في تاريخ البشرية الفكري، بما تنطوي عليه من تحولات ثقافية ومخاضات فكرية كبرى من قبيل صراع الحضارات أو حوار الحضارات أو تكامل الحضارات أو.... وانطلاقاً من القرآن الكريم الذي أسس لمبدأ (تعارف الحضارات) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).. فالأُمم والشعوب والحضارات^(١) مهما تنوعت وتوزعت على مساحات الأرض إلا أنها مطالبة بالتعارف، وهذا ما يريده سبحانه وتعالى للإنسانية، وهو مستوى رفيع وراقٍ من العلاقات، وهذا يستتبع معه الانفتاح والتواصل والحوار، والذي من أبعاده أن تتعرف كل أمة وكل حضارة على أفكار وثقافات وعقائد الأمم والحضارات الأخرى، ومن هذه الأمور المتفق عليها والمشاركة فكرة المخلص الموعود، مما يتطلب منا مهمة ومسؤولية تعريف وإيضاح حقيقة المهدوية للأمم والشعوب الأخرى.

تعريف المهدوية للآخر ضرورة حضارية:

التطلع إلى قراءة العقيدة المهدوية من منحى عقلي وعلى ضوء فلسفة التاريخ، يتطلب منا أن ندرسها برؤية حضارية باعتبارها قيمة إنسانية عليا ومسألة مصيرية متعلقة بمستقبل البشرية.





كثيرون بحثوا القضية المهدوية من ناحية النصوص والروايات، وكثيرون دخلوا في مسائل كلامية ومناظرات بهذا الخصوص، غير أن الدراسات الفكرية والتي تبحث هذه المسألة برؤية حضارية قليلة جداً، ولا نبالغ إن قلنا: ابتعادنا عن دراسة المهدوية من منظار حضاري، يوقعنا في نزاعات كلامية وطائفية هي بعيدة كل البعد عن مقاصد الشريعة الإسلامية وأهداف الأطروحة المهدوية. إذا تأملنا في مفهوم^(٢) أو مصطلح (تعريف المهدوية للآخر)^(٣) أو الحضارات المختلفة، يمكننا أن نكتشف قيمته الفكرية والعملية وأهميته الحضارية، من خلال الآتي:

(١) الخروج من الإطار الضيق للقضية المهدوية، ونحن الذين حصرناها كأنها مسألة مذهبية خاصة بأتباع أهل البيت عليه السلام فقط، وإن توسعت فتحصر كعقيدة إسلامية تهم المسلمين وحدهم، وهذه تورث السجال الطائفي.. مما يحتاج أن ننظر لها بمنظار أوسع ونطلق من أرضية أن المهدوية لكل البشرية. (٢) تجاوز إشكالية تأطيرها في الجانب العقدي فقط، كأصل من أصول الدين ومن مبدأ الإمامة، ونقتصر بالنظر لها على هذا الأساس.. وهذه الإشكالية تضيق عملية الفهم للمهدوية وفهم المبادئ والقيم المرتبطة بها كالعدالة والعالمية وتطور العلم و...، مما يجعل رؤيتنا قاصرة على الاستفادة فكرياً وحضارياً وعلمياً من خصائصها ومميزاتها العديدة.

(٣) فكرة ومبدأ المخلص الموعود موجودة عند كل الأمم والشعوب والأديان، ولكن عندما لا يوجد تعارف بين الحضارات بخصوص هذه الفكرة، فإن هذا الانقطاع عن تكوين المعرفة وسيادة الجهل بالمهدوية لدى الآخر، سيولد نوعاً من سوء الفهم، ويخلق مشكلات فكرية وثقافية مع الحضارات الأخرى انطلاقاً من مبدأ ومفهوم صراع الحضارات.

ولا شك في أن مفهوم أو مصطلح (تعريف المهدوية للحضارات الأخرى)



عند بلورته وطرحه على أرض الواقع كمنظومة معرفية متكاملة، سيتيح للأمم والشعوب المختلفة التعرف على واقع وحقيقة المخلص الإسلامي (الأطروحة المهدوية الإمامية) بمنظور شامل ومتكامل ومتزن، وبناءً على القواسم المشتركة لمبدأ وفكرة المخلص عند الحضارات، وسواء نظرنا إلى أصل الفكرة برؤى دينية أو بنظرة فلسفية، فالمهم أن نرسخ حقيقة أن نهاية العالم تقترن مع نشر التوحيد وتحقيق العدالة وسعادة البشرية، وهذه هي الرسالة التي نودّ إيصالها للآخر عند الحديث عن المهدوية.

من هنا نأمل أن يكون هذا البحث دافعاً لدراسة المفاهيم المهدوية برؤية فكرية حضارية تتعالى على النظرات الثقافية الضيقة، وتفتح مجال التفكير في الثقافة المهدوية بمنهج معرفي حضاري يتطابق مع أهداف وغايات الإمامة الخاتمة..

إذاً حاجتنا إلى رؤية حضارية في قراءتنا للمهدوية هو للخروج من أسر الماضي وضيقة إلى أفق المستقبل ورحابته، وما إيضاح حقائق المهدوية للأمم والحضارات المختلفة إلا جانب واحد من هذه الرؤية الحضارية، وقبل ذلك نطمح لبناء المنظومة الفكرية التعريفية للمهدوية على قاعدة القواسم المشتركة لمفهوم (المخلص)، وبما يخدم الإنسانية ويحقق بعض الأهداف المهدوية.

وعلى أن نعلم أيضاً أن الإيمان بالإمامة الخاتمة (المهدوية) ومعرفة مكانتها وخصائصها الفريدة، يزيد إحاطة الناس بحقيقتها، فنقل (منظومة البناء المعرفي^(٤) للأطروحة المهدوية الإمامية) للآخرين وإيضاحها لهم، له أثر عميق وشفاف لدى الشعوب الأخرى، ولا سيما أهدافها العظمى ومقاصدها الحضارية، إضافة لدورها الوثيق في النظرة التفاؤلية الإيجابية للمستقبل ونهاية العالم، فضلاً عن دورها النفسي الهام عند المستضعفين والمحرومين من هذه الشعوب.

يجب الإدراك بأن المهدوية تمتلك المقومات الضرورية في تقديم ذاتها



للآخرين بنجاح، فلم يعد ممكناً لكثير من المفكرين الغربيين تصور خيارات أخرى لمستقبل البشرية سوى الصورة (القريبة والمباشرة) للحضارة المهدوية.. وبسهولة يدرك من لديه الحد الأدنى من الاطلاع والمعرفة على أفكار وثقافة الشعوب الغربية وأطروحات فلاسفتهم، والمستوى الذي وصل إليه وضعهم النفسي، سبب شغفهم التام لفكرة (المخلص)، فالحاضر غالباً ما ينساق وراء رؤية المستقبل.

وفي هذا السياق هناك حاجة ملحة وأهمية خاصة لتعريف الآخرين بمبدأ الإمامة الخاتمة (المهدوية) والمستقبل المشرق للإنسانية الذي سيتحقق على يديها، فهذا من أهم الأولويات الفكرية الحالية، وأحد مجالات الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية المطروحة على طاولة البحث والتي تهتم بها مراكز البحوث العالمية، فضلاً على أن كل الديانات السماوية والفلسفات البشرية بشرت بالمخلص، وهذه الفكرة أمر مشترك بين الأمم والحضارات المختلفة، وتعتبر رمزاً لنشر العدل والسلام.

في هذا البحث نحاول تلمّس معالم طريق التعريف الفكري، فعملية إحاطة الآخر (غير المسلم) بمفهوم المهدوية ليست عملية عفوية وعابرة يمكن أن تتحقق ببساطة ومن دون بصيرة وهداية، فلا بد أن نعي بوضوح مواقع أقدامنا في ساحة بناء المنظومة الفكرية التعريفية والعمل الميداني الإيضاحي حتى 'تفلح جهودنا وتتحقق تطلعاتنا.. وقبل ذلك تحمّل مسؤولية نشر العدالة على وجه البسيطة كلها وهداية البشرية جمعاء إلى الطريق السوي، وأن تتحول الأهداف المهدوية الكبرى إلى حاجة نفسية عميقة وهدف حضاري واضح عند المؤمنين المنتظرين، فنحث الخطى بثبات في طريق عمارة الأرض وبناء حضارة آل محمد ﷺ المنشودة.



التعريف المطلوب:

لا نقصد بالتعريف أن يقتصر على: [تقديم معلومات كافية وشاملة عن المهدوية للأمم والشعوب المختلفة، والكشف لهم عن حقيقتها وخصائصها ومميزاتها، وإيضاح أهدافها والنتائج التي ستتحقق على يديها].. فإن هذا تعريف شكلي وهو مقبول نوعاً ما، أمّا من حيث المضمون والأساس فإن التعريف المطلوب هو: [القدرة على إدخال مفهوم المهدوية (بما يحتويه من قيم ومبادئ إنسانية) إلى المنظومة الفكرية للحضارات الأخرى، وترسيخ الفكرة لدى الرأي العام، بحيث يصبح هذا المفهوم من الأسس الثقافية الثابتة والبدئية عندهم].

فالتعريف الذي نطمح إليه لا يولد بكتابة مقالة أو بحث حول المخلص أو المنقذ الموعود أو الإمام المهدي عليه السلام، لأن هذا لا يحقق الشرط الأساس من التعريف، فقد نكتب مئات المقالات حول (المهدوية) من وجهة نظرنا وندعمها بالأدلة الإسلامية، ونترجمها بعدة لغات مختلفة ونشرها هنا وهناك، ويعتبر ذلك مهماً بحد ذاته ولكنه غير كافٍ ولا يحقق ما نهدف إليه، لأنه يعكس تفكيرنا ومعتقدنا الذي لا يؤمن به الآخرون.. فيجب أن نتجاوز الحدود السطحية (للتعريف) إلى ما هو أعمق من ذلك، بحيث يكون للمهدوية حضور وفاعلية استثنائية في رسم الرؤى الأساسية للحضارة الإنسانية ومستقبلها.

الهدف والرؤية من التعريف:

إن الانفتاح الواعي على الأبعاد الفكرية للانتظار، ومعرفة الأهداف الكبرى للمهدوية ومتطلبات المسيرة التمهيدية وأولويات المرحلة المعاصرة، كل ذلك يدفعنا لا متلاك منهج فكري وعملي يتناغم مع تحقيق مميزات وشرائط اليوم الموعود.. ومن هذا المنهج تنبعث ركيزة تعريف المهدوية للحضارات الأخرى، فتتجلى لنا بوضوح بعض الأهداف والرؤى من وراء ذلك:

(١) إن الهدف الأساسي للمهدوية هو نشر التوحيد والعدل في كافة العالم،



وكذلك التغيير الشامل لأنظمة الظلم والجور في كل أقطاب الأرض المعمورة، وفي سياق تحقيق هذا الهدف الكبير وجب علينا نقل الأطروحة المهدوية بحقيقتها للأمم الأخرى، وإيصال رسالتها وأهدافها، وتوضيح ضرورتها الحضارية وفوائدها على الناس جميعاً.. لكي يتسنى لهذه الشعوب العارفة والمطلعة على حقيقة المهدوية أن تعيش حالة الانشداد الفطري للمخلص الموعود، وأن تؤمن به حين ظهوره فتؤيده وتؤازره.

(٢) إن إيمان الشعوب المختلفة بالمهدوية ومشروعها العالمي وأهدافها الربانية من أبرز مظاهر التمهيد للظهور، فبقدر ما ينتشر نطاق معرفته، وتنوع أطياف المؤمنين به، وتتوسع قاعدته الشعبية في كل الأمم والحضارات، ويزداد عدد الأتباع والمريدين، بقدر ما نكون قطعنا شوطاً عملياً للتوطيد الفعلي لليوم الموعود، ونكسب رصيداً جماهيرياً للإمام عليه السلام حين خروجه.

(٣) شرائط الظهور ذات أبعاد ومقدمات استراتيجية هامة يتحتم توفرها في بداية نشوء حركة (الفتح المهدوي العالمي) ليكون الظهور ناجز الوعد، ومن أبرز هذه الشروط ومقومات النجاح، هويأس شعوب العالم من الأنظمة والقوانين الوضعية التي لم تحقق طموحها وفشل الحلول التي طرحتها.. فعندما تتعرف هذه الشعوب على الأطروحة المهدوية بأهدافها وأساليبها ونتائجها، يجعل أملهم ينحصر في نهضته وحضارته، مما يهيئ أفضل الأرضيات لتقبل اليوم الموعود وتعلياته.

(٤) إن الرؤية الواضحة للأهداف المهدوية والتغيير الجذري والشامل الذي سيحققه الإمام عليه السلام في مسار تاريخ البشرية، يتطلب بصيرة ثاقبة ونظرة مستقبلية لتطور المجتمع البشري، وقبل ذلك تهيئة الظروف العالمية المناسبة وعلى كافة الأصعدة ومنها الناحية الفكرية والثقافية للأمم والشعوب المختلفة لتقبل نهضته، مما يضمن ويؤكد على نجاح حضارة آل محمد عليه السلام وتحقيق أهدافها المنشودة.



(٥) من مظاهر الارتباط الحقيقي بالإمام المهدي عليه السلام الاقتداء به واتخاذ أسوة ونموذجاً يُحتذى به، فأهداف الإمام عليه السلام عظيمة وغاياته كبيرة، مما يستوجب لبلوغ هذه الأهداف بذل جهود بحجمها، ولا شك فإن قيام دولة العدل الإلهي وبسط هيمنتها على العالم أجمع، وإيصال البشرية إلى ذروة تطورها وكما لها يتطلب جهوداً لا حد لها وبرؤية حضارية.. ومن أبجديات هذه الجهود وأبسطها تعريف شعوب العالم بهوية المخلص الموعود وأطروحاته وحقائق عن نهضته، وذلك للمشاركة والتمهيد لتحقيق أهدافه عليه السلام.

(٦) الواقع العالمي الراهن لا يخلو من وجود حركات تآمرية خبيثة ضد المهدوية، تتخذ تارة طابعاً سياسياً وأخرى طابعاً فكرياً، وتعمل للقضاء عليها في وجدان الأمة الإسلامية، وتحاول تحجيمها في إطار مذهبي خاص واعتبارها من العقائد الخرافية.. ويقف وراءها مخابرات دولية معادية للإسلام وللمخلص الموعود، وتطمح إلى تفرغ المهدوية من محتواها الحقيقي، وتشويه مكانتها عند المؤمنين بها، فتتضاءل حالة الاستعداد ويفتر حماس الشعوب والجمهير لها، وهكذا تموت فاعلية ثقافتها وتقتل روحيتها الإيجابية والتفؤلية في المجتمعات.. وعلى العكس من ذلك فإن تحمل مسؤوليتنا الحضارية ونشر الحقائق الأصلية عن المهدوية وتعريف الآخرين بها وترويج المنظومة المعرفية بخصوصها على الأمم والحضارات، سيصيب مآرب الأعداء في المقتل، فتتحصن الشعوب المطلعة على حقيقتها، وتنشأ ثقافة لدى الرأي العام العالمي بعدم الاصطفاف مع أعدائها، وقد يكونون من أشد المناهضين لمؤامراتهم الخبيثة.

لو استطعنا أن نوصل (حقيقة المهدوية الأصلية) إلى نخبة الشعوب ومثقفها برؤية تناسب عقليتهم وبلغتهم ليدرسوها ويتأملوا فيها، لأدّينا جانباً وقسطاً



من المسؤولية الملقاة على عاتقنا في تعريف الأمم والشعوب بآخر أنوار آل محمد ﷺ والذي به تتحقق سعادة البشرية جمعاء.

المرتكزات الأساسية للتعريف بالمهدوية:

تتأثر الأمم والشعوب سلوكياً وذهنياً بفكرة المخلص وذلك لعدة من العوامل، ويكون تأثيرها الثقافي والفكري متفاوتاً بناءً على اختلاف درجات وعيهم الديني والفلسفي، ومستوى حماسهم النفسي الذي تقررره ظروف واقعهم المعاش.. ومن هذه العوامل والمرتكزات التي يمكننا اعتبارها قاعدة رئيسية للانطلاق منها في تعريف المهدوية للحضارات المختلفة الآتي:

أولاً: الحاجة الفطرية للمخلص:

منذ فجر التاريخ وفكرة المنقذ والمخلص الموعود أصبحت كحاجة نفسية واجتماعية، وتناسب وتتطابق مع طبيعة وفطرة الإنسان، وقد غذى التراث الديني بشتى أنواعه هذه الفكرة وتماها..

إن حتمية ظهور المخلص في الفكر الإنساني عموماً يجسد حاجة فطرية، وتزداد هذه الحاجة إلحاحاً كلما زاد الظلم والجور واستشرى الفساد، مما يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها، وتعبر عن تطلع البشرية المستمر للكمال والفضيلة.

ومما لا شك فيه فإن الفكرة قد رسخت في العقل البشري والنفس الإنسانية على مدى التاريخ الطويل، وما الدعوة إلى (المدينة الفاضلة) كما عبر عنها الفلاسفة قديماً وحديثاً، إلا صدى للإحساس الغريزي المتأصل لهذه الفكرة في عمق النفس البشرية.. فالبشرية اليوم مهياة لانتظار المخلص الموعود مهما اختلفت الأسماء والعناوين، ولذا فالإلهام والإحساس والحاجة إلى المخلص (المهدوية) أمر مشترك بين البشر، ولا يختص بقوم أو جماعة، بل يمكن مشاهدة صور هذه الحاجة وانتظارها تنوع وتختلف عند الأمم والحضارات، وتفاوت حسب الظروف والواقع النفسي.



ثانياً: جميع الديانات السماوية بشرت بالمخلص:

بدأت الفكرة منذ فجر الإنسان، واستمرت في أفق الإنسانية في كل مراحل التاريخ، فالمسألة من المواضيع البارزة في المسيرة البشرية واهتماماتها المتصلة بالعدل، ولا شك أن الإيمان بحتمية ظهور المخلص من الأمور المتفق عليها عند جميع الأديان السماوية والمذاهب الوضعية، وأن هذه الفكرة ماثلة باطراد في التراث الديني الإنساني، وهي قاسم مشترك بين كل الحضارات، كون فكرة المنجي حاجة إنسانية فطرية.. فجميع الأمم والشعوب تأمل بمجيء يوم تتخلص فيه الإنسانية من الظلم والفساد والاستبداد ويحل فيها العدل والأمن والسلام.

من هنا نجد أن الكتب والتراث الديني السماوي قد أجمعت على مجيء المخلص، وأن جميع الأنبياء والرسل قد أشاروا إليه وحلموا بيومه الموعد، وهكذا نجد أن منقذ العالم ليس ملكاً لطائفة دينية معينة، وليس ملكاً لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، بل هو أمل الإنسانية ومنقذ البشرية، وأن الكل ينتظره ويتوق إلى عهده الميمون.. فقد اتفق الجميع على فكرة (المهدي) والانتظار لهذا المنقذ، واختلفوا في اسمه وهويته، وهذا الاختلاف لا يضر في أصل الفكرة المترسخة الأصيلة، فالكل متفق على المبدأ والمنشأ والمفهوم، وإن اختلفوا في صفته وشخصيته والكيان الذي ينتمي إليه.

ثالثاً: عالمية النهضة المهدوية:

حضارة آل محمد ﷺ هي دولة عالمية تبسط هيمنتها وسيطرتها على جميع أنحاء العالم بشكل لا توجد معها أية حكومة أخرى في أية بقعة من بقاع الأرض، حيث إن الإمام ﷺ سيغير جميع الحكومات الموجودة آنذاك (مع تفاوت القدرات البشرية والاقتصادية بين الدول) ويدمجها تحت لواء حكومته العادلة، فيشكل الدولة العالمية الواحدة، التي ستجعل شعوب العالم ينظرون



لأنفسهم على أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض، وليس أمماً وشعوباً مختلفة.

إن قدرة المهدوية على الانتشار إلى أصقاع العالم، وقدرته ^(٥) على تحريك المشاعر وتأجيح الهمم واستحضار ولاء الشعوب في مشارق الأرض ومغاربها والتأليف بين قلوبهم، لا يمكن فهمه إلا من خلال فهم الخصائص المميزة للأيدولوجية الشاخنة المنبثقة منها، فإن قيم ومبادئ الإسلام (الدين الخاتم) تتوافق مع الفطرة ومع الصالح العام والخاص، وكذلك فهم الثقافة ^(٥) الإنسانية الشاملة التي تجلّت في الأطروحة المهدوية، والتي ستوفر لجميع المنتسبين إليها من كافة الأمم والشعوب والأديان فرصة المشاركة في بناء الحضارة الفاضلة وترسيخها.. فعالمية الدولة المهدوية تبرز لنا القواسم المشتركة لكل الأديان والحضارات المختلفة، والتي تؤمن بفكرة المخلص الموعود، والذي سينشر الأخوة بين الشعوب ويوحّد البشرية تحت ظل سيادة واحدة.

رابعاً: معالم الدولة المهدوية الفاضلة:

عندما تتعرف الشعوب والحضارات على خصائص ومميزات الدولة المهدوية، والأهداف والنتائج والواقع الذي سيتحقق على يد القائد والمنقذ والمخلص الموعود، حينها فإن هذه الشعوب ستكون في قمة الלהفة والشوق والانتظار لذلك العهد الميمون والحضارة الموعودة.. فأى إنسان عندما يحيط علماً بحقيقة دولة العدل الإلهي، ويجد أن خصائصها تدور حول محورين (التوحيد - العدل)، فمن خلال المحور الأول (التوحيد): يظهر معنى العبودية التامة والحقيقة لخالق البشرية والكون، والتحرر من جميع العبوديات الأخرى المادية والمعنوية وعلى اختلاف أشكالها، وهذه أسمى شكل للحرية مما يليق بالإنسان..

ومن خلال المحور الثاني (العدل): يعطى الإنسان قيمته وكرامته بما هو



إنسان، فتقوم الدولة بسياساتها وقوانينها ومناهجها لحفظ كرامة الإنسان وهو مقصد عالٍ لديها، ولا مجال لبروز أي شكل أو مظهر للظلم الفردي أو الاجتماعي.. وبعد ذلك تبرز الخصائص الأخرى ومعالم حضارة آل محمد ﷺ كالتطور العلمي وتكامل الوعي البشري، والرفاه الاقتصادي... والتي هي آثار ونتائج لجهود القيادة العظيمة المتمثلة في المنقذ الموعود.

وعندها ستدرك الأمم والشعوب أن واقع البشرية الحالي هو أسوأ من المستقبل المشرق للبشرية، والذي سيتحقق على يد المخلص (المهدي ﷺ)، حينها ستتقلص صعوبة المهمة وستفتح الآفاق الذهنية للأمم والشعوب للتعرف والإحاطة والبحث عن شخصية قائد تلك الحضارة ومنفذها على أرض الواقع.

خامساً: مستقبل التاريخ البشري:

قضية الإمام المهدي المنتظر ﷺ ترتبط بأكثر الأمور إلحاحاً وحساسية في الفكر البشري، ترتبط بمستقبل الإنسانية ومسيرتها نحو التكامل أو نحو السقوط، مما ينعكس على واقعنا العملي والنفسي وعلى طريقة تفكيرنا ونظرتنا إلى الأمور.. فمسألة النهاية لتاريخ البشرية هي من أشد الأمور إثارة في ساحة الفكر العالمي المعاصر، حيث تشهد الظروف العالمية انتكاسة فظيعة في القيم الإنسانية، وتراجعاً شديداً في حقوق وكرامة الإنسان، وبدون إيمان بالمهدوية تبدو كل مكتسبات البشرية في تاريخها الطويل من أجل حياة أفضل في مهبط الرياح، كما يصبح الحديث عن استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية غير ذي جدوى إطلاقاً.

وبنظرة كلية عن مكانة المهدوية عند الإنسانية وأهميتها الاستراتيجية، وفهماً للسنن الإلهية في التاريخ، نجد أن المسيرة الأساسية والخط العريض في حياة ومستقبل البشرية تتجه نحو (الحضارة المهدوية)، فمنذ البدء والإنسانية تتكامل



وتتقدم نحو الأفضل، وأصدق مثال على ذلك التكامل في الشرائع السماوية والعلوم الإنسانية، ولذا فالبشرية تتحرك بأمل وبفطرة سليمة نحو المستقبل.. وهذا ما تؤكد الأطلوحة المهدوية التي تثبت بأن الفساد والظلم شيء مؤقت، وأن هناك حياة سعيدة وعصراً متألّقاً ينتظر البشرية في المستقبل على يد المنقذ الإمام المهدي عليه السلام.

المهدوية منفتحة على أبعاد الإنسانية والحياة كلها، وفي ثقافتها الفكرية والروحية تحثنا أن نفتح على الآخر، فحقيقة المهدوية ومضمونها وأهدافها تأخذنا لفهم أسباب الحضارة، بيد أن الدارس للمرتكزات الأساسية للمهدوية وبحث تعريفها للآخر - إضافة للنقاط سالفه الذكر - يلحظ وجود حركة مد وجذر بين خاصتين أو نسقين أساسيين:

يرتبط الأول بالأصالة: المهدوية كعقيدة هي حقيقة منبثقة من الوحي الإلهي، وتأصلت في الفكر الإسلامي من ركني الإسلام: الكتاب والعترة. ويتعلق الآخر بالنهوض: حيث إن التراث المهدوي يخزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة البشرية، حتى تصل الإنسانية إلى مرحلة الكمال والنضج والرشد، وتؤسس الحضارة الفاضلة.

كل هذه المرتكزات والخصائص الأساسية تدل على حيوية وديناميكية الثقافة والفكر المهدوي، حيث يلتقي الدافع الديني مع الضرورات الإنسانية والاجتماعية ويحصل انسجام كبير بينهما، مما يفتح المجال أمامها واسعاً للقبول والانتشار عند مجتمعات الأمم والشعوب غير المسلمة.

الآلية الاستراتيجية للتعريف:

في الحضارات المختلفة تتنوع الفوارق وتختلف المشكلات تبعاً لهوية وخصوصية كل أمة ومجتمع، مما ينتج عن ذلك احتياجات وهموم متغيرة، ولا سيما المثل والأهداف والرؤى والقيم الخاصة بكل مجتمع.. ولذا فمسار



التعارف الثقافي والفكري يتمايز بين أمة وأخرى، وعلى هذا الأساس يحتاج (التعريف بالمهدوية) قبل كل شيء إلى دراسات مستمرة في شأن الهوية التاريخية والفكرية (للمخلص عند الأمم)، والاطلاع على اختلاف تشخيص هويته عند كل أمة وكيان.

وعند فهم الهوية والأبعاد المتنوعة الخاصة بالمخلص عند كل حضارة، سوف تُتاح إمكانية إيضاح مهدوية أهل البيت عليهم السلام باعتبارها إطاراً أصلياً وبرنامجاً عملياً ومدعماً بالتراث الديني لكل الأديان السماوية المختلفة.. مما يُجتم علينا أن نوفر الإجابة على الأسئلة التالية، لنسلك سبيل التعريف بيسر وسهولة:

- ما هي الرسالة المراد توجيهها، ويجب التأكيد عليها دائماً عند الحديث مع الآخر عن المهدوية؟

- ما هي الرؤية والهدف من تعريف المهدوية لدى الحضارات المختلفة؟

- ما هو الخطاب السليم والأنسب عند الحديث عن المهدوية مع شعوب الحضارات الأخرى؟

- ما هي القيم المشتركة بخصوص المهدوية التي تقوم على ردم الهوة بين الثقافات والحضارات المختلفة؟

- ما هو النموذج الذي نحن بصدد طرحه لتقريب الصورة عن مهدوية أهل البيت عليهم السلام؟

بكل تأكيد إن قراءة شاملة لتراثنا المهدوي، ونظرة فاحصة وعميقة لثقافتنا الحالية، واستقراء واقعنا الإسلامي الحالي، تُجلى لنا غياب ملامح أي استراتيجية لتعريف المهدوية للآخر (غير المسلم)، ولم نتمكن حتى الآن من رسم خارطة طريق التعريف.. فمن أين يمكننا أن ندرك ما يجب أن نتطرق إليه، وأي جانب يُفضّل أن نخوض فيه عند الحديث عن المهدوية مع الآخر؟..

ونحن لم نحدد أو نوفر بعد طبيعة الخطاب التعريفي والرسالة المراد إيصالها



للآخر، مما يُجتم علينا أن نتجاوز بناء المفهوم وندخل حيز المشاركة والتنفيذ والتداول، فنمد جسور التعارف بناءً على أسس استراتيجية واضحة ومنهج معرفي سليم، وحينها نتخلص من الرواسب الفكرية المتراكمة عبر التاريخ، ونساير الأولويات الراهنة وخصوصيات المرحلة المعاصرة، ونواكب متطلبات التعريف.

لابد من إطلاق مشروع (تعريف المهدوية للآخر)، وقبل ذلك دراسة واستيعاب فكرة المخلص عند الحضارات الأخرى بشكل عام، والتأمل في الفكرة من خلال وعي المجتمع الآخر بها (الرأي العام العالمي) أو بما له علاقة بها، لاسيما النظرة الفلسفية إلى نهاية العالم، فهي النقطة الرئيسية لتعريف المهدوية ومفتاحها.. كذلك هناك عدة خطوات منهجية وعملية في غاية الأهمية يستلزم القيام بها وتنفيذها على أرض الواقع في سبيل التمهيد للتعريف لتسير الأمور بسلاسة ويسر، وهي كالآتي:

التعرف على الآخر: التعرف عن قرب على مجتمعات الأمم والشعوب المختلفة كما هي في الواقع، وذلك من خلال مواكبة تطورها العلمي والفكري والثقافي في سياق فكرة (المخلص)، وعبر ما تقدمه النخب من معارف وأفكار فلسفية أو تاريخية بهذا الخصوص، ومتابعة آخر المستجدات التي وصلت إليها الفكرة في منظومتهم الفكرية في العصر الحالي.

لغة خطاب مشتركة: إننا بحاجة إلى عمل بحوث ودراسات (تحقيقية) معمّقة، عن فكرة المنقذ والمخلص لدى الحضارات المختلفة، وإدراك قاعدتهم الفكرية وحدود المعرفة (التاريخية والدينية) لديهم، ما يمهد الطريق لنطلق في إيجاد لغة فكرية مشتركة، وذلك بتأطير العقيدة المهدوية الأصلية بلمسات من منظومتهم الفكرية، والوصول لصياغة خطاب تعريفي مناسب ومقبول لدى الآخر.



رسالة واضحة تُوجّه للآخر: صياغة تعريف لمضمون (المهدوية) على شكل رسالة فكرية ومعلومات ثقافية تحتوي على المبادئ والقيم المشتركة والمقبولة لدى الآخر.. رسالة نود إيصالها وترويجها لدى الرأي العام للآخر، وتكون لها القابلية والنجاح للتوسع والانتشار والتغلغل في منظومتهم الفكرية، حتماً لا يكفي الحديث عن العدالة والقضاء على الظلم فقط للترويج للمهدوية، بل يتحتم علينا تجديد خطاب وابتكار رسالة يكون لها صدى في مجتمع أغلبه علماني النزعة.

طرح المهدوية بشكل حضاري يواكب العصر: من خصوصيات الفكر والثقافة المهدوية أن ترفع مستوى وعي الأمة في مجال الرؤية الحضارية والكونية، وتعمّق أفقنا لفهم أفكار وفلسفات الحضارات المختلفة بعيداً عن التعصب الديني والمذهبي.. مما يوطد لتأسيس أطروحة جديدة ذات طابع فكري وثقافي وبرؤية حضارية منفتحة، تُقدم للأمم الأخرى على قاعدة الشراكة الحضارية، تعرفهم بمشروع الإمام المهدي عليه السلام لإنقاذ العالم وقيادة البشرية نحو طور مستقبلي جديد، وحياة قائمة على العدل وحفظ كرامة الإنسان، وتوفير السعادة والرفاه والحياة الكريمة للجميع.

طرح نموذج تاريخي (واقعي) يقرب الصورة: إنّ الشعوب الأخرى تريد أن تسمع وتعرف النموذج الذي نحن بصدد طرحه، وما يحمله من قواسم مشتركة معهم.. وفي تاريخنا الإسلامي أفضل نموذج يمكن طرحه هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا النموذج الإنساني في الأخلاق والزهد والعدل والاستقامة والشجاعة، هذا العظيم الذي تدفقت منه الحكمة والفلسفة والعلم، وترجم ذلك عملياً في أفعاله وأقواله، وقدم لنا وللتاريخ البشري أفضل نموذج للحاكم والمسؤول العادل.. فعندما نقرأ عهده^(٦) إلى مالك الأشتر عام ٣٩ هـ (أي قبل ١٤٠٠ سنة) نجد هذه الوثيقة معجزة إنسانية، فهي جامعة



مانعة تطرح منظومة قيم متكاملة في القانون والسياسة وعلم الاجتماع، وتهدف إلى تأسيس نظام إداري وحقوقى في الحكم يكرس المبادئ والقيم الإنسانية. لا بد أن نحمل مشعل المبادرة، فعلى مسار التاريخ الطويل ظلّت المبادرة بيد الآخر، فهو يسأل ونحن نجيب، بل نتناوب على الإجابة، وهو يبادر ويفعل وتأتي ردة الفعل من طرفنا.. ومن هنا فإن أولويات المرحلة الراهنة ومتطلبات مسيرة التمهيد تحتم علينا أن نبادر وننطلق في إيجاد أو ابتكار منظومة معرفية تربطنا مع الآخر (غير المسلم)، تؤطر لمساحة فكرية جاذبة تتداول فيها نخب المجتمعات المختلفة الأفكار والمعارف المهدوية، وتتوفر عبرها سبل الحوار والتعارف والتواصل بخصوص القواسم المشتركة المتعلقة بالمهدوية أو المخلص الموعود.

وليس من شك، فإن توفير الشروط اللازمة لتعريف المهدوية، يوجب تنفيذ منهج التعريف والآليات الضرورية وتحقيقها على أرض الواقع، وحينها يمكننا القول إننا وضعنا الأساسات الأولية لعملية إيضاح وتقديم المهدوية للحضارات المختلفة، وبدأنا نفهم المهدوية برؤية حضارية بعيداً عن منغصات السياسية وصدام الحضارات والنزاعات الدينية والمذهبية.

المهدوية هي مخلص الحضارات:

البحث والنقاش عن المخلص في الحضارات المختلفة يعد من أعمق النقاشات وأكثرها جدية ومنهجية، لأنه يرتبط بمستقبل البشرية في هذا العالم والرؤية الكونية إلى الوجود الإنساني.. وحيث إن شخصية هذا المخلص لم تتبلور له هوية واضحة عند أتباع الأديان السابقة للإسلام والحضارات المختلفة، ولتجريد هذه القضية من حسابات المصالح المذهبية الضيقة أو المنافع السياسية والدينية المحدودة، ولرفع مستوى التفكير وتوسيع الأفق حول هذه



القضية، لذا ينبغي أن تشمل البحوث وتعمق الدراسات حول المنظورات الدينية والفلسفية لفكرة المخلص عند جميع الحضارات المختلفة.

من خلال بحثنا لفكرة المخلص الموعود في الفكر الديني المقارن^(٧) يتضح لنا وجود قواسم مشتركة كثيرة بين كل الأديان والحضارات، تتمثل في الأساس بالاتفاق على أصل الفكرة ومن ثم على نقاط عديدة منها:

(١) اتفقت كل الأديان على أن القوة التي خلقت الحياة على الأرض سوف تنهي هذه الحياة في يوم من الأيام، كما أكدت (الأديان) على وجود علامات معينة سيكون ظهورها نذيراً بنهاية العالم.

(٢) في الحقبة الأخيرة من المسيرة التاريخية البشرية، سوف يتغير الخط الموضوعي لمسار التاريخ، فتدخل العناية الإلهية باختيار (المنقذ المنتظر) ليخلص البشرية من الظلم والجور وينشر العدل والسلام.

(٣) طبيعة (المخلص الموعود) إنسانية (من بني آدم)، ولكنه يتمتع بصفات خارقة لا يتمتع بها غيره من البشر، وتستمد وجودها من قوة غيبية فيما وراء الطبيعة (شخصية قدسية ترتبط بالغيب).

(٤) إن حركة التغيير الشامل العالمية ليتسنى لها النجاح، يستلزم أن تكون الظروف البيئية (كافة الجوانب) ملائمة، وتتوفر عوامل مناسبة للنهضة، وأن البشرية متقبلة ومهيئة لتحقيق الأهداف الكبرى.

(٥) إن ظهور (المنجي المرتقب) يسهم في إحداث تحولات تاريخية في المسيرة الإنسانية، وإحداث تغيرات جذرية في نهاية العالم، حيث يتكامل الناس ويصبح واقع الحياة مزدهراً.

من هنا نؤكد أن بداية مشروع التعريف بالمهدوية يتم عن طريق البحث عن المشتركات العامة لفكرة المخلص بين الحضارات، وكذلك الاطلاع على المبادئ والقيم المتعلقة بها كالتوحيد والعدالة والحرية والمساواة وتطور العلم



وتكامل الوعي البشري والرفاه الاقتصادي و...، وليس الهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى أحادية الرؤية أو نمط تفكير واحد، إنما القصد إظهار اتفاق البشرية كافة وبكل أطرافها وحضاراتها على أصل الفكرة (المخلص الموعود)، ولترسيخ هذا الاتفاق على المبدأ جاء التراث الديني السماوي وكتابات الفلاسفة البشرية ببشارات عديدة وإشارات صريحة بتأكيد اتحاد الفكرة وتعزيز المنحى القيمي لها كالعدالة والتوحيد.. وباعتبار أن أصل الفكرة ومنشأها الوحي الإلهي، وتتوافق مع الفطرة الإنسانية وحاجات المجتمع البشري، فقد شكلت كمبدأ صورة حلم الإنسانية والأمنية الكبرى للشعوب، فجميع البشر يأمل بمجيء قائد -أتباع الديانات السماوية يعدونه ربانياً- يخلص البشرية من الظلم والفساد وينشر العدل والسلام في كافة الأرض المعمورة.

يجب أن نعرف بأن الخلفيات الدينية للشعوب ليست على درجة واحدة في جميع الحضارات، وليست على وتيرة واحدة أيضاً في نطاق الحضارة الواحدة، فهناك شعوب تعطي أهمية ومكانة للمبادئ والتعاليم الدينية، وهناك أمم لا تمثل الخلفيات الدينية أي مكانة لديها أو تشغل حدود ضيقة.. ومن هنا نؤكد أن الهوية الدينية أو الخلفيات العقيدية هي أحد المداخل الحيوية في سبيل إحراز تقدم فاعل وحقيقي في مشروع التعريف بالمهدوية وليس المدخل الوحيد، بل أن القواسم المشتركة والهموم الإنسانية الكبرى والرؤية الحضارية للمستقبل المشرق للبشرية هي أكثر المداخل حيوية وفاعلية في مشروع التعريف.

بكل تأكيد هناك اختلاف أو تعدد في وجهات نظر الأمم والشعوب وأتباع الأديان حول تشخيص هوية (المخلص)، لكن ثمة اتفاقاً بين الجميع على المبدأ وأصل الفكرة.. عموماً ينبغي التمييز بين ما يطرحه التراث والكتب للأديان السماوية وبين ما يطرحه أتباع هذه الأديان ومفسروها، فإن اختلاف الأتباع في



تشخيص هوية المخلص الموعود رغم اتفاقهم على حتمية ظهوره، ناشئ من تفسير النصوص والبشارات السماوية وتأويلها استناداً إلى عوامل خارجة عنها وليس إلى تصريحات أو إشارات في النصوص نفسها، بمعنى أن تحديد هويته لا ينطلق من النصوص والبشارات في التراث الديني السماوي، بل ينطلق من انتخاب شخصية (من الكيان الديني الخاص) ومحاولة تطبيق النصوص عليها، كل ذلك لرغبة أو فوز بافتخار أن صاحب هذا الدور التاريخي المهم شخصية تنتمي لكيانهم، إضافة للعوامل السياسية أو التعصب الديني.

في التراث الثقافي لبعض الأديان والمذاهب المختلفة ذكرت أسماء عديدة ومختلفة للمخلص الموعود، كل حسب رؤيته وتفسيره لهذه الشخصية المهمة والتي تنتظرها البشرية منذ القدم.. ومن هنا لابد من إدراك ما يمكن أن يعتري هذه القضية من سهولة وهي الحديث عن أصل الفكرة والمبدأ، وما يعتريها أيضاً من صعوبة وهي الحديث عن التشخيص والهوية.. فعندما نمتلك معرفة واسعة عن مخلص الطرف الآخر، ونستوعب القواسم المشتركة مع أطروحاته، ونتبع آليات التعريف الضرورية، سوف تسهل علينا مهمة تقديم المهدوية للطرف الآخر، عندها بكل تأكيد سيعرف الجميع على وجه الدقة حقيقة مهدوية أهل البيت عليهم السلام، باعتبارها تمثل منهجاً ذارؤية حضارية وبرنامجاً عملياً يشمل كل الإنسانية ومدعماً بالتراث لكل الأديان السماوية.

أطروحة المخلص عند المسلمين:

من خصائص الأطروحة المهدوية عند الشيعة الإمامية تجسيد الأمانة الكبرى للبشرية (فكرة المخلص) إلى حالة واقعية موجودة، فبلورت الفكرة بشكلها النهائي، فوضحت معالمها وبلغت أرقى صور نضجها، فبدلت حالة الأمانة والأمر النظري إلى واقع ملموس، فشخصت للعالم أنها تنتظر مخلصاً



محددًا، شخصاً يعيش بين الناس ويشعر بآلامهم وأسقامهم، ويتلمس مشاكلهم وأتاعبهم، وهو من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام، وأبوه الإمام العسكري عليه السلام (قرشي)، وأُمُّه السيدة نرجس عليها السلام (رومية)، يقول السيد محمد باقر الصدر: (إن الإسلام حوّل فكرة المخلص من غيب إلى واقع، ومن مستقبل إلى حاضر، ومن فكرة نتظر ولادتها ونبوءة نتطلع إلى مصداقها، إلى واقع قائم نتظر فاعليته وإنسانٍ معينٍ يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويرانا ويعيش مع آملنا وآملنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويترقب مع الآخرين اللحظة الموعودة)^(٨). إنَّ أطروحة المخلص أو المنقذ عند المسلمين والمتجسدة في الإمام المهدي عليه السلام تعطي مسيرة الصلاح والإصلاح في البشرية عامل استمرار بقوة وفاعلية أكثر، ومن جهة أخرى تحافظ على منجزات الرسالات السماوية والتي هي ثمرة جهود الأنبياء عليهم السلام عبر التاريخ البشري.

ينطلق الشيعة في نظرهم إلى المهدوية من معتقد الإمامة، فهي الإمامة الباقية والتي تنفرع من النبوة، والإمام المهدي عليه السلام هو ذلك الإنسان الحاضر والناظر والراصد لمستوى العدالة في البشرية ومدى استعداد الناس لتقبل نهضته، مما يؤكد أن وجود الإمام في كل عصر وزمان ضرورة لا غنى عنها، وذلك لتحقيق الأهداف الإلهية، وضمن دائرة السنن الجارية وبالطرق الطبيعية.. ومن هذا المنطلق، فقد ولد الإمام الأخير عام ٢٥٥ هـ (٨٦٩ م) ولا زال يعيش في دار الدنيا، وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يطول عمره الشريف، وأن يغيب عن الناس (غيبة عنوان)^(٩) في هذه الحقبة الزمنية من تاريخ البشرية، بانتظار أن يأذن الله له بالظهور، وتسبح له الفرصة للقيام بالحركة الإصلاحية الشاملة على مستوى العالم بأسره.



عوائق تعريف المهدوية للحضارات:

الحديث عن تعارف الحضارات وإيضاح مفهوم المهدوية للأمم والشعوب المختلفة لا يمكن أن يتم بدون إرساء أسس استراتيجية واضحة للبناء، وفي نفس الوقت تجاوز المعوقات والصعوبات التي تقف حجر عثرة أمام جهود التعريف، وهنا لابد من إلقاء الضوء على العقبات الرئيسية لتجاوزها وتفكيكها من أجل دعم مفهوم التعريف وتيسير مهمته، بصفته خياراً استراتيجياً ومفهوماً حضارياً ومنهجاً يمكن من خلاله مناقشة كافة الهموم المشتركة والقضايا المصيرية، ومنها المسائل المتعلقة بمستقبل البشرية والرؤية الحضارية لفكرة المخلص.. ومن هذه المعوقات التي تحول دون تنفيذ المهمة الآتي:

١ - عدم إدراك أهمية مشروع التعريف:

إن عدم الاهتمام بمفهوم تعريف المهدوية للحضارات المختلفة يعود بشكل أساس إلى عدم إدراك أهمية هذا المشروع أو المصطلح، بالإضافة إلى اللبس المسيطر على بعض المؤمنين في إدراك الأبعاد المختلفة للثقافة المهدوية، ولا يعود ذلك إلى عدم وضوح الرؤية أو سعة الأفق فحسب، بل قد يعكس ما نحمل من قصور تجاه الإمامة الخاتمة والتفاعل مع همومها، إضافة إلى ذلك فقدان الهم العلمي الذي هو شرط أساس ضروري لتشكيل رؤية استراتيجية لمفهوم التعريف.

لا شك في أن الثقافة المهدوية قد فقدت الكثير من منهجها الفكري، عند اقتصار مخاطبتها للمسلمين فقط، وعدم إدراك أهمية مخاطبة الآخر أو كل الأمم والشعوب، ولذا نشهد انحسار الرؤية الحضارية في الكتابات



المهدوية، مما حال دون توسيع آفاقنا وتطور أفكارنا ومعارفنا المهدوية، ولا يرجع السبب إلى فقر العقيدة المهدوية ومبادئها، إنما السبب في عجزنا عن حسن التعامل مع منظومة القيم والمعارف المرتبطة بها، وعدم الاستفادة من رؤيتها الحضارية ذات العطاء المتجدد والمتقدم والمجرد عن حدود الزمان والمكان.. فالانحسار الذي نعاني منه ناتج عن أزمة فكر بالأساس، ولذا نشهد في السياق التاريخي للتراث والمعارف المهدوية بُطْناً في التطور الفكري لا يتناسب مع متطلبات مسيرة التمهيد، وإلا فإن أحد المصاديق البارزة لمعنى 'الانتظار والاستعداد لظهوره' هو تعريف العالم بمنقذه (إمام الزمان) وتهيئة البيئة المناسبة لإنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

٢- عدم فهم الحضارات الأخرى:

إن عدم التعرف على مجتمعات الحضارات المختلفة كما هي في الواقع، وعدم الاطلاع على تطوراتها العلمية والفكرية والثقافية والدينية والسياسية والفلسفية الحديثة، وعدم الإحاطة بنظرتها للمستقبل ورؤيتها لنهاية التاريخ وفكرتها للمخلص الموعود، كل ذلك يخلق لنا إشكالية عدم الرؤية الصحيحة والواعية لهذه الحضارات.. ومن غير تجاوز هذه الإشكالية فسوف يتقلص تشكيل فضاء فكري خلاق يفضي إلى التواصل والتعارف المتكافئ حضارياً بيننا وبين النخب الفكرية لتلك الحضارات. مشروع التعريف ينبغي أن يشمل كل الحضارات الفاعلة والمتجددة، فلا يصح أن ننظر لمفهوم أو مصطلح التعريف على أنه حوار أو تعارف بين الإسلام والغرب فقط، مما يجعلنا نفقد التواصل مع الحضارات الأخرى



كالصينية أو الهندية مثلاً.. لذا ينقصنا تكوين المعرفة بالمناهج والأبنية الفكرية والايديولوجية والنظريات الثقافية للحضارات الغائبة تماماً عن مداركنا ودراساتنا وبحوثنا، وهذا يعني أننا لا نملك معرفة حقيقية عن بعض الحضارات الحيوية والمعاصرة.. وبمنظرة إلى الأهداف الكبرى للمهدوية ومشروعها الحضاري العالمي، نجد أن أبسط مسؤوليتنا تعريفها لكل شعوب العالم، وللأسف فإننا حالياً نعاني غياب المختصين والباحثين، الذين يمكن أن يقدموا لنا معرفة واسعة بتاريخ تلك الحضارات الغائبة عنا، ويعززوا هذه الدراية بنظرة شاملة معاصرة عنها، لتجاوز أزمة الثقة وسوء الفهم المتبادل بين الطرفين.

٣- محاربة أعداء الإسلام للمهدوية:

في قبال النزعة المتأصلة بالفطرة والمؤيدة بشارات الأنبياء والرسل ﷺ وإيمان البشرية بفكرة المخلص، فإن ثمة موجة تشكيك وتشويه ومحاربة للقضية المهدوية، تقف وراءها جهات خبيثة معادية للإسلام وللمؤمنين، وتتجهج سبيل خلق ظروف وبيئة تفرز مناخاً يساعد على تقويض أمر المهدوية، وتكوين حالة من العداء النفسي والفكري للإمام ﷺ في أوساط المؤمنين ودحض الثقافة المهدوية.. لا محيص من المواجهة لكل ما يستهدف النيل من العقيدة المهدوية والذود عنها وكشف خطط الأعداء وخبثهم. وفي الحقيقة جوهر خطة الأعداء قائم على استدراجنا لمعارك جانبية عديدة يفتعلونها، لإشغالنا واستفراغ طاقتنا الفكرية والنفسية بعمليات الدفاع عن العقيدة المهدوية، وصرفنا عن مهمتنا الرئيسية (التمهيد لظهوره).. وهذه ساحة لا ينبغي أن نستدرج إليها أو نعطيهم الفرصة

لتشتيت عقولنا، فتستمر الغفلة وتحجم المهمة وتضيع جهودنا وأوقاتنا في معاشة الأزمات، فمن فتنة إلى أخرى ومن مشكلة إلى مشكلة.

علينا أن نتجاوز المعارك والفتن الفكرية المرتبطة بالمهدوية والتي يعمل الخصوم والمناوئون على استدراجنا لها، فنوضح حقيقتها ونفسر للأمة دوافعها، فيبطل مفعولها ومن غير أن ننغمس فيها، ونستبدل الدفاع بمزيد من التوضيح والترسيخ للمهدوية، والتناول الإيجابي لرؤاها، وإدراك المسار الاستراتيجي لأهدافنا والمشي بخطى ثابتة في مهمتنا الأولى وهدفنا الرئيس.

إن رصدنا للمعوقات الفكرية والعقبات العملية التي تواجه (مفهوم التعريف) ووعينا بها، يساعد على تحويلها إلى إمكانيات قد تستثمر كآليات إضافية متاحة في الساحة الفكرية في سبيل إنجاح مشروع التعريف.



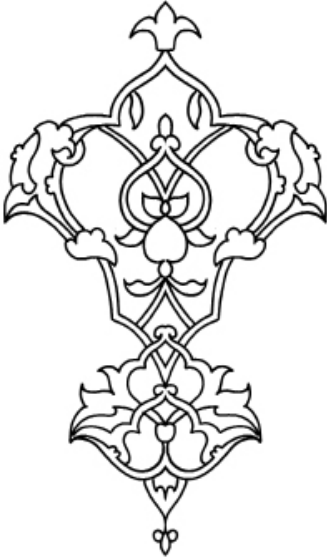
١. تعرف الحضارة بأنها: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، فهي تتكون من أربعة عناصر، المواد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الأخلاقية ومتابعة العلوم والفنون، المصدر: موسوعة قصة الحضارة، تأليف: ول وإيريل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، المجلد الأول، ب ١ - ص ٣، طبعة ١٩٨٨م.. يمكن الإشارة إلى تعريف دقيق شامل لمعنى الحضارة: (أن الحضارة تعني الحصلة الشاملة للمدنية والثقافية فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية)، المصدر: توفيق محمد سبع، قيم حضارية في القرآن الكريم، ج ١ ص ٣١ دار المنار - القاهرة.
٢. طرحت هذا المفهوم أو المصطلح لأول مرة في عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، في صحيفة (صدى المهدي - عدد ٧٦)، ولقى اهتماماً وتقبلاً في أوساط المؤمنين وفضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف.
٣. الآخر: لا يقصد به الضدية، أنها يراد منه كيان مختلف أو شيء ثاني.. ويرتبط
- هنا بمفهوم الهوية الجمعية، أي خارج ثقافتنا.
٤. منظومة البناء المعرفي هي: حصلة المعرفة الإنسانية عبر مسيرتها التاريخية، وتقوم على أساس من التنظيم والتصنيف والتراكم وفق معايير موضوعية، وتتكون عناصرها من: معلومات وحقائق ومفاهيم وتعليقات ومبادئ وقيم ونظريات واتجاهات ومهارات.. المصدر: بحث للدكتور محمد الخوالدة، بعنوان (منظومة البناء المعرفي وطرائق تدريسها)، قدم في المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم - جامعة عين شمس - القاهرة - أبريل ٢٠٠٣م.
٥. أظهرت الدراسات الاجتماعية الحديثة أن القيم والمعتقدات الدينية تشكل العنصر الأساسي في البناء الثقافي للمجتمع.. وكذلك فإن ارتقاء المجتمعات يرتبط بظهور القيادة الملهمة التي تمتلك رؤية متميزة، تؤدي إلى تحفيز الهمم والأفعال وتوليد زخم نفسي وروحي، فتخرج المجتمع من ركوده، وتدفعه للمضي في عملية بناء نفسه وإظهار قدراته

الهوامش

العلمية.

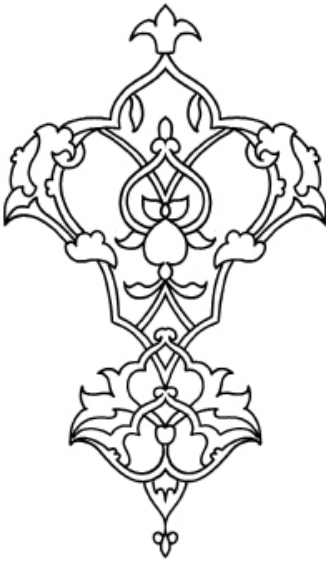
الصدر، ص ١٠.

٦. دستور رائع في إدارة الدولة وسياسة الحكومة ومراعاة حقوق الشعب.. وقد اعتمدت هذه الرسالة في الأمم المتحدة كونها من أوائل الرسائل الحقوقية، والتي تحدد الحقوق والواجبات بين الحكومة والشعب، واعتبرت كأحد مصادر التشريع للقانون الدولي، وقد دعت الأمم المتحدة لاتخاذ أمير المؤمنين علي عليه السلام مثلاً للحاكم الصالح - المصدر كتاب: بحوث معاصرة في الساحة الدولية، للشيخ محمد السند، ص ٣٦٤-٣٦٥.
٧. دراسة فكرة المخلص بشكل مقارنة بين ثماني ديانات هي: المصرية القديمة والهندوسية والبوذية والجينية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلامية - للتوسع في هذا المجال ارجع إلى كتاب (البحث عن منقذ) ل: فالح مهدي - بغداد ١٩٨١ م.. ودراسة فكرة المهدي المنتظر بين أربعة مذاهب إسلامية هي: الإباضية والإسماعيلية وأهل السنة والشيعة الإمامية، ارجع إلى كتاب (رؤى مهدوية) ل: مجتبی السادة - ٢٠١٦ م.
٨. بحث حول المهدي، للسيد محمد باقر
٩. غيبة عنوان: وهي أن الناس يرون الإمام المهدي عليه السلام بشخصه، دون أن يكونوا عارفين أو ملتفتين إلى حقيقة أنه المهدي المنتظر.



المصادر

- (١) المسألة الحضارية: كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير؟ - زكي الميلاد - مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- (٢) معرفة الحداثة والاستغراب.. حقائق متضادة - حسين كشتويان نيان - مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦ م.
- (٣) مجلة الموعود، العدد التاسع، شعبان ١٤٣٥ هـ، مؤسسة المستقبل المشرق، ايران، دراسة: (أنماط السلوك البشري والأخلاق المعقدة والممهدة للظهور) د. محمد كوراني.
- (٤) التراث المهدوي.. استقراء التطور الفكري في مسيرة التراث المهدوي الشيعي - مجتبى السادة، أطياف للنشر والتوزيع - القطيف، ٢٠١٨ م.
- (٥) البحث عن متقذ... دراسة مقارنة بين ثماني ديانات - فالح مهدي، دار ابن رشد، بغداد ١٩٨١ م.
- (٦) نحن والعالم.. من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم - زكي الميلاد، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ٢٠١٣ م.
- (٧) مجلة الاستغراب - المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - بيروت،
- العدد الأول - خريف ٢٠١٥ م، دراسة: (في إمكانية معرفة الغرب) رضا داوري الأوردكاني، ودراسة (لماذا الاستغراب؟) محمود حيدر.
- (٨) بحث حول المهدي، السيد محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات - بيروت، ١٩٧٧ م.
- (٩) رؤى مهدوية.. شذرات فكرية في القضية المهدوية - مجتبى السادة، أطياف للنشر والتوزيع - القطيف، ٢٠١٦ م.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

حكم تسمية إمام العصر عليه السلام

الأستاذ المساعد الشيخ الدكتور وفقان خضير محسن الكعبي
جامعة الكوفة - كلية الفقه

المقدمة:

من لوازم الكتمان والإخفاء عدم التصريح بالاسم والهوية الشخصية للفرد ومن ذلك منع الشارع من التصريح باسم الإمام، وكنّاه بكنى متعددة مثل المهدي ابن الحسن عليه السلام وما إليها. وقد وردت روايات دلّت على المنع من التصريح باسمه المبارك وهو اسم جدّه النبي صلى الله عليه وآله.

بل جاء في بعض الروايات^(١) تعليل يستفاد منه: حرمة التصريح باسمه في زمان الغيبة، قال صاحب كشف الغمة: (قد جاء في الأخبار^(٢) أنه لا يحلّ لأحد أن يسمّيه باسمه... إلى أن يزّين الله الأرض بظهور دولته، ومال إليه جماعة من الأصحاب)^(٣).

ولقد عرض العلماء هذا الموضوع وبينوا أسسه وما قيل فيه وثمرته ولكن إخفاء الاسم موافق لذوق المؤمن بالغيبة المقتضية للإخفاء حتّى في الاسم، وأن الله أراد حفظه وإلا فقد وردت الروايات في تحديد اسمه المبارك.

(ولا يخفى أنه بمقتضى الأخبار الكثيرة المعتبرة والقريبة إلى التواتر أن حرمة تسميته بهذا الاسم المبارك في المجالس والمحافل إلى ظهوره موفور





السرور، وهذا الحكم من خصائصه؛ وهو مسلّم عند قدماء الإمامية من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين^(٤) حتى أن الشيخ الأقدم أبا محمد الحسن بن موسى النوبختي - وهو من علماء الغيبة الصغرى - قد ذكر في كتاب (الفرق والمقالات)^(٥) الفرق الثانية عشرة الشيعة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقال: (وهم الإمامية) ثم نقل مذهبهم وعقيدتهم، إلى أن يقول: (ولا يجوز ذكر اسمه، ولا السؤال عن مكانه حتى يؤمن بذلك)^(٦).

ويعلم من هذا الكلام في هذا المقام أن هذا الحكم من خصائص مذهب الإمامية ولم ينقل خلاف من أحدهم فيه إلى عصر الخواجة نصير الدين الطوسي حيث إنه كان قائلاً بجوازه^(٧)، وخلافه لا يضرّ وذلك لضيق وقته عن مراجعة الكتب النقلية، ولهذا فهو يقول أحياناً بمذاهب نادرة بل قد تكون منحصرة به مثل إنكار البداء وتوقيفية الأسماء الحسنی وغير ذلك.

ولم ينقل بعده لأحد خلاف إلا صاحب كشف الغمة علي بن عيسى قال في هذا الكتاب:

(من العجب أن الطبرسي والشيخ المفيد رحمهما الله قالوا إنه لا يجوز ذكر اسمه، ولا كنيته ثم يقولون: اسمه اسم النبي وكنيته كنيته عليه السلام وهما يظنان أنهما لم يذكر اسميه ولا كنيته وهذا عجيب)^(٨).

وبالجملة: فقد بحثت هذه المسألة في عصر البهائي، وقد وقع النزاع فيها بين العلماء حتى أُلّف فيها رسائل مختلفة مثل (شرعة التسمية) للمحقق الداماد.

وقال (الميرلوحی) في (كفاية المهتدي): (وقد درس وتلمذ هذا الضعيف - الميرلوحی - عند الشيخ بهاء الدين محمد، والأمير محمد باقر الداماد (عليهما الرحمة)، وكانت بينهما مناظرة ومباحثة في جواز التسمية وحرمتها زمان الغيبة).



وقد استمرت هذه المناظرة بينهما إلى مدة، ولهذا أَلَف السيد المشار إليه الكتاب المذكور.

ورسالة تحريم التسمية للعالم الجليل الشيخ سليمان الماحوزي وكشف التعمية للشيخ الحر العاملي.

والفلك المشحون لسماحة السيد باقر القزويني.

وإدعى في (شرعة التسمية) الإجماع.

ونحن نذكر العبارة على ما نقله تلميذه الرشيد الفاضل قطب الدين الاشكوري في (محبوب القلوب) وسماحة السيد باقر في الفلك المشحون.

قال قطب الدين: قال السيد السند خاتم الحكماء والمجتهدين (طاب ثراه)

في كتابه شرعة التسمية في زمان الغيبة: (إن شرعة الدين وسبيل المذهب أنه لا

يحل لأحد من الناس في زمننا هذا وأعني به زمان الغيبة إلى أن يحين الفرج

ويأذن الله سبحانه لوليّه وحجته على خلقه القائم بأمره والراصد لحكمه

بسريح الظهور وشروق المخرج أن يسميه ويكنيه (صلوات الله عليه) في مجمع

بجاهراً اسمه الكريم معلناً بكنيته الكريمة، إنما الشريعة المشروعة المتلقاة عن

ساداتنا الشارعين عليهم السلام في ذكرنا إياه مادامت غيبته الكناية عن ذاته المقدس

بألقابه القدسية كإخلف الصالح والإمام القائم والمهدي المنتظر والحجة من

آل محمد عليهم السلام وكنيته، وعلى ذلك إطباق أصحابنا السالفين وأشياخنا السابقين

الذين سبقونا بضبط مآثر الشرع وحفظ شعائر الدين (رضوان الله تعالى

عليهم أجمعين) والروايات الناصة متظافرة بذلك عن أئمتنا المعصومين عليهم السلام

وليس يستنكره إلا ضعفاء التصوّر بالأحكام والأخبار وضعفاء الاطلاع على

الدقائق والأسرار، وإلا القاصرون الذين درجتهم في الفقه ومبلغهم من العلم

أن لا يكون لهم قسط من الخبرة بخفيات مراسم الشريعة ومعالم السنة ولا

نصيب من البصيرة في حقائق القرآن الحكيم ولا حظ من تعرف الأسرار الخفية



التي استودعها أحاديث مهابط الوحي ومعادن الحكمة ومواطن النور وحفظة الدين وحملة السر وعيبة علم الله العزيز).

ونسب السيد نعمة الله الجزائري في شرح عيون الأخبار القول بالحرمة إلى أكثر العلماء^(٩)، ولم ينسب القول بجوازه إلا لأولئك الثلاثة وبعض معاصريه. وهنا عدّة مطالب:

المطلب الأول: الروايات الدالة على الحرمة

وهي مجموعة من الروايات بطرق منها صحيحة معتبرة وأخرى غيرها ومضامين متعددة مطلقة ومقيدة دالة على النهي عن التصريح باسمه بل كنيته.

ونذكر هذه الروايات ضمن التالي:

الأول: لا يسمّى باسمه

روى الجليل الفضل بن شاذان عن جابر الأنصاري: دخل جندل بن جنادة اليهودي من خيبر على رسول الله ﷺ.. وبعد عدّة أسئلة، سأله عن أوصيائه، فذكرهم اسماً اسماً إلى أن وصل إلى الإمام الحسن العسكري فقال: «ثم يغيب عن الناس إمامهم». قال (جندل): يا رسول الله يغيب الحسن منهم (عنهم)؟ قال: «لا، ولكن ابنه الحجة، يغيب عنهم غيبةً طويلة». قال: يا رسول الله فما اسمه؟ قال: «لا يسمّى حتى يظهره الله»^(١٠).

وهذا فعل مضارع مقترن بلا الناهية الدال على الحرمة قبل ولادته وهو اخبار من سيد الكائنات بالمصلحة في الإخفاء له.

الثاني: عدم حلية بيان اسمه

روى الصدوق وغيره بطرق معتبرة عن عبد العظيم الحسني أنه قد عرض عقائده ومعالم دينه على الإمام علي النقي [الهادي] عليه السلام وعدّ أئمة إماماً إماماً. فقال عليه السلام: «ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟».



قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟.

قال: «لأنه لا يرى شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١١).

قرن المعصوم بين عدم التمكن من رؤية شخصه ومعرفة اسمه الصريح. وفي الرواية وجود أمرين: عدم التمكن من رؤية شخصه حقيقة، ولا يحلّ التخاطب باسمه الصريح، والغاية هي وقت ظهوره وحكومته العادلة. وهي تنافي الحمل على التقية والخوف عليه في خصوص زمن الغيبة الصغرى بل تشمل الكبرى.

ولكن الحر العاملي أجاب بعدم التنافي لها قائلاً: (هذا لا ينافي الحمل على التقية والتخصيص بوقت الخوف كما يظن، لما تقدم من التصريح بوجوب التقية إلى أن يخرج صاحب الزمان عليه السلام، ولكن التقية في هذه المدة لا تشمل جميع الأشخاص والأماكن، لما مر أيضاً، فهذا من جملة القرائن على ما قلنا، لأن هذه المدة هي مدة التقية).^(١٢)

وما الدليل والقرينة على التخصيص بعدم الشمول لزمن الغيبة الكبرى وهي تنطبق عليها حكم التقية. والرواية التي هي فيها أداة الغاية والنهاية (حتى). وهي من الطائفة الدالة على حرمة التسمية حتى ظهور دولته.

الثالث: حرمة التصريح باسمه

روي عن إبراهيم بن فارس النيسابوري عندما دخل على الإمام العسكري عليه السلام رأى الحجة عليه السلام جالساً إلى جنبه وأخبره بما في ضميره، فسأل عنه عليه السلام، فقال عليه السلام: «هو ابني وخليفتي من بعدي... إلى أن يقول: هو سمي رسول الله ﷺ وكنيته، ولا يحلّ لأحد أن يسميه باسمه أو يكنيه بكنيته إلى أن يظهر الله دولته وسلطنته»^(١٣).

وهو ظاهر في عدم حلية التسمية بالاسم الصريح.



الرابع: النهي عن التسمية

الخبر الصحيح والمشهور الذي رواه الكليني^(١٤)، والصدوق^(١٥) والطبرسي^(١٦) عن الإمام محمد التقي [الجواد] عليه السلام في خبر طويل ما حاصله: «أنه كان أمير المؤمنين عليه السلام يوماً في المسجد الحرام إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم، وسأل عدة أسئلة فأحاله عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام فأجابه عليه السلام، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بذلك... ثم شهد عليّ خلافته ووصايته عليه السلام وكذلك شهد عليّ واحد واحد من أوصيائه عليه السلام إلى أن قال: وأشهد عليّ رجل من ولد الحسن بن عليّ لا يسمّى ولا يكنّى حتى يظهر أمره فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، أنه القائم بأمر الحسن بن عليّ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام ومضى. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد.. قال: فما كان إلا أن وضع رجله خارج المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله تعالى... فقال: هو الخضر...»^(١٧).

وفي هذا الخبر الشريف عدة فوائد:

- ١- إن عدم ذكر اسمه الشريف كان من صفاته المعروفة المتداولة في عصر الأنبياء والأوصياء الماضين. وهو يعني خصوصية له ومن ميزاته المعروفة له قبل ولادته وبعد ولادته وفي غيبته ملازمة له.
- ٢- إنه كان من جملة التكاليف وعقائد أهل الحق في جميع العصور. من الأحكام العقدية المتعلقة بالإمامة ومن يؤمن بها من الموالين له.
- ٣- إنه حكم ثابت إلى عصر الظهور وليس مختصاً بزمان الغيبة الصغرى أو أوقات التقية، يعني حتى بعد الظهور وأن حددت بعض الأخبار إلى أن يظهر العدل ودولته وهو أمر غالبي لثبوت الحكم بعد الظهور، وهو ما يطابق الأحاديث السابقة والآية.



وقال المجلسي بعد أن ذكر عدّة أخبار قائلة بدوام الحرمة إلى عصر الظهور: (هذه التحديدات مصرحة في نفي قول مَنْ خَصَّ ذلك بزمان الغيبة الصغرى تعويلاً على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهمية)^(١٨).

رابعها: من يسميه جاحد منكر لإمامته، المروي عن الكليني والصدوق بسند صحيح^(١٩) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «صاحب هذا الأمر رجل لا يسمّيه باسمه إلا كافر»^(٢٠).

ولكن ألفاظ الرواية عند الصدوق تختلف عن الكليني وهي غير متحدة. روى الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر رجل لا يسميه باسمه إلا رجل كافر^(٢١).

لفظ الرجل كرر مع الاستثناء ولا يوجد في نسخة الكليني وإن كان وصف الكفر يطلق على الرجل والمرأة ولا خصوصية لعنوان الرجل في بيان اسم الإمام. والسند مختلف بين الروایتين معا وهو معتبر. قال الفاضل صالح المازندراني في شرح هذا الخبر:

(... المراد بالكافر ها هنا تارك الأوامر وفاعل النواهي دون منكر الرب والمشارك به، وفيه مبالغة في تحريم التصريح باسمه، ولعله مختص بزمان التقية بدليل ما ذكرناه في مواضع متفرقة، ودلالة بعض الأخبار عليه ظاهرة؛ ويؤيده عدم بقاء التحريم فيه في جميع الأوقات والأزمان، فإذا تطرق إليه التخصيص جاز حمله على ما ذكرناه فلا يكون دليلاً على شمول التحريم لزمان الغيبة...) (٢٢).

وجهات الضعف في هذا الكلام غير خفية للناظر، خصوصاً أن ثبوت الجواز في أيام الظهور مخصص لعمومات أدلة التحريم، مع أن في جميعها قد أخذ ذلك الزمان فيها غاية للتحريم فلم يدخل أحياناً حتى يخرج جميعاً. وإنّ القائلين بالحرمة قبل الظهور لم يخرجوا أي زمان (منها). وعلى فرض

التسليم بخروج زمان، فلا يكون سبباً لجواز التصرف في العموم.
وإن حمل الكثير منها على التقية ليس له وجه، بل في عدة ما يحتمل أنها
شبه وسندكرها فيما بعد.^(٢٣)

وهذه الرواية تدل على حرمة التسمية باسمه الشريف مطلقاً من دون تقية
من ناحية الزمان والمكان ولم تفصل وتجعل من يسميه أمام الناس جاحداً
للحق.

الخامس: عدم الرؤية له ولا بيان اسمه

الحديث المروي عن الكليني والصدوق والطوسي وغيرها عن الإمام
علي النقي عليه السلام قال لأبي هاشم داود بن القاسم الجعفري: «**الخلف من بعدي**
الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟» فقلت: لم جعلني الله فداك؟
قال: «**إنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه**»^(٢٤).

فقه الرواية من جهتين:

الجهة الأولى: البحث السندي

ونص السند في رواية الكليني علي بن محمد، عمن ذكره، عن محمد
بن أحمد العلوي، عن داود بن القاسم الجعفري قال: سمعت أبا الحسن
العسكري عليه السلام يقول: الخلف من بعدي (إبني) الحسن، فكيف لكم بالخلف
من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ قال: إنكم لا ترون شخصه
ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل
محمد صلوات الله عليه وسلامه [وعلى آبائه الطاهرين المعصومين].^(٢٥) فالسند
مرسل في الوسط بعنوان (عمن ذكره) وعبر عنه مجهول.^(٢٦)

والسند عند الصدوق معتبر ولا يوجد فيه إرسال: روى الصدوق (حدثنا)
أبي عليه السلام قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن أحمد العلوي، عن أبي



هاشم الجعفري^(٢٧) (والمتن لا يختلف إلا بلفظين (أبي) [وعلى آبائه الطاهرين المعصومين].^(٢٨) وهي معتبرة السند.

نعم إن تمت دعوى التواتر لروايات منها المعتبر وغيرها أو شهرة الرواية والعمل بها من قبل المشهور فيكون جابراً عند بعض أو تذكر مؤيداً للروايات المعتبرة.

الجهة الثانية: الدلالة

إن الكليني نقلها مرتين بسند واحد فهي من المكررات عنده^(٢٩). وهي تدل على الإشارة إلى إمامة الحسن العسكري وولده الحجة عليه السلام وهي بينت أمرين عدم ذكر اسمه وإثبات لقب الحجة له.

قال المازندراني: (قوله: «كيف لكم بالخلف من بعد الخلف» المراد بالخلف الأول الحجة وبالخلف الثاني الحسن العسكري عليه السلام وكيف للإنكار أي لا يكون لكم العلم بالخلف بعد الخلف بشخصه أو بمكانه أو لا يجوز لكم التسمية باسمه.

قوله: «لا ترون شخصه» لعل المراد نفى الرؤية عن جماعة أو كلّمأ أرادوا أو في زمان الغيبة أو كناية عن غيبته وإلا فقد رآه جماعة كما سيحيى، والله أعلم. قوله: «ولا يحل لكم ذكره باسمه» دلّ على أنه لا يجوز تسميته باسمه مطلقاً ولا يبعد تخصيصه بالغيبة الصغرى أو بمحل الخوف والتقية كما يشعر به بعض الروايات الآتية وربما يشعر به لفظ «لكم» ويؤيده وقوع التصريح باسمه في بعض الأدعية المأثورة، والاحتياط أمر آخر^(٣٠).

فحملها على الغيبة الصغرى فقط وهو رأي بعض العلماء^(٣١) أو الخوف - وسيأتي بيانه مفصلاً - والاحتياط بعدم بيان اسمه يحتاج إلى وجه.

السادس: لا يسمى باسمه

الحديث المروي عن الكليني بسنده عن عدّة من أصحابنا، عن جعفر

بن محمد، عن ابن فضال، عن الريان بن الصلت قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: -وسئل عن القائم- فقال: «لا يرى جسمه، ولا يسمّى باسمه»^(٣٢).

وسند رواية الصدوق، (حدثنا) أبي ومحمد بن الحسن عليه السلام قالوا حدثنا سعد بن عبد الله، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن علي بن الحسن بن فضال، عن الريان بن الصلت..^(٣٣).

السند معتبر والدلالة على الغيبة وتحقيقها وليس معناه لا يراه أحد بل طول غيبته. وقال المازندراني: (نهي في المعنى عن التصريح باسمه ولعله في بعض الأزمنة لأجل الخوف)^(٣٤).

النهي يحمل على الحرمة وهو الظاهر من صيغة النهي (لا الناهية والفعل المضارع) وحمله على الخوف غير مذكور في الرواية.

السابع: عدم الحلية

الحديث المروي عن الصدوق بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه قال لصفوان بن مهران: [المهدي من ولدي] الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته^(٣٥).

روى الصدوق، حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس عليه السلام قال: حدثنا أبي، عن أيوب بن نوح، عن محمد بن سنان، عن صفوان [بن مهران]، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: من أقرّ بجميع الأئمة، ووجد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء ووجد محمداً عليه السلام نبوته، ف قيل له، يا بن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته^(٣٦).

في سند الرواية محمد بن سنان وهو ضعيف الرواية لا يعمل بروايته عند بعض.



وسند الرواية يختلف عن الآتية والألفاظ المختلفة بينهما (عنكم) وفي الأخرى (عنهم) (ولا يحل لهم) (لكم) فلا يتم ما عبر المجلسي بقوله (مثله) (٣٧) فالاختلاف وارد بين الروایتين معاً. ومثل هذا الاشتباه وقع فيه الحر العاملي (مثله) (٣٨) ولكنهم بينوا الاختلاف في السند دون المتن.

روى الصدوق، حدثنا علي بن أحمد الدقاق رحمته الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن سهل بن زياد الأدمي، عن الحسن بن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: من أقر بالأئمة من آبائي وولدي وجحد المهدي من ولدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمداً عليه السلام نبوته. فقلت: يا سيدي ومن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه، ولا يحل لكم تسميته (٣٩).

والخامس كناية عن الإمام المهدي والسابع موسى بن جعفر عليه السلام (٤٠). وفي السند سهل بن زياد وهو ضعيف عند البعض ولعلماء الرجال كلام فيه مفصل.

وما روي أيضاً هناك عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال عند ذكر القائم عليه السلام: «الذي تحفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله تعالى فيملاً [به] الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (٤١).

تفصيل الرواية وسندها:

روى الصدوق، حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رحمته الله قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠) فقال عليه السلام: «النعمة الظاهرة الإمام الظاهر



والباطنة الإمام الغائب»، فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: «نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منا، يسهل الله له كل عسير، ويذل له كل صعب، ويظهر له كنوز الأرض، ويقرب له كل بعيد، ويير به^(٤٢) كل جبار عنيد ويهلك على يده كل شيطان مريد، ذلك ابن سيدة الإماء الذي تخفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله ﷻ فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤٣).

ونقل ملاحظة في هامش المخطوطة يحمل النهي عن ذكر اسمه في زمن الغيبة الصغرى وعصر الدولة العباسية التي تشدد التقية فيها على الإمام دون الغيبة الكبرى.

وهذا أحد الأقوال في تأويل الروايات بأن الحرمة مختصة بعصر الغيبة الصغرى فقال في هامش بعض النسخ المخطوطة هكذا: (الذي ادعاه المصنف فيما تقدم من النهي عن ذكر اسمه ﷺ يقويه ويؤيده هذا الحديث ولا فالروايات التي ذكرها في هذه الأبواب عن الأئمة ﷺ في النهي عن ذكر اسمه ﷺ يمكن أن يحمل النهي فيها على قبل الغيبة في زمان العباسية دون عصرنا هذا لأن التقية كانت في ذلك الزمان أشد من هذا العصر. وإنما قلنا (يمكن أن يحمل النهي على قبل غيبته ﷺ) لأن النهي لا يخلو من وجهين إمّا خوفاً على الإمام وهو مفقود في هذا العصر إذ لا يقدر أحد أن يظفر به، وإمّا خوفاً على القائل الذاكر باسمه وهذا أيضاً متف إذ لا يتصور الضرر من مخالفي هذا ولا التعرض به لأنه لو كان أحد ينادي في الأسواق بأعلى صوته يا محمد بن الحسن لا يرى أحد من المخالفين أنه سمع اسمه ويعرفه حتى يؤذى قائله وإذا كان كذلك فلم لا يجوز للمؤمنين أن يسموه ويتبركوا ويتشرفوا



بذكر اسمه ﷺ. وأما قبل غيبته الكبرى فقد كان الضرر متصوراً، لكن هذه الرواية تأبى ذلك والله أعلم).^(٤٤)

والخوف باقي في كل زمان ومكان وعصر، بل يمكن القول بأن الخوف في عصر الغيبة الكبرى أشد لقوة الاستخبارات الدولية عليه ومحاربة الكفر له. ولذا قال المجلسي: (هذه التحديدات مصرحة في نفي قول من خص ذلك بزمان الغيبة الصغرى تعويلاً على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهمية)^(٤٥).

وهذه الطائفة من الروايات نبت عن ذكر اسمه وتركه إلى أن يملأ الأرض عدلاً بعد ظهور دولته المباركة ولا تختص بزمن الغيبة الصغرى والكبرى.

الثامن: حرمة التسمية

ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «[القائم منّا] هو الذي تخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته»^(٤٦).

ونص الرواية سنداً ومتناً كما في المصدر الأولي لها:

روى الصدوق حدثنا محمد بن أحمد الشيباني^(٤٧) عن أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن سهل بن زياد الأدي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقال عليه السلام: يا أبا القاسم: ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله ﷻ، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله ﷻ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملاها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس (عن الناس) ولادته، ويغيب عنهم شخصه ويحرم (وتحرم) عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله ﷺ وكنيته وهو الذي تطوي له الأرض، ويذل له كل صعب [و]



يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨) فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله ﷻ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله ﷻ. قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي وكيف يعلم أن الله ﷻ قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة... (٤٨).

السند فيه سهل بن زياد وهو ضعيف لا يعمل بروايته ونقله عند المشهور. وصرحت هذه الرواية بالحرمة وهي المنع عن التصريح باسمه والحرمة التكليفية العقائدية المتعلقة بالإمام المهدي ﷺ. وتعتبر هي أوضح الروايات دلالة من النهي في غيرها إلا أن ضعف سندها يمنع من الاعتماد عليها. والسند مختلف في رواية أخرى وبعض ألفاظ المتن تختلف في الرواية، روى القمي، أخبرنا أبو عبد الله الخزاعي، قال أخبرنا (حدثنا) محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن سهل بن زياد الأدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني (الحسيني)، قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى: إني لأرجوك (لأرجو) أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً... والحديث بتمامه (٤٩).

التاسع: ملعون من سماه

الحديث المروي هناك أيضاً، روى الصدوق حدثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي رحمه الله قال: حدثني جعفر بن محمد بن مسعود وحيدر بن محمد بن السمرقندي قالوا: حدثنا أبو النضر محمد بن مسعود قال: حدثنا آدم بن محمد البلخي قال: حدثنا علي بن الحسن الدقاق، وإبراهيم بن محمد قالوا: سمعنا علي بن عاصم الكوفي يقول: خرج في توقيعات صاحب الزمان عليه السلام: «ملعون ملعون مَنْ سَمَّاني في محفل من الناس» (٥٠).



شبه الجملة من الجار والمجرور تفيد تقييد الحكم باللعن على من سباه في محفل أو مجمع من الناس، (والتقييد بقوله «**في محفل من الناس**» دليل على جوازه في غير محافلهم بناء على دلالة القيد على المفهوم في هذه المقامات وأن النهي إنما هو من جهة التقية عنهم)^(٥١).

والقرينة الثانية (من الناس) والمراد منهم الجمهور ومن لا يعتقد بإمامته من المجتمع ويستفاد أن التوقيع يحمل على التقية والتي سياًتي مناقشتها. وهذا الحمل عمل به الحر العاملي: (أقول: فيه وفي أمثاله دلالة على ما قلنا في العنوان لاختصاصه بالمحفل وهو مظنه التقية والمفسدة، وبالناس كثيراً ما يطلق هذا اللفظ على العامة فهو قرينة أيضاً)^(٥٢).

وورد سؤال واستفتاء لمكتب السيد الخوئي رحمته الله بعدم شمول هذه الروايات لزمن الغيبة الكبرى وهي مختصة بزمن الغيبة الصغرى. (هل تجوز شرعاً تسمية الإمام الحجة عليه السلام باسمه الشريف الخاص في محفل من الناس، أم أن الروايات المانعة من ذلك تعم زمان الغيبة الكبرى؟. الخوئي: لا تعم تلك زماننا هذا)^(٥٣).

ولكن الأرجح القول بالحرمة مطلقاً ولا تخص بزمان للحكم بإطلاق الروايات وبه قال بعض الباحثين: (ومن نص على تحريم تسميته عليه السلام باسمه الصدوق عليه السلام)، وهو ظاهر ثقة الإسلام في الكافي^(٥٤). وهو صريح كلام المفيد^(٥٥)، وأبي علي الطبرسي في كتاب أعلام الوري بأعلام الهدى^(٥٦).

العاشر: لعنة الله على من سباه^(٥٧)

روى الصدوق قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رحمته الله، قال: سمعت أبا علي محمد بن همام يقول: سمعت محمد بن عثمان العمري (قدس الله روحه)؛ قال: خرج توقيع بخط اعرفه: «**مَنْ سَمَّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله**» فقال أبو علي محمد بن همام: وكتبت أسأله

عن الفرج متى يكون فخرج إليّ: كذب الوقتون^(٥٨). والاختلاف في ألفاظ الرواية (أعرفه)^(٥٩) وفي الصدر الأصلي (نعرفه)^(٦٠).

البحث في هذه الرواية عين ما سبق في الرواية قبلها ولكن المضمون هو بين الموضوع وهو عدم تسمية الإمام في مجمع من الناس ورتب الحكم وهو استحقاق اللعن ولا يستحق اللعن إلا من ارتكب محرماً شرعاً.

قال في المعجم الموضوعي: وقد أفتى النادر من فقهاءنا استناداً إلى هذه الرواية وأمثالها بحرمة تسمية المهدي عليه السلام باسمه حتى في عصرنا، لكن جمهور فقهاءنا أفتوا بجواز تسميته لأن النهي عن تسميته كان في عصور معينة قبل ولادته أو بعدها بقليل في غيبته الصغرى عندما كان أعداؤه يطلبونه طلباً حثيثاً قبل ولادته وبعدها، حتى حبسوا كل من كان يظن أو يحتمل أنه هو، وكل من يظن أنها أمه!^(٦١).

قال في مكيال المكارم: (ويؤيد ما ذكرنا أيضاً ما سمعته في كلام السيد المحقق الداماد رحمته الله من إطباق العلماء السابقين على حرمة التصريح باسمه المبارك في مجمع من الناس. ويؤيده أيضاً الاعتبار العقلي والعرفي لأن في التعبير عن شخص جليل باللقابه في المجمع والمحافل وترك التصريح باسمه نوعاً من التعظيم والاحترام لا يخفى على أحد من العوام، فضلاً عن الخواص والأعلام.

ويؤيده أيضاً ما عرفت في حديث اللوح، أن أبا جعفر عليه السلام طلب من جابر أن يلقاه في الخلوة فكان ذكر اسمه منهما في غير مجمع من الناس^(٦٢).

الحادي عشر: النهي عن تناقل الحديث باسمه

روى الصدوق، (حدثنا) أبي، ومحمد بن الحسن عليهما السلام قالوا: حدثنا سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن إسماعيل بن أبان، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: سأل



عمر أمير المؤمنين عليه السلام عن المهدي؛ فقال: يا بن أبي طالب أخبرني عن المهدي ما اسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا، أن حبيبي وخيلي عهد إليّ أن لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله تعالى، وهو ممّا استودع الله تعالى رسوله في علمه^(٦٣).

فالأخبار عن الاسم الصريح وديعة الله والأنبياء والإمام علي عليه السلام لم يخبر عنه. قال الكوراني: (فهم بعض العلماء من أمثال هذه الرواية حرمة تسمية المهدي عليه السلام باسمه، وإن كان الأغلب يقولون بجوازه، والمفهوم من روايات التكتّم على اسمه عليه السلام والأمر بعدم ذكره أن ظروف غيبته الأولى وظهوره تكون شديدة يبحث فيها أعداؤه عنه ويطلبونه طلباً حثيثاً حتى أنهم يعتقلون كل من كان يظن أو يحتمل أنه هو. وبذلك يمكن تفسير الروايات المتفاوتة التي وردت في اسمه وأنه عبد الله أو أحمد أو محمد وكذا في اسم أبيه (عليه وعلى آبائه السلام)، وإن كان الأمر عندنا ثابتاً لا خلاف فيه).^(٦٤)

الثاني عشر: النهي عن التصريح باسمه

نقل حسن بن سليمان الحلي في كتاب (المختصر) عن السيد حسن بن كبش أنه روى في كتابه بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أوماً إلى ابنه موسى عليه السلام وقال: «والخامس من ولده يغيب شخصه ولا يحل ذكره باسمه»^(٦٥). وهي تؤيد القول بحرمة التسمية.

المطلب الثاني: أدلة أخرى

وهذه الأخبار الكثيرة المتقدمة وافية في إثبات المدعى.

ومع ذلك فإنها مؤيدة بعدة أشياء:

أ- إنه في أخبار المعراج قد ذكر الله تعالى لنبيه أسماء أئمتنا واحداً واحداً إلا المهدي عليه السلام فإنه ذكره بلقبه.

ب- إن في الأخبار النبوية التي ذكر فيها رسول الله صلى الله عليه وآله أسماء أوصيائه التي

نقلت في المصادر، فإنه ذكرهم بأسمائهم إلا هو ﷺ فقد ذكره باللقب أو قال (اسمه اسمي)، مع أن الإمامين الباقر ومحمد التقي ﷺ كان اسمهما اسمه أيضاً. ج- كثرة ألقابه الشائعة والمتعارفة ﷺ قبل ولادته، والتي كانت شائعة بعد ولادته. حتى أنه قد بشر في جميع الأمم السالفة بظهوره ﷺ كما في خطبة يوم الغدير، وعند الجميع باللقب المعروف، وفي زيارته ﷺ: «السلام على مهدي الأمم» (٦٦).

المطلب الثالث: الآراء في معالجة أخبار المنع

الحمل على التقية:

وحمل هذه الأخبار على التقية لا يجوز لعدّة وجوه:

الأول: إنه نقل جمع محدثي الخاصة والعامة هذه الفقرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اسمه اسمي» كما سيشار إلى أسانيده ومصادره، فكل إذن يعرفون اسمه ﷺ، فعلى من يراد إخفاؤه؟ وجوابه: واسمه اسم النبي نوع خفاء فيه متحقق ولو على أتباعه ومن يؤمن به.

الثاني: إنه ذكر في جملة من هذه الأخبار وغيرها النهي عن ذكر الاسم مع أنها صرحت أن اسمه اسم رسول الله ﷺ، ومعنى ذلك أن الراوي والسامع قد علما باسمه الأصلي، فإذا كان ذلك تقية فقد علما، وإن كانت عن الغير فعليهما أن لا يذكره في مكان آخر، إذن فالحذر من ذكره في ذلك المجلس لا معنى له، بل كان من اللازم تنبيههما على عدم ذكره في مجلس آخر ولم ينهوا.

جوابه: ليس المراد المنع من ذكر اسمه في مكان أو زمان معين بل في كل حين من زمان الأنبياء وإلى ظهور دولته وبعد الظهور أيضاً.

الثالث: أن عدم ذكر الخضر اسمه ﷺ في المحضر الشريف لأمر المؤمنين ﷺ أثبت أن عدم ذكر اسمه من أجزاء الشهادة وصفاته ﷺ، وكذلك عدم ذكر



رسول الله ﷺ اسمه لجنديل اليهودي الخيبري فلا يمكن حملها على التقية. ومعناه بعض الروايات تأبى الحمل على التقية في سياقها الخاص فيها.

الرابع: أنه إذا كان مجرد ذكر الاسم هو منشأ الخوف والفساد بملاحظة أن الجبارين متصدون لاستئصاله وقتله عندما يصلون إليه لأنه على يده ﷺ زوال ملكهم وانقطاع دولة الظالمين، فيكون من الأفضل أن لا يذكر بأي اسم ولقب معروف به، وخصوصاً لقب المهدي، فإن في كل تلك الوعود والمواعيد النبوية قد ذكره ﷺ بهذا اللقب، وعرف به بعد ذلك حتى أن (ابن الخطاب) سأل أمير المؤمنين ﷺ عن المهدي، وعبد الملك سأل الزهري، والمنصور سأل (سيف) كما يأتي.

فليس هناك طريق في بيان اختصاصه بهذا الاسم إلا أن يكون من الأسرار المكنونة، والخصائص الإلهية، مثل كون (أمير المؤمنين) من خصائص جده ﷺ. وقد احتمل بعض: أن سبب الحرمة هو أن العوام إذا سمعوا باسمه ﷺ قد يصدقون بمعتقد أهل الكتاب القائل بأن نبي آخر الزمان سيظهر لاحقاً. وأمّا تلك التي تدل على الجواز فهي عدة أخبار ضعيفة بحسب السند، مثل الخبر المتقدم في (لقب السيد) أن جارية الخيزراني قالت: إن السيدة نرجس ماتت في حياة الإمام الحسن العسكري وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم (م ح م د).

وعلاوة على ضعف هذا الخبر وجهالة الراوي وعدم معلومية الكتابة ودلالاتها على جواز النطق، فهو معارض لعدة أخبار أن السيدة نرجس خاتون كانت على قيد الحياة بعد وفاته ﷺ ويحتمل أن أم محمد هي كنية السيدة نرجس خاتون فلا يكون في هذا الخبر دلالة على المدعى.

وفي نفس خبر الجارية هذا أنه كان اسم أمّه ﷺ (صقيل) والمروي في (كمال

الدين) للصدوق أن صقيل كانت حاضرة وقت وفاة الإمام العسكري عليه السلام ^(٦٧). ومثل خبر (اللوح) وإن كان بغاية الاعتبار ولكن في متنه اختلافاً كثيراً، وفي أحاديث كثيرة ذكر باللقب والكنية، وإذا أراد أحد أن يراجع المجلد التاسع من البحار فسوف يثبت أكثرها.

وهناك طريق رواه الصدوق وقد ذكر فيه الاسم، ولكنه بعد أن ذكر الخبر قال: (جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، والذي أذهب إليه ما روي في النهي من تسميته) ^(٦٨).

ومن الروايات الدالة على النهي عن التسمية صريحاً غير ما ذكرناه سابقاً من أجل الخوف من الظالمين والتقية في إخفاء الشخصية له.

ما رواه النعماني، أخبرنا عبد الواحد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا محمد بن جعفر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن محمد بن يحيى الخثعمي، قال: حدثني الضريس، عن أبي الخالد الكابلي، قال: لما مضى علي بن الحسين عليه السلام دخلت علي محمد بن علي الباقر عليه السلام، فقلته: جعلت فداك، قد عرفت انقطاعي إليك وأنسي به ووحشتي من الناس. قال: «صدقت - يا أبا خالد - فتريد ماذا؟» قلت: جعلت فداك، لقد وصف لي أبوك صاحب هذا الأمر بصفة لو رأيته في بعض الطرق لأخذت بيده.

قال: «فتريد ماذا، يا أبا خالد؟» قلت: أريد أن تسميه لي حتى أعرفه باسمه. فقال: «سألتني والله - يا أبا خالد - عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر ما كنت محدثاً به أحداً، ولو كنت محدثاً به أحداً لحدثك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا علي أن يقطعوه بضعة بضعة» ^(٦٩).

والدلالة: بناء على أن قوله «لو أن بني فاطمة...» تدل على قصد بعضهم الإضرار به فضلاً عن غيرهم فلذلك لم يسمه عليه السلام باسمه حتى يكون مكتوماً فلا يعرف ولا تصل أيدي المخالفين إليه خوفاً من الإضرار به ^(٧٠).



في الرواية إشارة إلى وجود جماعة من بني هاشم لا يرغبون بدولة الإمام عليه السلام:

(هذا الخبر يدل على أنه عليه السلام علم من عند الله تعالى أن الناس لا يتظرون دولة القائم عليه السلام بل أكثرهم ييغضون شخصه فضلاً عن دولته وسلطانه حتى أن في بني فاطمة عليه السلام جماعة لو عرفوه باسمه لقتلوه) (٧١).

وورد النهي بأسلوب الاستفهام الاستنكاري (إياك أن تبحث عن هذا) وهو الاسم.

روى الصدوق حدثنا أبي، ومحمد بن الحسن عليه السلام قالوا: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري قال: كنت مع أحمد بن إسحاق عند العمري عليه السلام فقلت للعمري: إني أسألك عن مسألة كما قال الله عز وجل في قصة إبراهيم: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِئَنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠): هل رأيت صاحبي؟ فقال لي: نعم وله عنق مثل ذي وأوماً بيديه جميعاً إلى عنقه، قال: قلت: فالاسم؟ قال: إياك أن تبحث عن هذا فإن عند القوم أن هذا النسل قد انقطع (٧٢).

بينت بعض الروايات العلة من الحكم بالحرمة وهي مهمة الإخفاء وعدم الدلالة على الاسم كما هو بين الأئمة.

روى الكليني، عن أبي عبد الله الصالح قال: سألتني أصحابنا بعد مضي أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: إن دلتهم على الاسم أذاعوه، وإن عرفتهم (عرفوا) المكان دلّوا عليه (٧٣).

وتختلف بعض الألفاظ في نقل نسخة بحار الأنوار (وأشار) (وأوماً) (فقال لي) (قال). ومثل هذا الاختلاف وارد في الروايات بين المصادر (٧٤).

والسند مختلف مع دلالة الروايات فيه. وحمل الحر العاملي هذه الرواية على الخوف عليه وترتب المفسدة فقال: (هذا دال على اختصاص النهي بالخوف وترتب المفسدة) (٧٥)، ولكن هذا الخوف مستمر ودائم باقي معه في كل زمان ومكان إلى يوم ظهوره.



وروى الكليني، عن محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى جميعاً، عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو عليه السلام عند أحمد بن إسحاق فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف فقلت له: يا أبا عمرو إني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه، فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجة (وقعت الحجة) وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك أشرار من خلق الله ﷻ وهم الذين تقوم عليهم القيامة ولكني أحببت أن أزداد يقيناً وإن إبراهيم عليه السلام سأل ربه ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أبو علي أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته وقلت: من أعامل أو عمن آخذ، وقول من أقبل؟ فقال له: العمري ثقني فما أدى إليك عني فعني يؤدي وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون، وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له: العمري وابنه ثقتان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان وما قال لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك. قال: فخر أبو عمرو ساجداً وبكى ثم قال: سل حاجتك فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام؟ فقال: إي والله ورقبته مثل ذا - وأوماً بيده - فقلت له: فبقيت واحدة فقال لي: هات، قلت: فالاسم؟ قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أحلل ولا أحرم، ولكن عنه عليه السلام، فإن الأمر عند السلطان، أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولدا وقسم ميراثه وأخذه من لا حق له فيه وهو ذا، عياله يجولون ليس أحد يجسر أن يتعرف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتقوا الله وأمسكوا عن ذلك.



قال الكليني عليه السلام: وحدثني شيخ من أصحابنا - ذهب عني اسمه - أن أبا عمرو سأل عن أحمد بن إسحاق عن مثل هذا فأجاب بمثل هذا ^(٧٦).

والدلالة: فهي مبينة لحكمة المنع وهو الخوف والحذر من الأعداء في كل زمان وعصر ولو كان في الغيبة الكبرى، قال الحر العاملي: (هذا أوضح دلالة في أن وجه النهي التقية والخوف) ^(٧٧).

فإن وقع الاسم طلبه الظالمون، فورد النهي من أجل الحفاظ على شخصه المبارك لأجل أن لا يطلع عليه من لا يعلمه وحرم على من يعلمه ^(٧٨).

ويمكن بيان بعض النتائج المتعلقة بالبحث في هذه الروايات:

إن صدور هذه الروايات لبيان الحكم بحرمة التسمية له باسمه الصريح والمعروف من النبي صلى الله عليه وآله بل وبعض الأنبياء السابقين كإبراهيم عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام، ثم تأكيد النواب الأربعة الخاصين في الغيبة الصغرى ومن بعدهم نقلت كتب العلماء يعطي للمتأمل شهرة الحكم بينهم واستفاضته ومعرفته. نعم ورد رأي آخر هو التأويل والحمل له على ما تقدم.

المطلب الرابع: الأقوال في الحكم

الأقوال في الحكم متعددة ويمكن أن تتبع مضمون الروايات:

أ- حرمة التسمية بالاسم الصريح له مطلقاً في عصر الغيبة الصغرى والكبرى وعصر الظهور.

ب- الحرمة مختصة بعصر الغيبة الصغرى لوجود الإمام والخوف عليه من سلاطين الجور.

ج- الحرمة دائرة مع وجود الخوف والتقية عليه فإذا انتفت هذه الأسباب فيجوز التصريح باسمه.

د- حلية التصريح باسمه واستدلوا بطائفة من الروايات ^(٧٩).



تتمة لا تخلو من فائدة في رد القول بالحرمة:

ونبين بعضاً منها استشهداً بها وتبركاً وبيان كيفية علاجها وردّها تأويلها:

روى الصدوق وعن محمد بن موسى بن المتوكل، عن عبد الله بن جعفر الحميري عن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام بعث إلى بعض من سمّاه شاة مذبوحة وقال: هذه من عقيقة ابني محمد^(٨٠).

وهنا تصريح من أبيه باسمه صريحاً، وهو من أجل إثبات الإمامة والولادة ورعاية المصلحة الخاصة به.

وعنه، عن الحميري، عن محمد بن أحمد العلوي، عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام مولود فسماه محمداً، وعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم، وعن محمد بن محمد بن عصام، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن علان الرازي عن بعض أصحابنا أنه لما حملت جارية أبي محمد عليه السلام قال: ستحملين ولدا واسمه محمد وهو القائم من بعدي^(٨١).

وهي صريحة باسمه وهذه شاهد على جواز التسمية في الجملة من أجل التعيين والأخبار بالولادة ورعاية الأهم والمصلحة فيها.

وعن محمد بن إبراهيم الطالقاني، عن الحسين بن إسماعيل القطان عن عبد الله بن محمد، عن محمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن سعيد عن العباس بن أبي عمرو عن صدقة بن أبي موسى، عن أبي نصره أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله عن فاطمة عليها السلام أنه وجد معها صحيفة من درة فيها أسماء الأئمة من ولدها فقرأها إلى أن قال: أبو القاسم محمد بن الحسن حجة الله على خلقه القائم، أمه جارية اسمها نرجس^(٨٢).

وروى عن علي بن أحمد بن موسى، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن



محمد ابن إسماعيل البرمكي، عن إسماعيل بن مالك، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان وذكر صفة القائم وأحواله إلى أن قال: له اسمان: اسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي يعلن فمحمد الحديث (٨٣).

وهو حجة على من أنكر ولادته.

روى وبأسانيده الكثيرة عن الحسن بن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر آخرهم القائم ثلاثة منهم محمد، وأربعة منهم علي. ورواه في الفقيه بإسناده عن الحسن بن محبوب. ورواه الكليني، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب مثله. وهذا اللوح يحدد أسماء الأئمة عليهم السلام على الأمة من كتاب النبي صلى الله عليه وآله.

روى عن علي بن الحسن بن شاذويه وأحمد بن هارون الفامي جميعاً عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن درست، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن جبلة، عن أبي السفاتج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله أنه رأى قدام فاطمة عليها السلام لوحاً يكاد ضوءه يغشى الأبصار، فيه اثني عشر اسماً، قال: فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: أسماء الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم، قال جابر: فرأيت فيه محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعلياً علياً علياً في أربعة مواضع. ورواه في (عيون الأخبار) أيضاً.

روى الصدوق، عن علي بن محمد بن أحمد الدقاق، عن محمد بن أبي عبد الله، عن موسى بن عمران، عن عمه الحسين بن زيد، عن الفضل بن عمر، قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقلت: لو عهدت إلينا في الخلف من بعدك،



فقال: الإمام بعدي ابني موسى، والخلف المأمول المنتظر محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى. الفضل بن الحسن الطبرسي في (إعلام الوري) عن المفضل بن عمر مثله.

- وبإسناده عن ابن بابويه، عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، عن أبي علي محمد بن همام، عن محمد بن عثمان العمري، عن أبيه، عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام في الخبر الذي روى عن آبائه عليهم السلام أن الأرض لا تخلو من حجة الله علي خلقه، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق، فقل: يا بن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد، هو الإمام والحجة بعدي، فمن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. ورواه علي بن عيسى في (كشف الغمة) نقلاً عن الطبرسي في إعلام الوري^(٨٤).

فالروايات المجوزة بذكر اسمه إنما من أجل المصلحة بالإخبار بولادته المباركة.

فالراجح حرمة تسمية الإمام المهدي عليه السلام باسمه المبارك.

الهوامش

١. أصول الكافي: ٢/ ٣٤٥ (إذا وقع الاسم وقع الطلب).
٢. كشف الغمة: ٢/ ٥٢٠.
٣. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٢٢.
٤. النجم الثاقب: ٢١٨.
٥. فرق الشيعة: ١٥.
٦. فرق الشيعة: ١١٠.
٧. شرح التجريد: ٣٤٦.
٨. كشف الغمة: ٢/ ٥١٩-٥٢٠.
٩. شرح عيون الأخبار: ٧٨.
١٠. نقلنا النص من كتاب (كشف الحق) عن غيبة الفضل بن شاذان: ١١٧-١١٨.
١١. كمال الدين (الصدوق): ٢/ ٣٧٩ / ٣٦٣ (الناس)؛ التوحيد: ٦٤؛ غيبة النعماني: ١٦٥؛ إلزام الناصب: ١/ ٢٠١؛ النجم الثاقب: ١/ ٢٢٥؛ وغيره؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٨.
١٢. وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٨.
١٣. كشف الحق: ٤٤-٤٥، عن الغيبة للفضل بن شاذان.
١٤. أصول الكافي: ١/ ٣٣٣.
١٥. كمال الدين وتمام النعمة: ٣١٣؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٦٥.
١٦. الاحتجاج: ١/ ٣٩٥؛ غيبة النعماني: ٦٦؛ دلائل الإمامة - الطبري: ١٧٦؛ مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٤٥؛ مدينة المعاجز: ٣/ ٣٤٤؛ بحار الأنوار: ٣٦/ ٥٨/ ٣٨؛ النجم الثاقب: ١/ ٢٢٤.
١٧. الغيبة (للطوسي): ٩٨؛ علل الشرائع: ٩٦؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٦؛ ١١/ ٤٨٦؛ ١٦/ ٢٣٨.
١٨. بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢.
١٩. مرآة العقول: ٤/ ١٨.
٢٠. الكافي: ١/ ٣٣٣ / ٣٩٢ ح ٤ باب ١٣٥ في النهي عن الاسم؛ كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧ (إلا رجل كافر)؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٣؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٦.
٢١. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧؛ مكيال المكارم: ١٠٢.
٢٢. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٢٦؛ مرآة العقول: ٤/ ١٦.
٢٣. النجم الثاقب: ١/ ٢٢٤.
٢٤. الكافي: ١/ ٣٣٢ ح ١؛ ٣٢٨ ح ١٣؛ كمال الدين: ٦٠٨، ح ٥؛ علل الشرائع: ٢٤٥، ج ١، ح ٥، الغيبة - النعماني: ٣٠٠؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣١؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٧؛ ١٦/ ٢٣٩، ح ٢١٤٥٨؛ حلية الأبرار: ٥/ ١٣٠، ح ١٣، وإثبات الهداة: ٣/ ٣٩٢، ح ١١ و ٤٤٠، ح ٦، والوافي: ٢/ ٤٠٣، ح ٩٠٣؛ إرشاد المفيد: ٣٣٨، س ١ و ٣٤٩، س ٢٠؛ الصراط المستقيم: ٢/ ١٧٠، س ١٠؛ إعلام الوري: ٢/ ١٣٦، س ٧، بتفاوت؛ مدينة المعاجز: ٧/ ٥٠٩، ح ٢٥٠٤؛ غيبة الطوسي: ١٢١، س ٢٢؛ مستدرك الوسائل: ١٢/ ٢٨١، ح ١٤٠٩٧؛ روضة الواعظين: ٢٨٧، س ١٦؛ كمال الدين وإتمام النعمة: ٣٨١، ح ٥، و ٦٤٨، ح ٤؛ بحار الأنوار: ٥٠/ ٢٤٠، ح ٥؛ وإثبات الهداة: ٣/ ٣٩٣ ح ١٥؛ وأعيان الشيعة: ٢/ ٥٧، س ٥؛ المستجد

الهوامش

- من الإرشاد: ٢٥٩، س ١٤؛ الهداية الكبرى: ٨٧؛ كفاية الأثر: ٢٨٤؛ تقريب المعارف: ٤٢٦؛ كشف الغمة: ٣/ ٢٣١؛ إلزام الناصب: ١/ ٢٢٣؛ جامع أحاديث الشيعة: ١٤؛ منتخب الأثر: ٢٢٦؛ موسوعة الامام الهادي: ١٥٨؛ موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٢٩٨؛ معجم أحاديث الإمام المهدي: ٥/ ٥٠٩.
٢٥. أصول الكافي: ١/ ٣٣٣/ ٣٩١ ح ١ باب ١٣٥ في النهي عن الاسم؛ إلزام الناصب: ١/ ٢٧٣.
٢٦. مرآة العقول: ٤/ ١٦.
٢٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧.
٢٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧.
٢٩. أصول الكافي: ١/ ٣٨٦ باب ١٣٢ ح ١٣.
٣٠. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٢٥.
٣١. موسوعة الغيبة الكبرى: ٣/ ٣٤٥.
٣٢. أصول الكافي: ١/ ٣٣٣/ ٣٩١ ح ٣ باب ١٣٥ في النهي عن الاسم؛ إلزام الناصب: ١/ ٢٧٣؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٣.
٣٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٦.
٣٤. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٢٥.
٣٥. كمال الدين: ٢/ ٣٣٣/ ٤١١؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢، ح ٤.
٣٦. كمال الدين: ٣٨٨ باب ٤٢ في من أنكر القائم عليه السلام؛ ٢/ ٤١١؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢، ح ٤.
٣٧. بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢.
٣٨. وسائل الشيعة: ١٦/ ٢٤١؛ ١١/ ٤٨٨.
٣٩. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٨ باب ٣٢ ح ١٢؛
- بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢.
٤٠. شرح أصول الكافي: ٦/ ٢٥٠.
٤١. كمال الدين وتمام النعمة: ٢/ ٣٦٨ و ٣٦٩/ ٣٥٤؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٨.
٤٢. أباراه الله: أهلكه. وفي بعض النسخ «يتبر» والتبر: الكسر والإهلاك كالتبشير وفي بعض النسخ «يفنى به».
٤٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٣؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢ (يخفى).
٤٤. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٩ هامش ٢ الطبعة المحققة.
٤٥. بحار الأنوار: ٥١/ ٣٢.
٤٦. كمال الدين (الصدوق): ٢/ ٣٧٨؛ كفاية الأثر: ٢٧٨؛ وسائل الشيعة: ١١/ ٤٨٩.
٤٧. في بعض النسخ «محمد بن أحمد السناني» وكلاهما واحد ظاهراً، وهكذا نص عليه المجلسي في بحار الأنوار: ٥١/ ٣٣.
٤٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦١/ ٣٧٨؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٣ (يخفى).
٤٩. كفاية الأثر: ٢٨١؛ كمال الدين: ٢/ ٣٦١ وفي آخره: فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما، وكذلك في أعلام الوري: ص ٤٣٥؛ الاحتجاج: ٢/ ٢٤٩؛ بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٨٣؛ مستدرک الوسائل: ١٢/ ٢٨٣؛ خاتمة المستدرک: ٥/ ٢٤٠؛ جامع أحاديث الشيعة: ١٤/ ٥٦٢؛ منتخب الأنوار: ١٧٦ ف ١١ - كما في كمال الدين، عن ابن بابويه، وفيه «.. ولكن القائم (منا)»؛ حلية الأبرار: ٢/ ٥٩٨ ب ٢٨ - كما في

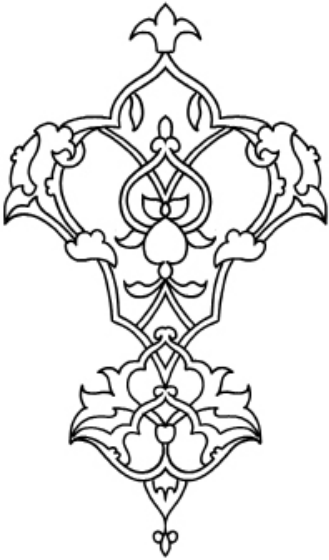


الهوامش

- كمال الدين، عن ابن بابويه؛ مدينة المعاجز: ٥٣٦ ح ٨١ - كما في كمال الدين، بتفاوت يسير، عن ابن بابويه؛ نور الثقلين: ١ / ١٣٨ ح ٤٢٣ - عن كمال الدين بتفاوت يسير؛ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٤٠ / ٥.
٥٠. كمال الدين (الصدوق): ٢ / ٤٨٢ / ٤٥٠، ح ١؛ إلزام الناصب: ١ / ٢٧٣؛ بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣؛ الوافي: ٢ / ٤٠٩؛ مكيال المكارم: ٢ / ١٠٢؛ وسائل الشيعة: ١١ / ٤٨٩.
٥١. القواعد الفقهية: ١ / ٤٩٩.
٥٢. وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٤٢ / ٤٨٩.
٥٣. صراط النجاة: ١ / ٤٦٧؛ منية السائل: ٢٢٢.
٥٤. الكافي: ١ / ٣٩١.
٥٥. إرشاد: ٢ / ٣٣٩.
٥٦. إعلام الوري: ٣٩٣.
٥٧. النجم الثاقب: ١ / ٢٢٨.
٥٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٥١ / ٢ / ٤٣٨ ح ٣ عن أبيه؛ أعلام الوري: ٤٥١؛ وعنه في بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣ ح ١٠؛ ٥٣ / ١٤٣؛ التمهيد: ١٧؛ وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٤٢ / ٤٨٩؛ نور البراهين: ١ / ٢٢٠؛ جامع أحاديث الشيعة: ١٤ / ٥٦١.
٥٩. بحار الأنوار: ٥١ / ٤٥١؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٣ / ٣٣٩.
٦٠. كمال الدين وتمام النعمة: ٤٥١؛ معادن الحكمة: ٢ / ٣٠٩ - أوله، عن كمال الدين؛ معجم أحاديث المهدي عليه السلام: ٤ / ٢٩١.
٦١. المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٨٩٠.
٦٢. مكيال المكارم: ٢ / ١٨.
٦٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٠٧ / ٢ / ٦٤٨ ح ٣ عن أبيه؛ وعنه في بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣ ح ١٣؛ وعن غيبة الطوسي: ٢٨١؛ والإرشاد: ٤١٠؛ وإعلام الوري: ٤٦٥؛ وكشف الغمة: ٢ / ٤٦٤ س ٨؛ الوافي: ٢ / ٤٠٣؛ الإمامة والتبصرة: ١١٨؛ إثبات الهداة: ٦ / ٤٤٣؛ روضة الواعظين: ٢ / ٢٦٦؛ الأنوار النعمانية: ٢ / ٥٤؛ إحياء الأحياء: ٤ / ٣٤١؛ مسند الإمام علي عليه السلام: ٨ / ٣٤١؛ عقيدة المسلمين في المهدي: ٢١.
٦٤. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣ / ٤٦.
٦٥. بحار الأنوار: ٢٦.
٦٦. المزار للشهيد الأول: ص ٢٠٨.
٦٧. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٥.
٦٨. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٤٥.
٦٩. الغيبة - النعماني: ٣٠٠؛ بحار الأنوار: ٥١ / ٣١ ح ١؛ غيبة الطوسي: ٣٣٣، ح ٢٧٨؛ إثبات الهداة: ٣ / ٥٠٩، ح ٣٢٨. معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٣ / ٢٢٩، ح ٧٥٢.
٧٠. القواعد الفقهية ناصر مكارم الشيرازي: ١ / ٤٩٤.
٧١. غيبة الطوسي: ٣٣٣.
٧٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٦؛ ٤٤٢؛ بحار الأنوار: ٥١ / ٣٣؛ غيبة الطوسي: ١٤٦؛ وأعلام الوري: ٣٩٦ باب ١؛ إلزام الناصب: ١ / ٣١٧.

الهوامش

٧٣. أصول الكافي: ١/ ٣٣٣؛ الوافي: ٢/ ٤٠٣.
٧٤. الإرشاد: ٣٥٠ - كما في رواية الكافي الثانية بسنده إليه؛ غيبة الطوسي: ص ١٤٦ - كما في رواية الكافي الأولى، عن محمد بن يعقوب؛ وفي: ٢١٨ - كما في رواية الكافي الأولى، بسنده إليه؛ إعلام الوري: ٣٩٦ ب ١ ف ٣ - كما في رواية الكافي الأولى بتفاوت يسير، عن محمد بن يعقوب، وفيه «.. وصبر على ذلك»؛ حلية الأبرار: ٢/ ٥٤٩ ب ١٣ - كما في رواية الكافي الثانية، عن محمد بن يعقوب؛ وفي: ص ٥٨١ ب ٢٠ - كما في رواية كمال الدين الأولى، عن ابن بابويه. وفي: ص ٦٨٧ ب ٥٢ - كما في رواية الكافي الأولى، عن محمد بن يعقوب؛ تبصرة السولي: ٧٦٤ ح ٨ - كما في رواية كمال الدين الأولى، عن ابن بابويه.
- وفيها: كما في رواية الكافي الثانية، عن محمد بن يعقوب. وفي: ص ٧٦٥ ح ١١ - كما في رواية الكافي الأولى عن محمد بن يعقوب؛ بحار الأنوار: ٥١/ ٣٣ ب ٣ ح ٧ - عن رواية كمال الدين الثانية؛ وفي: ٥٢/ ٢٦ ب ١٨ ح ٢٠ - عن رواية كمال الدين الأولى.
- وفي: ص ٦٠ ب ١٨ ح ٤٥ - عن رواية الإرشاد؛ منتخب الأثر: ٣٦٠ ف ٤ ب ١ ح ٥ - عن رواية كمال الدين الأولى، وأشار إلى روايته الثانية؛ معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٤/ ٢٨٦؛ المعجم الموضوعي للإمام المهدي عليه السلام: ٨١٨.
٧٥. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٨٧.
٧٦. أصول الكافي: ١/ ٣٣٠؛ وسائل الشريعة: ١١/ ٤٨٧.
٧٧. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٨٧.
٧٨. القواعد الفقهية - ناصر مكارم الشيرازي: ١/ ٥١٣.
٧٩. القواعد الفقهية - ناصر مكارم الشيرازي: ١/ ٥١٤.
٨٠. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٩٢.
٨١. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٩٢.
٨٢. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٩٢.
٨٣. وسائل الشريعة: ١١/ ٤٩٢.
٨٤. أعلام الوري: ٢٣٤.





المصادر

- القرآن الكريم
- الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ). (مشهد المقدسة / ١٤٠٣ هـ).
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) (بيروت - لبنان).
- الإرشاد، محمد بن محمد بن نعمان المفيد (ت: ٤١٣ هـ)، (مكتبة بصيرتي - قم).
- إلزام النواصب، مفلح بن الحسن الصيمري البحراني (ابن صلاح البحراني) (ت: ق ٩) تحقيق: الشيخ عبد الرضا النجفي (الطبعة: الأولى: ١٤٢٠ هـ).
- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب الشيخ علي اليزدي الحائري (ب د)
- أعلام الدين، للحسن بن أبي الحسن الديلمي (القرن الثامن)، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث / قم، ١٤٠٨ هـ.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين الحسيني العاملي (ت: ١٣٧١ هـ) (مطابع الإنتقان / بيروت).
- بحار الأنوار الجامع لدرر الأخبار الأئمة الأطهار عليه السلام، محمد تقي المجلسي (ت: ١١١١ هـ) (المكتبة الإسلامية - طهران / ١٣٩٥ هـ).
- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الخويزي (حيا قبل ١٠٩١ هـ) (المطبعة العلمية، قم، ١٣٨٣ هـ).
- التوحيد، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (ت: ٣٨١ هـ)، (مكتبة الصدوق - طهران، ١٣٩٨ هـ).
- ثواب الأفعال وعقاب الأفعال، الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) (المطبعة الحيدرية - النجف).
- حلية الأبرار السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ) تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي (الطبعة: الأولى: ١٤١١ هـ / مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران)
- جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، حسين الطباطبائي البروجردي (ت: ١٣٨٣ هـ) (طبع حجر - طهران / ١٣٨٠ هـ).
- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ) تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان (منشورات الشريف الرضي - قم).
- شرح أصول الكافي، محمد المازندراني (ت: ١٠٨١ هـ) (ط: ١: ١٤٢١ / ٢٠٠٠ م: دار إحياء التراث العربي - بيروت).
- شرح تجريد الاعتقاد العلامة الحلي (بيروت - لبنان).
- صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) السيد الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ) (الطبعة: الأولى: ١٤١٦ هـ: سلمان الفارسي).
- فرق الشيعة النوبختي (بيروت - لبنان).
- القواعد الفقهية الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (الطبعة: الثالثة: ١٤١١ هـ - مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام...).
- عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي، من علماء القرن السابع، (انتشارات مسجد جكران، ١٤١٦ هـ، قم إيران).

المصادر

- علل الشرائع، الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) (مكتبة الداوري - منشورات المكتبة الحيدرية / ١٣٨٥ هـ).
- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) تصحيح السيد محمد الحسيني اللاجوردي (نشر رضا - مشهدي).
- غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي، (ق ٥ هـ)، (جامعة طهران، ط ٣، ١٣٦٠ هـ).
- الغيبة، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، (مؤسسة معارف الإسلامي - قم، ١٤١١ هـ).
- الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني (مكتبة الصدوق - طهران / ١٣٩٧ هـ).
- الكافي - الأصول - الفروع - الروضة، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) (مكتبة الصدوق - طهران / ١٣٨١ هـ)، (دار التعارف - بيروت).
- كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: علي بن عيسى الأربلي (ط ١ - مصر).
- كشف الحق ونهج الصدق العلامة الحلي (المطبعة الحيدرية - النجف).
- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) (المطبعة الحيدرية - النجف).
- كفاية الأثر، علي بن محمد الخزاز القمي، (بيدار - قم، ١٤٠١ هـ).
- مدينة المعاجز السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ) تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني (الطبعة: الأولى: ١٤١٣ هـ: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - إيران).
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليه السلام العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ) (الطبعة: الثانية: ١٣٩٩ هـ: دار الكتب الإسلامية - قم).
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، وخاتمة المستدرك، حسين النوري (ت: ١٣٢٠ هـ) (مؤسسة النشر الإسلامي / ١٤١٤ هـ).
- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام علي الكوراني العاملي (الطبعة: الأولى: ١٤١١ هـ: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم مؤسسة المعارف الإسلامية).
- المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام الشيخ علي الكوراني العاملي (الطبعة: الأولى: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م).
- مكيال المكارم ميرزا محمد تقی الأصفهاني (ت: ١٣٤٨ هـ) تحقيق: السيد علي عاشور (الطبعة: الأولى: ١٤٢١ هـ: مؤسسة الأعلمي - بيروت).
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت: ٥٨٨ هـ)، (انتشارات علامة، قم، ١٣٧٨ هـ).
- منتخب الأثر، للشيخ لطف الله الصافي الكلپايگاني، (مكتبة الصدر - طهران).
- منتخب الأنوار المضيئة السيد بهاء الدين النجفي (ت: ٨٠٣ هـ) (الطبعة: الأولى / ١٤٢٠ - ١٣٧٨ هـ: ش: اعتماد - قم).
- من لا يحضره الفقيه، علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ) (المطبعة الحيدرية - النجف / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م).



المصادر

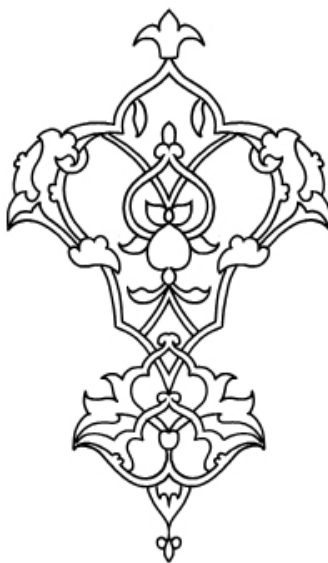
موسوعة الإمام المهادي عليه السلام (النشر الاسلامي - قم).

موسوعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (لجنة جماعة المدرسين - قم).

النجم الثاقب ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠ هـ) (الطبعة: الأولى: ١٤١٥ هـ: مهر - قم المقدسة).

الوافي: محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ) (طبع حجر - إيران).

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) (بيروت - دار إحياء التراث العربي، ط ٤ / ١٣٩١ هـ).





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

دور المرأة في القيام المهدوي

الشيخ محمد رضا الساعدي

توطئة:

إن المتتبع لحياة المرأة على مر العصور يجد الكثير من المواقف والتحركات والأدوار التي مارستها النساء والتي هي مدعاة للإجلال والتقدير والافتخار، وهذا ينبع من حجم وجود نساء مخلصات قادرات على ممارسة أدوار مهمة من جهة، وحجم وجود دور كبير يمكن أن تمارسه النساء وتبدع به وتخرج فيه منتصرة وناصرة للحق وأهله من جهة أخرى.

والمستقرئ لحياة الأنبياء والأئمة عليهم السلام يجد دوراً واضحاً وبكافة الأصعدة مارسته النساء في مؤازرة تلك الحركات والإصلاحات، فكنَّ خير عون في حركة الإصلاح والإرشاد الإلهي، وهذا واضح لمن تتبع تلك الأدوار والممارسات. والبحث في تلك الأدوار يحتاج لوقفات طويلة، ولكننا نقف على بعض النماذج كمقدمة للبحث كان للمرأة فيه الدور المهم في الدعوة الإلهية.

مقدمة البحث:

قاد المصلحون حركة الإصلاح وكانت مجموعة من النساء مؤازرات لتلك الحركة بكافة إرهاباتها ومخاضاتها.

فبرز بذلك مجموعة من النساء تحلَّين بالصبر والعزيمة والإخلاص





واستطعن أن يقدمن نموذجاً يقتدي به الرجال فضلاً عن النساء.

والقرآن الكريم والأحاديث والتاريخ ذكرت لنا نماذج إيمانية كان لها أدوار جهادية في الصبر وتحدي التيارات الظالمة والوقوف بوجهها نصراً للحق وأهله، وهنا نذكر بعض الشواهد:

النموذج الأول: السيدة أم موسى (رضوان الله عليها):

دور السيدة أم موسى (رضوان الله عليها) وصبرها في تحمل البطش الفرعوني وتوكلها على الله وإيمانها بحفظ السماء لمولودها المدّخر المنقذ وتحملها لحماية المولود والتشدد بإخفائه ثم إلقاؤه في البحر - بالرغم من عاطفة الأمومة - وإيمانها ببشارة إرجاعه لها، والقرآن يحكي بعض مضامين القصة: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ أَنَّ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ... فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص: ٧-١٣).

وفي تفسير القمي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾: بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّهُ لَمَّا حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ لَمْ يَظْهَرْ حَمْلُهَا إِلَّا عِنْدَ وَضْعِهَا لَهُ وَكَانَ فَرْعَوْنُ قَدْ وَكَلَ بِنِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نِسَاءً مِنَ الْقَبْطِ يَحْفَظْنَهُنَّ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَمَّا بَلَغَهُ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُولَدُ فِينَا رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ: مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ يَكُونُ هَلَاكُ فَرْعَوْنَ وَأَصْحَابِهِ عَلَىٰ يَدَيْهِ فَقَالَ فَرْعَوْنُ عِنْدَ ذَلِكَ: لَا أَقْتُلَنَّ ذَكَورَ أَوْلَادِهِمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ مَا يَرِيدُونَ وَفَرَّقَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَحَبَسَ الرِّجَالَ فِي الْمَحَابِسِ. فَلَمَّا وَضَعَتْ أُمُّ مُوسَىٰ بِمُوسَىٰ نَظَرَتْ إِلَيْهِ وَحَزَنْتَ عَلَيْهِ وَاعْتَمَتْ وَبَكَتْ وَقَالَتْ: يَذْبَحُ السَّاعَةَ فَعَطَفَ اللَّهُ ﷻ قَلْبَ الْمُوَكَّلَةِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَالَتْ لِأُمِّ مُوسَىٰ: مَا لَكَ قَدْ



اصفر لونك؟ فقالت أخاف أن يذبح ولدي فقالت: لا تخافي وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه وهو قول الله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [طه: ٣٩] فأحبه القبطية الموكلة بها وأنزل الله على أم موسى التابوت، ونوديت ضعيه في التابوت فألقيه في اليم وهو البحر ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصاص: ٧] فوضعت في التابوت وأطبقت عليه وألقته في النيل...»^(١).

النموذج الثاني: دور السيدة آسية عليها السلام:

دور السيدة آسية بنت مزاحم عليها السلام التي صبرت على أذى فرعون وكانت مصدر إشعاع للإيمان في بيت الشرك والتكبر لتطفئ جبروت وتغطرس ذلك الطاغية المدعي للرؤية، فكانت مثلاً سامياً لكل من يقول كلمة الحق ويتحدى بها السلطان الجائر خصوصاً بعد كون السلطان وليها الخاص وهو في ذات الوقت يدعي الربوبية والألوهية، فاستحقت أن يضرب بها القرآن الكريم مثلاً للمجتمع الإيماني برجاله ونسائه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحریم: ١١).

فصبرها كان من جهتين:

الصبر على ما تحب: وهو الصبر على ترك الرفاه والنعم المادية والجاه العريض الدنيوي داخل البيت الفرعوني وكونها سيدة مصر الأولى. الصبر على ما تكره: وهو الصبر على العذاب والقتل الذي تعرضت له من قبل الجبروت الفرعوني الذي عذبها أشد التعذيب وربطها على جذوع النخل^(٢).

وروي عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بإصبعها فدعا



الله مُوسَى أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهَا فَلَمْ تَجِدْ لِلْعَذَابِ أَلْماً وَإِنَّهَا مَاتَتْ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ وَهِيَ فِي الْعَذَابِ ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١] وَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا أَنْ ارْفَعِي رَأْسَكَ فَرَفَعَتْ فَرَأَتْ الْبَيْتَ فِي الْجَنَّةِ بُنِيَ لَهَا مِنْ دُرٍّ فَضَحِكَتْ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ انْظُرُوا إِلَى الْجَنَانِ [إِلَى جَنُوبِهَا (ن.خ)] الَّتِي بِهَا تَضْحَكُ وَهِيَ فِي الْعَذَابِ. وَقِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تُعَذِّبُ بِالشَّمْسِ وَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْهَا أَظْلَلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ وَجَعَلَتْ تَرَى بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ^(٣).

لذا كانت مثلاً شاخاً للصبر واستحقت أن تقرن بسيدات النساء بل وحتى بسادات الرجال^(٤).

النموذج الثالث: العذراء مريم عليها السلام:

دور السيدة العذراء مريم بنت عمران عليها السلام وصبرها على التهم التي تمس شرفها وخدرها وكرامتها وصبرها على شتى صور الأذى من قومها ومؤازرتها لحركة مولودها المسيح عليه السلام وتحمل الأذى لأجل الرسالة، وهذا الدور والصبر جعل القرآن ينظر إليها بعين التبجيل ويصفها بأروع الصفات ويجعلها سيدة نساء زمانها وفي مصاف النساء الكاملات.

وإليك بعض الآيات فيها:

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [التحریم: ١٢].
﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢).

وغيرها من الآيات الدالة على عظيم شأنها بالإضافة للروايات.

النماذج الإسلامية:

أولاً: السيدة خديجة عليها السلام:

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام التي كانت السيدة المرموقة في المجتمع



المكي وصاحبة الثراء والجاه والتجارة والرأي تزوجها رسول الله ﷺ فكانت نعم الزوجة ﷺ والمؤازرة له في الدعوة إلى الله ، أعلمها رسول الله ﷺ بالدعوة الإسلامية فما كان منها إلا أن أزرتة وآمنت به وصدقته وبذلت كل ما لديها لنصرته من مال وجاه ولاقت من صنوف العذاب والأذى على امتداد عشر سنوات من حياتها المقدسة ودخلت معه الشعب (شعب أبي طالب) وتحملت معاناة الحصار الذي دام ثلاث سنوات فكانت من أعظم النساء الأربعة «فاطمة وخديجة وآسية ومريم (عليهن السلام)» وكان رسول الله ﷺ يمدحها دائماً ويبين فضلها وعظم شأنها ففي حوار مع أحد زوجاته حول السيدة خديجة ﷺ رد عليها قائلاً: «ما أبدلني الله خيراً منها كانت أم العيال وربة البيت آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بإهلها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحُرمت من غيرها»^(٥).

ثانياً: السيدة الزهراء ﷺ:

فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين أم أبيها فقال ﷺ: «فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيها»^(٦).

وسُئل مرة: يا رسول الله أي أهلك أحب إليك؟ قال ﷺ: «فاطمة بنت محمد»^(٧).

ومدحها الحديث القدسي وبيّن عظمتها «لولاك ما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكم»^(٨) وذكرها الإمام الحسن العسكري ﷺ وقال «نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا»^(٩).

فالزهراء ﷺ هي قطب الرحى الكوني وأم الرسالة والإمامة، فكانت نعم المؤازرة للنبي الأعظم ﷺ حتى سَمّاها أم أبيها لأنها طالما كانت الملجأ الروحي والعاطفي له وخاضت معه إرهاصات الرسالة وتفصيلها.



وكانت نَعَم المناصرة لأمر المؤمنين عليه السلام عندما انحرفت الأمة عن مسارها الصحيح وانقادت إلى من ليس أهلاً للزعامة والخلافة فوقفت مناصرة للحق وخطبت بهم مذكرة ومنذرة وهادية ومطالبة بحقوقها وحقه ^(١٠).

ثالثاً: السيدة زينب عليها السلام:

حتى جاء دور السيدة زينب بنت أمها وجدتها (عليهن السلام) في الصبر والمؤازرة للحق والدين. فسارت على نهجها في مؤازرة المصلحين وتحمل أعباء تلك المهمة التي عجز عن حملها أكثر أهل الأرض.

فما رست دوراً مهمة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية بل أصبحت الشخصية الثانية في حجم إنجاز واستمرار الثورة بعد شخصية قائد الثورة الأول الإمام الحسين عليه السلام، وكانت القائدة لما بعد الثورة وسطرت مواقفاً قل نظيرها في التاريخ البشري عندما فضحت السلطة الجائرة بخطبة غراء: فقال لها ابن مرجانه: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَحَكُمْ وَقَتَلَكُمْ وَأَكْذَبَ أَخْذُوثَكُمْ. قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَطَهَّرَنَا تَطْهِيراً إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ وَهُوَ غَيْرُنَا» فَقَالَ كَيْفَ رَأَيْتِ صُنَعَ اللَّهِ بِأَهْلِ بَيْتِكَ؟ قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَيْلاً هَوَلاً قَوْمٌ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ فَتَحَاجُّ وَتُخَاصِمُ فَاَنْظُرِي لِنِ الْفَلَجِ هَبْلَتِكَ أُمُّكَ يَا بِنَ مَرْجَانَةَ...» ^(١١).

إنها ألهمت النساء العزيمة والصمود وهونت عليهن الخطب -على مر التاريخ- لأنها المرأة الأكثر تضحية في يوم عاشوراء لأنها فقدت الأخوة والأبناء وأبناء الأخوة وبالرغم من ذلك كانت تكرر مقالة الإمام الحسين عليه السلام: «هون ما نزل بي أنه بعين الله...» وقالت عندما رأت الحسين عليه السلام صريعاً: «اللهم تقبل منا هذا القربان...» ^(١٢).

بالإضافة إلى نساء أخريات ذكرن وكان لهن أدوار عظيمة.



عرض البحث:

وهنا يأتي تساؤل، هل للنساء دور في الحركة المهدوية؟

وهل هناك نساء من جملة الأعداد الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام فتكون لها أهمية ودور واضح كأن تكون من جملة الأصحاب الـ (٣١٣) أو غيرهم؟

وهنا نعرض جوابان:

الجواب الأول:

جواب عام (بحسب القواعد العامة):

لا شك بوجود دور للمرأة في حياة الإمام المهدي عليه السلام وحركته أسوة بالحركات الإصلاحية التي ذكرناها، وهذا الأمر ثابت حتى لو لم ترد فيه روايات خاصة، نعم الروايات الخاصة تضيفي تميزاً ودوراً أكبر.

ويقرب الدور بوجوه:

الأول: الإصلاح الشمولي يحتاج لكل فئات المجتمع:

إنَّ حركة الإمام المهدي عليه السلام حركة إصلاحية عامة وهكذا حركة لا بد أن يشارك بها كل فئات المجتمع كل بحسب موقعه وصفته وجنسه لكي تأخذ الثورة أبعادها على كل المستويات، وحيث إنَّ بعض المستويات تدخل المرأة فيها بشكل مباشر كالمستوى التربوي والإعدادي والاجتماعي لذلك كان دورها ضرورياً وواضحاً في تلك الثورة وذلك التغيير الشامل الذي يعزبه الأولياء ويذل به الأعداء وينشر به العدل في الطول والعرض.

الثاني: إنَّ مشاركة المرأة من السنن التاريخية:

يقول علماء الاجتماع: إن التاريخ لا يمشي صدفة بل يمشي طبق سنن تتكرر من جيل لآخر ومن هذه السنن وجود نسوي فاعل في حياة المصلحين.

إنَّ الإمام المهدي عليه السلام وحركته ليست مغايرة تغايراً تاماً لحركات الأنبياء والأوصياء من حيث المضامين العامة والموارد البشرية الداعية لله، وكما بينا في



المقدمة أنَّ الأنبياء والأولياء كثير منهم كانت إلى جانب حركاتهم توجد نساء مصلحات ومؤازرات يقمن بأدوار مهمة في الدعوة الإلهية. وكأنَّ هذا سُنَّة تاريخية ماضية في الأولين والآخرين من وجود عنصر نسوي مخلص لأجل إتمام الدعوة.

الثالث: إطلاقات أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي مشاركتها: إنَّ إطلاقات وعمومات أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واضحة في أنَّ الرجل والمرأة (المؤمن والمؤمنة) يكمل بعضهم بعضاً في عملية الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما نطقت الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

فهذه الفريضة الإصلاحية لا تتم بكليتها إلا بمشاركة الطرفين كل بحسبه ومن موقعه وإمكانيات ومناطق نفوذه.

الرابع: قاعدة الاشتراك:

من جملة القواعد الفقهية المشهورة بين الفقهاء قاعدة الاشتراك، والتي مفادها في أحد معانيها: (اشتراك المكلفين في الأحكام الشرعية رجالاً ونساءً إلى قيام يوم القيامة، سواء كانت أحكاماً إلزامية، كالوجوب والحرمة، أو غير إلزامية، كالاستحباب والكراهة، إلا في الموارد التي ثبت خصوصية للرجل أو المرأة فيها؛ فتكون خارجة عن القاعدة تخصيصاً)^(١٣).

وبما أنَّ القيام المهدوي قيام عام وشامل وتكليف إلهي كبير يتوجه إلى جميع المكلفين رجالاً ونساءً، فيقتضي مشاركة الجميع به ذكوراً وإناثاً طبقاً لقاعدة الاشتراك القاضية بممارسة الدور الإصلاحية على كلا الجنسين.

فيتحصل:

إنَّ أصل وجود دور للمرأة في عصر الظهور أمر واضح ولا غبار عليه وأنها تشارك جزء المجتمع الثاني في الحركة المباركة للإمام عليه السلام على كل المستويات وبالأخص الأدوار التي تناسبها.

الجواب الثاني: جواب خاص (بحسب الأدلة الخاصة)

بعد ثبوت أصل الدور الذي تمارسه المرأة في زمن الظهور، فنبحث الآن عن وجود دور خاص لها من خلال ما ورد من روايات عديدة دالة على الحضور النسوي الخاص في الحركة المهدوية.

الرواية الأولى:

ما ورد في تفسير العياشي: «...ويحيى، والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد قزعا كقزع الخريف»^(١٤) يتبع بعضهم بعضاً وهي الآية التي قال الله تعالى ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] فيقول رجل من آل محمد عليه السلام وهي القرية الظالمة أهلها ثم يخرج من مكة هو ومن معه الثلاثمائة وبضعة عشر يبايعونه بين الركن والمقام...»^(١٥).

تقريب الدلالة:

فإنَّ الرواية صريحة بأصل وجود (٥٠) امرأة من جملة القادة الأساسيين المبايعين للإمام المهدي عليه السلام والذين لهم دور فاعل في حكم الأرض في زمن الإمام عليه السلام كما سنبين من صفاتهم وأدوارهم.

وهل هذه الـ (٥٠) امرأة من جملة الـ (٣١٣) أو أن الخمسين غير الـ (٣١٣)، غاية الأمر يكون خروجهن مزامناً لهم؟

قبل بيان الحال نقول:

إنَّ الرواية تعطي ميزة كبيرة لهذه النسوة سواء ثبت أنَّهم من ضمن الـ (٣١٣)





أو لم يثبت، مما يقلل أهمية البحث في دخولهم أو غيرهن من هذا العدد، وإن كان دخولهن فيه تعطي تميزاً أكبر لما يتصف به هذا العدد من خواص كما يلي:

وقفة مع صفات الـ(٣١٣):

الروايات الواردة عن آل البيت عليهم السلام أعطت تميزاً واضحاً لأصحاب الإمام المهدي عليه السلام عموماً ولعدد معين خصوصاً، وهذه الروايات حددت دوائر عديدة لأصحابه تختلف سعة وضيقاً كدائرة الـ(١٠ آلاف)، الـ(١٢ ألفاً) أو غيرها، ومن أهم الدوائر المميزة دائرة الـ(٣١٣) التي تمثل نخبة أنصاره وقيادات حركته، ومن المعلوم أنه كلما قلّ العدد كانت الصفات فيهم أميز وأعظم والإخلاص والقوة أكبر وأشد، فالشيء كلما كثرت قيوده قلّ وجوده. وإليك جملة من الروايات المبينة لبعض صفاتهم:

١. روى النعماني في غيبته: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أَمَّا لَوْ كَمَلَتِ الْعِدَّةُ الْمُوصُوفَةُ ثَلَاثِيَّةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ كَانَ الَّذِي تُرِيدُونَ وَلَكِنْ شِيعَتُنَا مَنْ لَا يَعْدُو صَوْتُهُ سَمْعَهُ وَلَا شَحْنَاؤُهُ بَدَنَهُ^(١٦) وَلَا يَمْدَحُ بِنَا مُعَلِّناً^(١٧) وَلَا يُخَاصِمُ بِنَا قَالِيًا^(١٨) وَلَا يُجَالِسُ لَنَا عَائِياً وَلَا يُحَدِّثُ لَنَا ثَالِيًا^(١٩) وَلَا يُحِبُّ لَنَا مُبْغِضاً وَلَا يُبْغِضُ لَنَا مُحِبًّا» فَقُلْتُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَذِهِ الشَّيْءِ الْمُخْتَلَفَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يَتَشَبَّهُونَ؟ فَقَالَ: «فِيهِمُ التَّمْيِيزُ وَفِيهِمُ التَّمَحِيزُ وَفِيهِمُ التَّبْدِيلُ يَأْتِي عَلَيْهِمْ سِنُونَ تُفْنِيهِمْ وَسَيْفٌ يَقْتُلُهُمْ وَاخْتِلَافٌ يُبَدِّدُهُمْ^(٢٠) إِنَّمَا شِيعَتُنَا مَنْ لَا يَهْرُ هَرِيرَ الْكَلْبِ وَلَا يَطْمَعُ طَمَعَ الْغَرَابِ وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ بِكُفِّهِ وَإِنْ مَاتَ جُوعاً» قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُ هَؤُلَاءِ الْمُوصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؟ فَقَالَ: «أَطْلُبُهُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ أُولَئِكَ الْخَفِيُّضُ عَيْشُهُمْ^(٢١) الْمُتَقَلَّةُ دَارُهُمْ الَّذِينَ إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرِفُوا وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِنْ مَرَضُوا لَمْ يُعَادُوا وَإِنْ خَطَبُوا لَمْ يُزَوَّجُوا وَإِنْ مَاتُوا لَمْ يُشْهَدُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ يَتَوَاسَوْنَ وَفِي قُبُورِهِمْ يَتَزَاوَرُونَ وَلَا تَخْتَلِفُ أَهْوَاؤُهُمْ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْبُلْدَانُ^(٢٢).



وهذه الرواية تبين الصفات الخاصة لهذه الثلاثة المتميزة من أصحاب الإمام عليه السلام الذين لهم دور أساسي في حياة الظهور وإرهاصاته ودولته، وهي ذكرت الـ (٣١٣) بلا وصفهم بالرجال والنساء، وإطلاقها شامل للطرفين، ولو قيل بعمومية الرواية لكل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فإن ذلك لا يضر لانطباق هذه الصفات على هؤلاء الثلاثمائة وبضعة عشر.

٢. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: «يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ عَدَدُ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] فَإِذَا اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْعِدَّةُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ أَظْهَرَ أَمْرُهُ فَإِذَا أُكْمِلَ لَهُ الْعَقْدُ وَهِيَ عَشْرَةُ أَلْفٍ [آلِفٍ] رَجُلٍ خَرَجَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا يَزَالُ يَقْتُلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (٢٣).

وهذه الرواية تجعل عدتهم عدّة أهل بدر الـ (٣١٣) وهم من مقتضيات وشروط الظهور المقدس فإذا اكتملوا كان بعدهم الدائرة الثانية من أنصار الإمام عليه السلام وهم الـ (١٠٠٠٠) شخص، والظاهر أنّهم من شروط القيام.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: «يَجْمَعُ اللَّهُ تعالى لَهُ مِنْ أَقَاصِي الْبِلَادِ عَلَى عَدَدِ أَهْلِ بَدْرِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مَعَهُ صَحِيفَةٌ مَحْتُومَةٌ فِيهَا عَدَدُ أَصْحَابِهِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَبُلْدَانِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَكَلَامِهِمْ وَكُنَاهُمْ» (٢٤) كَرَّارُونَ مُجِدُّونَ فِي طَاعَتِهِ» (٢٥).

وهذه الرواية تركز صفات أخرى لهؤلاء المقدسين وأنّهم معدودون ومعروفون وتعطيهم تميزاً خاصاً من خلال الصفات التي يتمتعون بها من أنّهم كرارون ومجدون في طاعة الله تعالى وطاعة أولي الأمر.

٤. تفسير العياشي «...ثم يرجع إلى الكوفة فيبعث الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً إلى الآفاق كلها، فيمسح بين أكتافهم وعلى صدورهم، فلا يتعايرون» (٢٦)



في فضاء ولا تبقى أرض إلا نوذي فيها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله» (٢٧).

وهذه الرواية تبين أن هؤلاء الأفاضل هم القادة الأساسيون للعالم والمبعوثون إلى الأقطار للحكم والعدل بين الناس والدعوة إلى الله تعالى.

٥. تفسير العياشي أيضاً: قال أبو جعفر عليه السلام: «لكأني أنظر إليهم مصعدين من نجف الكوفة ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، كأن قلوبهم زبر الحديد، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يسير الرعب أمامه شهراً وخلفه شهراً، أمده الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حتى إذا صعد النجف، قال لأصحابه: تعبّدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راعع وساجد يتضرعون إلى الله» (٢٨).

٦. تفسير العياشي أيضاً: قال أبو جعفر عليه السلام: «هو والله المضطر في كتاب الله، وهو قول الله ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض فيكون أول خلق الله يبايعه جبرئيل، ويبايعه الثلاثمائة والبضعة العشر رجلاً»، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «فمن ابتلي في المسير وافاه في تلك الساعة، ومن لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه»، ثم قال: «هو والله قول علي بن أبي طالب عليه السلام: المفقودون عن فرشهم، وهو قول الله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ١٤٨] أصحاب القائم الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً»، قال: «هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه: ﴿وَلَكِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨] قال: يجمعون في ساعة واحدة قرعاً كقرع الخريف» (٢٩).

٧. الاختصاص: «إِذَا كَانَ عِنْدَ خُرُوجِ الْقَائِمِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ قُطِّعَ عَنْكُمْ مُدَّةُ الْجَبَّارِينَ وَوُلِّيَ الْأَمْرَ خَيْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فَاحْشُوا بِمَكَّةَ فَيَخْرُجُ النُّجَبَاءُ مِنْ مِصْرَ وَالْأَبْدَالُ مِنَ الشَّامِ وَعَصَائِبُ الْعِرَاقِ رُهْبَانُ اللَّيْلِ



لُيُوثُ بِالنَّهَارِ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زُبُرُ الْحَدِيدِ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ» (٣٠).

وهذه الرواية وإن لم تذكر الـ (٣١٣) إلا أنها تحمل عليهم بقرينة مبايعتهم للإمام عليه السلام بين الركن والمقام - كما ذكرت الرواية الأولى - وأن عناصرهم الأساسية من دول ثلاثة مصر وسوريا والعراق بلا انطباق على المسميات الموجودة اليوم كتيارات أو أحزاب لأن هؤلاء الـ (٣١٣) هم أشخاص لا جهات ولا أحزاب، كما لا انحصار لهؤلاء الـ (٣١٣) بالدول الثلاثة لوجود روايات تدل على أن هناك من دول آخر غاية الأمر أن هذه البلدان حاوية لأكثر هؤلاء.

٨. تفسير القمي: عن هشام بن عمار عن أبيه وكان من أصحاب علي عليه السلام، عن علي عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَيْنَ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨] قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْأُمَّةُ الْمَعْدُودَةُ أَصْحَابُ الْقَائِمِ الثَّلَاثِائَةِ وَالْبُضْعَةُ عَشْرٌ» (٣١).

٩. الغيبة للنعماني: عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَصْحَابُ الْقَائِمِ ثَلَاثِائَةِ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا أَوْلَادُ الْعَجَمِ بَعْضُهُمْ يُحْمَلُ فِي السَّحَابِ نَهَارًا يُعْرِفُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَنَسَبِهِ وَحِلْيَتِهِ وَبَعْضُهُمْ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ فَيُؤَافِيهِ فِي مَكَّةَ» (٣٢) عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ» (٣٣).

خلال تتبعي لمفردة العجم وجدت أنها تطلق على غير العربي فيكون من جملة الـ (٣١٣) من غير العرب، ولكن قد تطلق العجمة ويراد بها العربي غير الفصيح وقد تطلق ثالثة ويراد بها الشدة والقوة (٣٤).

عرض الاحتمالين:

الاحتمال الأول: إن الخمسين امرأة خارجه عن الـ (٣١٣).

الاحتمال الثاني: إن الخمسين امرأة داخله في الـ (٣١٣).

الصحيح هو الاحتمال الثاني وهو كون الخمسين من جملة الـ (٣١٣) لعدة



أمور تشكل قرينة مجتمعة على ترجيح هذا الاحتمال:

القرينة الأولى: تعبير الرواية -فيهم- «ويجيء، والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة...».

والتعبير «فيهم» ظاهر في كون الـ(٥٠) من ضمن الـ(٣١٣) ولا نخرج عن هذا الظهور إلا بقرينة صارفة ولا قرينة في المقام.

القرينة الثانية: أن هذا هو الفهم السائد للرواية وعليه أجيال العلماء، وكأنه واضح ومركز عند الأعلام القدامى الذين هم أقرب لفهم النص.

القرينة الثالثة: إمكان إطلاق كلمة رجال على النساء ولو مجازاً أو كناية، وذلك تعبيراً عن القوة والتحمل لا في مقابل الأنثى بل بما يشمل الجنسين. وهذا ظاهر بعض اللغويين:

ففي تاج العروس من جواهر القاموس: (وفي المُحْكَم: وقد يكون الرجلُ صِفَةً يَعْنِي به الشَّدَّةُ وَالْكَمَالُ) (٣٥).

وفي التحقيق في كلمات القرآن الكريم (ورجل رجلاً من باب تعب: قوى على المشي والرجلة اسم منه، وهو ذو رجلة: أي ذو قوّة على المشي) (٣٦).

ثم قال: (يطلق الرجل على الذكر من الأناسي، فإنه من يستبدّ برأيه ويقوم بقدمه ويستند إلى رجله ويمشي لتأمين معاشه ومعاش عائلته وهو قوي على العمل والحركة والسير).

ثم قال: (وبهذا يظهر أنّ استعمال كلمة الرجل أو الرجال في القرآن الكريم: إنّما هو في موارد يلاحظ فيها خصوصيات المادّة من الاستقرار والاستبداد والاستناد على نفسه، ولو ادّعاء أو تقديرًا أو تلقيناً... ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] تدلّ الآية الكريمة على أنّ مفهوم الرجل يصدق على من كان من الإنس أو الجن، فيستفاد أنّ الرجوليّة توجد في الجن أيضاً).



أقول: يظهر من كلمات اللغويين:

إن كلمة رجل تطلق على القوة والبأس والقدرة وهذا موجود في الـ (٣١٣) بلا شك لأن لهم منزلة كبيرة ودوراً عظيماً في الحركة المهدوية فلا بد أن يتمتعوا بقوة عالية ورباطة جأش ورجولة سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً وسواء كانوا إنساً أم جنأً.

ما يشهد للقول الأول:

وقد يشهد للقول الأول بخروج الـ (٥٠) امرأة من الـ (٣١٣) بقرائن:

القرينة الأولى:

إن الروايات صرّحت كثيراً بأن الـ (٣١٣) من الرجال دون ذكر النساء وهذا يبعد كون النساء منهم، وإلا لما ذكرت كلمة رجل.

دفعها:

إن رواية «والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة» قرينة على دخول الخمسين فيهم فهي مبيّنة لتفاصيل الـ (٣١٣) من حيث جنسهم، وكون باقي الروايات لم تذكر لا يعني إلغاء هذا التفصيل، وأمّا كلمة (رجل) الواردة في الروايات فنحملها على التغليب.

ويؤيد ذلك ورود أكثر الخطابات الشرعية بصيغ الرجال دون النساء وهي محمولة على الاشتراك بينهما وليست خاصة بالرجال إلا ما خرج بدليل، فما نحن فيه من هذا القبيل أيضاً.

الرواية الثانية:

ما روي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات؛ وبإسناده عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يكن مع القائم ثلاث عشرة امرأة»، قلت:



وما يصنع بهن؟ قال: «يُداوين الجرحى ويقمن على المرضى كما كان مع رسول الله ﷺ» (الحديث) وفيه ذكر أسمائهن^(٣٧)، (٣٨).

فهذه الرواية تعطي تميزاً خاصاً لطبقة من النساء تمارس الأعمال اللوجستية والإعدادية كالأعمال الطبية كما مثلت الرواية، ولا يمكن حمل الرواية على الحصر في المقام وإنّما نحملها على التمثيل فحسب وهو أن أحد وظائف المرأة في زمن الظهور هو كونها كادراً طبياً وعلاجياً.

ولا يعني إلغاء دورها في مجالات أخرى كما دلّت الروايات الكثيرة بأنّها دوراً قيادياً وريادياً كما دلّت روايات الـ(٣١٣) وكذلك غيرها من الروايات، بالإضافة إلى القواعد العامة والأدلة العامة الدالة على عظيم دورها كما مر بيانه في الجواب العام في صدر البحث.

الرواية الثالثة:

ما روي في دلائل الإمامة^(٣٩) بإسناد عن المُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ -وهي نفس الرواية السابقة ولكن بتفصيل- قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «يُكْرَهُ^(٤٠) مَعَ الْقَائِمِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ امْرَأَةً»^(٤١)، قُلْتُ: وَمَا يَصْنَعُ بِهِنَّ؟ قَالَ: «يُدَاوِينَ الْجُرْحَى، وَيَقْمُنَ عَلَى الْمَرْضَى، كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، قُلْتُ: فَسَمَّيْنَنِي. فَقَالَ: «الْقِنَوَاءُ بِنْتُ رُشَيْدٍ»^(٤٢)، وَأُمُّ أَيْمَنَ^(٤٣)، وَحَبَابَةُ الْوَالِيَّةِ^(٤٤)، وَسُمَيَّةُ أُمِّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ^(٤٥)، وَزَيْنَبُ^(٤٦)، وَأُمُّ خَالِدِ الْأَحْمَسِيِّ^(٤٧)، وَأُمُّ سَعِيدِ الْحَنْفِيَّةِ^(٤٨)، وَصُبَّانَةُ^(٤٩) الْمَاشِطَةُ، وَأُمُّ خَالِدِ الْجُهَنِيَّةِ^(٥٠).

وهذه الرواية تبين مجموعة من أسماء النساء اللواتي لهن دور خاص في حركة الظهور، ولعلهن غير الخمسين المذكورات في روايات الـ(٣١٣).

النتيجة:

مما تقدم يتبين أن الحركة المهدوية كباقي الحركات التي قام بها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ومن حيث إشراك المرأة في حركاتهم الإصلاحية والتغيرية باعتبارها تمثل الجزء الآخر من المجتمع فالتحرك في كل المجالات المشتركة لابد من إشراكها مع الرجل فإن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها صور عديدة منها الأمر بالمعروف السياسي والنهي عن المنكر السياسي والأمر بالمعروف الثقافي والنهي عن المنكر الثقافي وهكذا باقي المجالات التربوية والإعلامية وغيرها.

بل هناك حجم تأثير تملكه المرأة قد لا يملكه الرجال وهو تأثيرها على المجتمع النسوي خاصة إذ أنها أعرف بمتطلباتها النفسية والبدنية. وكذلك تأثيرها على الرجل لأنها الأم والزوجة وال بنت والأخت فلها دور في رفع معنوياته وتحفيزه على الجهاد ونصرة الإمام عليه السلام وعدم الانحراف عن مسيرته والتضحية من أجله.



الهوامش

١. تفسير القمي: ج ٢، ص ١٣٥.
٢. جامع البيان في تفسير القرآن: ج ٢٨، ص ١١٠.
٣. النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين (للجزائري): ص ٢٦١.
٤. الخصال: ج ١، ١٧٤ فقد روى بإسناده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِالْوَحْيِ طَرْفَةَ عَيْنٍ مُؤْمِنٌ آلِ يَسَّ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ».
٥. إسعاف الراغبين: ص ٩٦، على هامش نور الأبصار.
٦. مسند أحمد: ج ٤، ص ٥؛ وخصائص النسائي: ص ٢٥.
٧. ذخائر العقبى للطبري: ص ٣٦.
٨. مستدرك سفينة البحار: ج ٣، ص ١٦٩.
٩. الأسرار الفاطمية للشيخ محمد فاضل المسعودي.
١٠. الاحتجاج: ج ١، ص ٩٦.
١١. مثير الأحزان: ص ٩٠.
١٢. حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر القرشي: ج ٢، ص ٣٠١.
١٣. أنظر: القواعد الفقهية للسيد البجنوردي: ج ٢، ص ٥٣.
١٤. قال الجزري في النهاية: ومنه حديث علي «يتمتعون إليه كما يجتمع قزع الخريف» أي قطع السحاب المتفرقة وإنما خص الخريف لأنه أول الشتاء والسحاب يكون فيه متفرقاً غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك.
١٥. ج ١، ص ٦٥.
١٦. الشحناء: الحقد. أي لا يضر شحناؤه غيره ولا يتجاوز نفسه.
١٧. في بعض النسخ «عالياً» يعني ظاهراً.
١٨. أي مبغضاً والقلاء: البغض. وفي بعض النسخ «لا يخاصم بنا والياً».
١٩. الثالب فاعل من الثلب، وثلبه ثلباً أي عابه أو اغتابه أو سبه، أي لا يتحدث مع الساب لنا.
٢٠. في بعض النسخ «يبيدهم» أي يهلكهم.
٢١. أي كانوا سهل المؤونة، من خفض أي الدعة والسكون.
٢٢. الغيبة للنعماني: ص ٢٠٣.
٢٣. كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر: ص ٢٨١.
٢٤. في بعض النسخ «وحلاهم وكناهم».
٢٥. كمال الدين وتمام النعمة: ج ١، ص ٢٦٨.
٢٦. تعاياه الأمر: أعجزه.
٢٧. تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦٠.
٢٨. تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٩.
٢٩. تفسير العياشي: ج ٢، ص ٥٩.
٣٠. الاختصاص: ص ٢٠٨.



الهوامش

٣١. تفسير القمي: ج ١، ص ٣٢٣.
٣٢. في بعض النسخ «فيرى في مكة» وفي بعضها «فيوافونه بمكة على غير معاد».
٣٣. الغيبة للنعماني: ص ٣١٥.
٣٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: ج ٢، ص ٣٩٥؛ ومجمع البحرين: ج ٦، ص ١١١.
٣٥. ج ١٤، ص ٢٦٣.
٣٦. ج ٤، ص ٦٨.
٣٧. دلائل الإمامة: ٤٨٤ ح ٤٨٠ / ٨٤.
٣٨. الشيخ الحر العاملي في إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج ٥، ص ٢٠٣.
٣٩. ص ٤٨٤.
٤٠. في «ط»: يكن. هذه الرواية تتم في المقام بناء على ورود كلمة (يكن) بدل (يكر) وأما بناءً على الأخيرة فلا تنفع في المقام وإنما تكون دلالتها على الرجعة بالمعنى الأخص، نعم لو قلنا إن الكر في الرواية بمعنى مطلق الرجوع بعد الغيبة فتنفع في المقام.
٤١. المعدود في الحديث تسع نساء ولعل الباقيات (الأربعة) لم يذكرهن الإمام عليه السلام لأنهن متأخرات عن عصره فعدم ذكرهن لكى تتنافس النساء بعد زمانه على دخولهن في هذا العدد، وقال بعض - (والمعدودات في هذه الرواية تسع نساء، فالظاهر أن الأربع
- الأخريات هن اللواتي بعثن الله لخديجة عند ولادة فاطمة عليها السلام، وهن: آسية بنت مزاحم، وسارة، ومريم بنت عمران، وكلثوم بنت عمران أخت موسى بن عمران، ولعلهن لم يذكرن لمعروفيتهن) - ولكنه بعيد عن ظاهر الرواية فالأرجح ما احتملناه.
٤٢. القنواء بنت رشيد هو اسم لامرأتين، الأولى: بنت رشيد المهجري، والثانية: بنت رشيد الزيات وهي زوجة الراوي المعروف داود الرقي، والأولى أشهر ولعلها هي المقصودة.
٤٣. أم أيمن رضي الله عنها مولاة النبي ﷺ وحاضته، اسمها: (بركة)، وكانت قد تزوجت من عبيد بن زيد بن الحارث، فولدت له أيمن، واستشهد يوم خيبر فتزوجها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد. وفنائها رضي الله عنها كثيرة. قال الشيخ المحقق النوري في خاتمة المستدرک: ج ٧، ص ١٧٥ (من أهل الجنة، ومن شهود فلك، ومن شربت من دلو أدلى إليها من السماء بين مكة والمدينة، ولها بعد ذلك فضائل أخرى. وفي علل الشرائع: ج ١، ص ١٨٧ عن أبي عبد الله عليه السلام: «قَالَ فَلَمَّا نُبِئَ إِلَى فَاطِمَةَ نَفْسَهَا أَرْسَلَتْ إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ وَكَانَتْ أَوْثَقَ نِسَائِهَا عِنْدَهَا وَفِي نَفْسِهَا فَقَالَتْ هَلَا يَا أُمَّ أَيْمَنَ إِنَّ نَفْسِي نُبِئَتْ إِلَيَّ فَأَذْعِي لِي عَلَيْهَا فَدَعَتْهُ



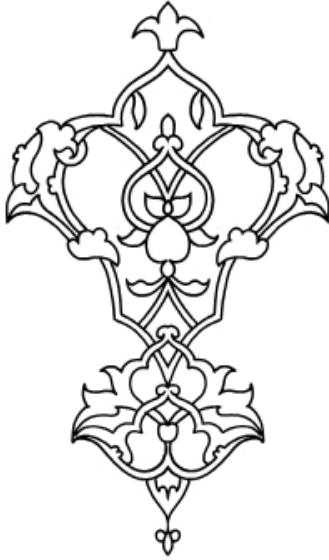
هَذَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ لَهُ يَا بَنَ الْعَمِّ أُرِيدُ
أَنْ أُوصِيكَ بِأَشْيَاءَ فَاحْفَظْهَا عَلَيَّ فَقَالَ هَذَا
قَوْلِي...».

٤٤. وهي من المعمرات وقد عاصرت سبعة من
أئمة آل البيت عليهم السلام هم (أمير المؤمنين والحسن
والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر
وجعفر الصادق وموسى الكاظم عليهم السلام) ففي
رجال الكشي: ص ١١٤، مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ،
قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ حَدَّثَنِي
الْعَمْرِيُّ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَالٍ، عَنْ
ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُبَيْسَةَ بْنِ مُضْعَبٍ وَعَلِيٍّ
بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مِثْمٍ، قَالَ دَخَلْتُ
أَنَا وَعَبَايَةُ الْأَسَدِيُّ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
يُقَالُ لَهَا حَبَابَةُ الْوَالِيَّةِ، فَقَالَ لَهَا عَبَايَةُ تَدْرِينَ
مَنْ هَذَا الشَّابُّ الَّذِي مَعِيَ؟ قَالَتْ: لَا، قَالَ:
مَهْ ابْنُ أَخِيكَ مِثْمٌ. قَالَتْ: إِي وَاللَّهِ إِي وَاللَّهِ،
ثُمَّ قَالَتْ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قُلْنَا: بَلَى،
قَالَتْ: سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:
«نَحْنُ وَشِيعَتُنَا عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ
عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ وَسَائِرَ النَّاسِ مِنْهَا بِرَاءً»،
وَكَانَتْ قَدْ أَدْرَكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَاشَتْ
إِلَى زَمَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا بَلَغَنِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وقال في شعب المقال في درجات الرجال: ص ٢٥٤:

(قال ابن داود حكاية عن الشيخ والكشي:
إِنَّهَا مَدُوحَةٌ، وَهِيَ صَاحِبَةُ الْخِصَاءِ الَّتِي طَبَعَ
فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ أَدْرَكَتْ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَاشَتْ إِلَى زَمَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ).
٤٥. وهي الصحابية المعروفة التي قتلت صبراً
هي وزوجها من قبل مشركي قريش أبان
إرهاصات الدعوة الإسلامية.
٤٦. في (ع، م): زبيرة.
في سفينة البحار: ج ٣، ص ٤٣٨: أقول: في (تنقيح
المقال) زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور
زوجة هارون الرشيد أم محمد الأمين، قال
الصدوق رحمه الله في المجالس أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الشَّيْعَةِ
فَلَمَّا عَرَفَهَا أَنَّهَا مِنْهُمْ حَلَفَ بِطَلَاقِهَا. وَقَالَ ابْنُ
خَلَّكَانَ: لَهَا مَعْرُوفٌ كَثِيرٌ وَفَعَلَ خَيْرٌ، وَقَصَّتْهَا
فِي حَجَّهَا وَمَا اعْتَمَرَتْهُ فِي طَرِيقِهَا مَشْهُورَةٌ فَلَا
حَاجَةَ إِلَى شَرْحِهَا.
قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب
(الألقاب): إِنَّهَا سَقَتْ أَهْلَ مَكَّةَ الْمَاءَ بَعْدَ أَنْ
كَانَتْ الرَّابِوَةَ عَنْدهُمْ بِدِينَارٍ وَأَنَّهَا أَسَالَتْ الْمَاءَ
عَشْرَةَ أَمْيَالٍ بِحِطِّ الْجِبَالِ وَنَحَتِ الصَّخُورِ
حَتَّى غَلَّغَتْهُ مِنَ الْحَلِّ إِلَى الْحَرَمِ وَعَمِلَتْ عَقَبَةً
الْبِسْتَانِ فَقَالَ لَهَا وَكِيلُهَا: يَلْزَمُكَ نَفَقَةٌ كَثِيرَةٌ،
فَقَالَتْ: لِعَمَلِهَا وَلَوْ كَانَتْ ضَرْبَةً فَأَسَ بِدِينَارٍ،
وَأَنَّهُ كَانَ لَهَا مِائَةٌ جَارِيَةٌ يَحْفَظُنَ الْقُرْآنَ وَلِكُلِّ



الصادق عليه السلام، سألت الصادق عليه السلام عن شرب
النبيذ لقراقر في بطنها وقالت: قد قلّدتك
ديني، فلم يأذن لها. قال بعض الأعلام معلقاً
على هذه الرواية (ويظهر من هذه الرواية قوّة
إيمانها وكما لها).



واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها
كدوي النحل من قراءة القرآن وأنّ اسمها أمة
العزیز ولقبها جدّها أبو جعفر المنصور زبيدة
لبضاضتها ونضارتها.

أقول: وقد وجدت لها رواية في المحاسن (للبرقي)
ج ١، ص ٧٠: عَنْهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
يَقُطِينٍ عَنْ زُبَيْدَةَ عَنْ جَمِيلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ
الله قَالَ: «مَنْ مَاتَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللهُ فِي
الْأَمْنَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَّا إِنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ
الْحُجَّاجِ وَأَبَا عُبَيْدَةَ مِنْهُمْ».

٤٧. أم خالد الأحسية: لم أجد لها ترجمة في الكتب
التي تتبعتها ولكن يوجد ترجمة لأُم سعيد
الأحسية عدّها الشيخ في رجاله من أصحاب
الصادق عليه السلام وظاهر عدّه إياها من غير غمز
في مذهبها كونها إماميّة ويمكن استفادة حسنها
بل وثاقها من ابن أبي عمير عنها في كامل
الزيارات، وروى عنها أيضاً يونس بن يعقوب
وأبو داود المسترق وحسين الأحسّي وأحمد بن
رزق الغمشاني عنها أيضاً عن الصادق عليه السلام.
٤٨. أم سعيد الحنفية: لم أجد لها ترجمة حسب
تتبعي.

٤٩. في «ع»: صيانة. لم أجد لها ترجمة حسب تتبعي.

٥٠. أم خالد الجهنية: لم أجد لها ترجمة. ولعلها
أم خالد العبدية، التي لها رواية عن الإمام



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

عولمة الغرب وعالمية الدولة المهدوية

الأستاذ المساعد الدكتور عاطي عبيات

المقدمة:

العولمة ظاهرة لا تُنكر في العصر الراهن، حيث تسعى البشرية تدريجياً ومن خلال التطور البشري في مجالات التقنيات الحديثة، التكنولوجيا، المواصلات، المعلومات، وعالم الارتباطات للوصول إليها والعمل على تحقيقها. ولا شك أن الإنسان في هذا العصر وعلى الرغم من كل التقدم العلمي والحضاري والتكنولوجي يموج في بحر من الظلمات والفتن، فمنذ أن بدأت الخليقة وحصلت أول جريمة في تاريخ البشر حينما قتل قابيل هابيل، غاصت البشرية منذ ذلك الوقت في بحر من الدماء، فلا زالت شعوب الأرض تتصارع فيما بينها لأتفه الأسباب، لا شيء سوى الأنانية وحب السلطة والمال، فنسي الخلق خالقهم أو تناسوه، وغفلوا عن سبب الوجود وغايته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وتعامت أبصارهم عن الحق ونصرته، فعمّ الفساد والظلم وشاع الجور والعدوان، ولا يزال الله ﷻ يبطش بطشته الكبرى بكل جبار عنيد، وكل أمة ظالمة كي تكون عبرة لمن يعتبر ودليلاً لمن يستبصر.

ولا زالت رسله تترى على أهل الأرض أمة بعد أمة، مبلّغين ومنذرين





وهادين لطريق الرشاد والسداد، حيث السعادة الأبدية برضا الرب وراحة النفس وطمأنينة القلب، بشرائع إلهية فيها نَظْمُ أمر الإنسان في دنياه وسعادته في آخرته، فكانت اليهودية والنصرانية بتوراتها وإنجيلها، حتى إذا حُرِّفَتْا وَغَيِّرَتْا، ختم الله بالإسلام وجعله كاملاً متكاملاً، فيه كل ما يحتاجه الإنسان لإصلاح أمر دنياه من قوانين وتشريعات، فلم تترك تلك الشرائع الإلهية ناحية من نواحي الحياة إلا وبيّنت فيها الحكم وفصلت فيها القول.

لكن الإنسان يأبى إلا إطاعة هواه فنبذ فريق منهم كتاب الله وراء ظهورهم وعادوا إلى غيِّهم وبدؤوا يكيّدون لبعضهم البعض، وبرز شياطين القوم ينظرون ويقننون لأنظمة وضعية يريدون من خلالها تحقيق مصالحهم وغاياتهم الشخصية ورغباتهم النفسية، من خلال الضحك على عقول الجاهل ممن لا دين لهم، إنما همج رعا يلهثون وراء كل ناعق.

مفهوم العولمة:

لفظة العولمة هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Globalization) وبعضهم يترجمها بالكونية، وبعضهم يترجمه بالكوكبة، وبعضهم بالشوملة، إلا أنه في الآونة الأخيرة اشتهر بين الباحثين مصطلح العولمة وأصبح أكثر الترجمات شيوعاً بين أهل السياسة والاقتصاد والإعلام.

وتحليل الكلمة بالمعنى اللغوي يعني: تعميم الشيء وإكسابه الصبغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله.

فأمّا العولمة مصدراً فقد جاءت توليداً من كلمة عالم ونفترض لها فعلاً هو: عَوْلُم يُعَوِّلُ عولمة بطريقة التوليد القياسي... وأمّا صيغة الفعللة التي تأتي منها العولمة فإنما تستعمل للتعبير عن مفهوم الإحداث والإضافة، وهي مماثلة في هذه الوظيفة لصيغة التفعيل^(١).

وكثرت الأقوال حول تعريف معنى العولمة حتى إنك لا تجد تعريفاً جامعاً



مانعاً يحوي جميع التعريفات، وذلك لغموض مفهوم العولمة، ولاختلافات وجهة الباحثين، فتجد للاقتصاديين تعريفاً، وللسياسيين تعريفاً، وللإعلاميين تعريفاً وهكذا، ويمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع: ظاهرة اقتصادية، وهيمنة أمريكية، وثورة تكنولوجية واجتماعية.

اختلاف التصورات حول مفهوم العولمة:

هناك نظريات وآراء عديدة حول العولمة، فهناك من يرى العولمة على أنها ظاهرة مرحلية وعابرة في تاريخ البشرية، ويرى آخرون عكس ذلك، بأنها تَبْلُورٌ وانتشار للظاهرة الرأسمالية الغربية، ومنهم من يرى أن العولمة هي تحول سياسي في السياسة العالمية، وإنّ فهم هذا يحتاج إلى فكر جديد^(٢) ويمكن صياغة العولمة في نظريتين: (النظرية الإيجابية المثبتة - النظرية السلبية المنفية).

العولمة ومن خلال التطور في المجالات المعلوماتية والتقنية، بمثابة جسر يتم عبره توحيد العالم كلّهُ، لإنهاء المعاناة البشرية والقضاء على حالات الحرمان في كافة الأصعدة والمجالات العلمية، الاقتصادية، السياسية الاجتماعية، الثقافية، أو تخفيف تلك المعاناة والصدمة وسيادة الأساليب المرضية الدينية، الأخلاقية، أو على الأقل الإنسانية في العالم، وإيجاد وتأسيس الوحدة المنتقاة الإيجابية المثبتة والمتكاملة بين البشرية، لأن معنى العولمة هو تصوير الشعوب والأمم العالمية مبدئاً وسلوكاً واحداً، وفي قامة واحدة، وموقع واحد لمواجهة كافة التحديات المخلة بالتكامل البشري.

العولمة الفعلية تمتلك بعض الخصائص المثبتة والإيجابية والفوائد، وهدفها الأساسي في الواقع توحيد العالم لا غير، ودمجه في الأسواق العالمية المشتركة بقيادة عالم الرأسمالية المتمثلة بأمريكا، تلك الأسواق التي تتمثل بها كل أساليب الحياة الاجتماعية؛ التي تعم الاقتصاد والسياسة والثقافة أخيراً، بلغة السير وراء المنافع والمصالح الشخصية الاستكبارية، وسلطة الحضارة الغربية



وسيطرتها من دون قيد أو شرط، واستيلاء الدول الغنية بكثافة على الدول الفقيرة، مما دعا بعض المفكرين الغربيين إلى الاعتقاد بخطورة العولمة وأنها تهديد بالفعل والقوة، بسبب الغطسة الأمريكية وحالة الطغيان والتكبر على العالم.

نشأة العولمة:

يذهب بعض الباحثين إلى أن العولمة ليست وليدة اليوم، بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر إلى زمن النهضة الأوروبية الحديثة حيث نشأت المجتمعات القومية.. فبدأت العولمة ببزوغ ظاهرة الدولة القومية عندما حلت الدولة محل الإقطاعية، مما زاد في توسيع نطاق السوق ليشمل الأمة بأسرها بعد أن كان محدوداً بحدود المقاطعة.

وذهب بعض الباحثين إلى أن نشأة العولمة كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، إلا أنها في السنوات الأخيرة شهدت تنامياً سريعاً. يقول إسماعيل صبري: (نشأت ظاهرة الكوكبة (العولمة) وتنامت في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي حالياً في أوج الحركة، فلا يكاد يمر يوم واحد دون أن نسمع أو نقرأ عن اندماج شركات كبرى، أو انتزاع شركة السيطرة على شركة ثانية)^(٣).

إن الدعوة إلى إقامة حكومة عالمية، ونظام مالي عالمي موحد والتخلص من السيادة القومية، بدأت في الخطاب السياسي الغربي منذ فترة طويلة، فهذا هتلر يقول في خطابه أمام الرايخ الثالث: (سوف تستخدم الاشتراكية الدولية ثورتها لإقامة نظام عالمي جديد) وفي كتابات الطبقة المستنيرة عام ١٧٨٠: (من الضروري أن نقيم إمبراطورية عالمية تحكم العالم كله).

وجاء في إعلان حقوق الإنسان الثاني عام ١٩٧٣: (إننا نأسف بشدة لتقسيم



الجنس البشري على أسس قومية. لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السياسة القومية، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية).

وقال بنيامين كريم أحد قادة حركة العصر الجديد عام ١٩٨٢: (ما هي الخطة؟ إنها تشمل إحلال حكومة عالمية جديدة، وديانة جديدة).

وكانت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر قد اقترحت فكرة العولمة، يرافقها في ذلك الرئيس الأمريكي السابق رولاند ريغن. ووجهة نظر تاتشر الاقتصادية -والتي عُرفت بالتاتشرية- انبثقت من الاستحواذ اليهودي على المال والعتاد... حيث إن فكرتها الاقتصادية والتي صاغها اليهودي جوزيف تهداف إلى جعل الغني أغنى والفقر أفقر.

ويذكر (بات روبرتسون)^(٤) أن النظام العالمي الجديد نظام ماسوني عالمي، ويعمل ما يقول: (بأن على وجهي الدولار مطبوع علامة الولايات المتحدة، وهي عبارة عن النسر الأمريكي ممسكاً بغصن الزيتون رمز السلام بأحد مخالبه، وفي المقلب الآخر يوجد (١٣) سهم رمز الحرب.

وعلى الوجه الآخر هرم غير كامل، فوقه عين لها بريق المجد، وتحت الهرم كلمات لاتينية (Novus Order Seclorum) وهي شطرة من شعر فرجيل الشاعر الروماني القديم معناها نظام جديد لكل العصور).

إن الذي صمم علامة الولايات المتحدة هذه هو تشارلز طومسون، وهو عضو في النظام الماسوني، وكان يعمل سكرتيراً للكونجرس. وهذا الهرم الناقص له معنى خاص بالنسبة للماسونيين، وهو اليوم العلامة المميزة لأتباع حركة العصر الجديد. وبعد تحليل ليس بطويل يصل المؤلف إلى وجود علاقة واضحة تربط بين النظام الماسوني والنظام العالمي الجديد.



وقد جاء في مجلة المجتمع بحثٌ عن منظمة (بلدبرج) والتي أسسها رجل الأعمال السويدي (جوزيف ريتنجر) -والذي سعى إلى تحقيق الوحدة الأوروبية، وتكوين المجتمع الأطلسي- وهي منظمة سرية تختار أعضائها بدقة متناهية من رجال السياسة والمال، وتعقد اجتماعاتها في داخل ستار حديدي من السرية، وفي حراسة المخابرات المركزية الأمريكية وبعض الدول الأوروبية، ولا تسمح لأي عضو بالبوح بكلمة واحدة عن مناقشاتها، ولا يحق للأعضاء الاعتراض أو تقديم أي اقتراح حول مواضيع الجلسات، ويمول هذه المنظمة مؤسسة روكفلور اليهودية وبنك الملياردير اليهودي روتشيلد، ومعظم الشخصيات في هذه المنظمة هم من الماسونيين الكبار، وكثير من رؤساء الولايات المتحدة نجحوا في الانتخابات بعد عضويتهم في هذه المنظمة مثل: ريجان، وكارتر، وبوش، وكلينتون، وبعد اشتراك تاتشر في المنظمة بستين أصبحت رئيسة وزراء إنجلترا، وكذلك بيلر أصبح رئيساً للوزراء بعد مضي أربع سنوات من اشتراكه في المنظمة، وهي تسعى للسيطرة على العالم وإدارته وفق رؤيتها، فقراراتها تؤثر على التجارة الدولية وعلى كثير من الحكومات^(٥).

فالعولمة نشأت مع العصر الحديث وتكونت بما أحدثه العلم من تطور في مجال الاتصالات وخصوصاً بعد بروز الإنترنت والذي أتاح مجالاً واسعاً في التبادل المعرفي والمالي، وارتباط نشأة الدولة القومية بالعولمة في العصر الحاضر فيه بُعدٌ عن مفهوم العولمة والذي يدعو أساساً إلى نهاية سيادة الدولة والقضاء على الحدود الجغرافية، وتعميم مفهوم النظام الرأسمالي واعتماد الديمقراطية كنظام سياسي عام للدول.

ولكن هناك أحداث ظهرت ساعدت على بلورة مفهوم العولمة وتكوينه بهذه الصيغة العالمية، فانهار سور برلين، وسقوط الاشتراكية كقوة سياسية



وإيديولوجية وتفرد القطب الأوحـد بالسيطرة والتقدم التكنولوجي وزيادة الإنتاج ليشمل الأسواق العالمية، أدت إلى تكوين هذا المفهوم.

الفرق بين العولمة والعالمية:

إن التقابل بين العالمية والعولمة وإيجاد الفرق بينهما فيه نوع من الصعوبة، خصوصاً أن كلمة العولمة مأخوذة أصلاً من العالم، ولهذا نجد بعض المفكرين يذهبون إلى أن العولمة والعالمية تعني معنى واحداً وليس بينهما فرق. ولكن الحقيقة أن هذين المصطلحين يختلفان في المعنى، فإن بينهما مقابلة كالمقابلة بين الشر والخير.

العالمية: انفتاح على العالم، واحتكاك بالثقافات العالمية مع الاحتفاظ بخصوصية الأمة وفكرها وثقافتها وقيمها ومبادئها - بما ينسجم مع قيم الإسلام -. فالعالمية إثراء للفكر وتبادل للمعرفة مع الاعتراف المتبادل بالآخر دون فقدان الهوية الذاتية. وخاصية العالمية هي من خصائص الدين الإسلامي، فهو دين يخاطب جميع البشر، دين عالمي يصلح في كل زمان ومكان، فهو لا يعرف الإقليمية أو القومية أو الجنس، جاء لجميع الفئات والطبقات، فلا تحده الحدود.

ولهذا تجد الخطاب القرآني موجهاً للناس جميعاً وليس لفئة خاصة، فكم آية في القرآن تقول ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ (الحجرات: ١٣) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف: ١٥٨) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١) إلى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها لفظ الناس وقد تجاوزت المائتي آية؛ بل إن الأنبياء السابقين ﷺ تنسب أقوامهم إليهم (قوم نوح)، (قوم صالح) وهكذا، إلا النبي محمداً ﷺ فإنه



لم يرد الخطاب القرآني بنسبة قومه إليه ﷺ وهذا يدل على عالمية رسالته ﷺ فهو عالمي بطبعه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومن أسباب تخلفنا عن الركب الحضاري هو إقصاء الإسلام عن عالميته، وعدم زجه في كثير من حقول الحياة بزعم المحافظة على قداسته وطيهوريته، وهذا نوع من الصدد والهجران للدين، وعدم فهم لطبيعة هذا الدين والذي من طبيعته وكينونته التفاعل مع قضايا الناس والاندماج معهم في جميع شؤون الحياة، وإيجاد الحلول لكل قضاياهم، وهذا من كمال هذا الدين وإعجازه.

فهو دين تفاعلي حضاري منذ نشأته. فمنذ فجر الرسالة النبوية نزل قوله تعالى: ﴿الْم ۖ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ﴾ (في بضع سنين) (الروم: ١-٤) (فيذكر الخطاب القرآني الكريم المتغيرات العالمية، لإدراك أبعاد التوازنات بين القوتين العظيمتين في ذلك الزمان، وذلك أن المسلم يحمل رسالة عالمية، ومن يحمل رسالة عالمية عليه أن يدرك الوقائع والأوضاع العالمية كلها وخاصة طبيعة وعلاقات القوى الكبرى المؤثرة في هذه الأوضاع) (٦).

أمّا العولمة: فهي انسلاخ عن قيم ومبادئ وتقاليد وعادات الأمة وإلغاء شخصيتها وكيانها وذوبانها في الآخر. فالعولمة تنفذ من خلال رغبات الأفراد والجماعات بحيث تقضي على الخصوصيات تدريجياً من غير صراع إيديولوجي. فهي (تقوم على تكريس إيديولوجيا الفردية المستسلمة) وهو اعتقاد المرء في أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته، وأن كل ما عداه أجنبي عنه لا يعنيه، فتقوم بإلغاء كل ما هو جماعي، ليبقى الإطار (العولمي) هو وحده الموجود.

فهي تقوم بتكريس النزعة الأنانية وطمس الروح الجماعية، وتعمل على تكريس الحياد وهو التحلل من كل التزام أو ارتباط بأية قضية، وهي بهذا



تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري أي التطبيع والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري. وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، مما يفقد الهوية الثقافية من كل محتوى، فالعولمة عالم بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن، إنه عالم المؤسسات والشبكات العالمية.

العولمة ليست مفهوماً مجرداً؛ بل هي تحول كلي إلى سياسات وإجراءات عملية ملموسة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والإعلام؛ بل وأخطر من ذلك كله هو أن العولمة أضحت عملية تطرح -في جوهرها- هيكلاً للقيم تتفاعل كثير من الاتجاهات والأوضاع على فرضه وتثيته، وقسر مختلف شعوب المعمورة على تبني تلك القيم وهيكلها ونظرتها للإنسان والكون والحياة^(٧).

آثار وعوامل تحقق العولمة الغربية:

نظرية سياسة القدرة (لهانس موكنتا)، نظرية تنازع الحضارات (لهانتينكتون)، سياسة الحرب الصليبية للمحافظين الأمريكيين الجدد، سياسة الاحتلال، الانحياز، المنهج والأسلوب العسكري في الحرب ضد الإرهاب، التهديد والتخويف والإرهاب المتمثل بالأسلوب العسكري والأمني، إسقاط الأنظمة وتجزئة الدول والبلدان أو احتلالها، وذلك لاعتماد العولمة الغربية في سياستها على القطب الواحد، الرأسمالية؛ إعمال بعض مراتب القدرة والتسلط على بعض شعوب العالم، غلبة مصالح رجال الجيش ونفوذه في دولة من الدول، استخدام أساليب وأدوات جديدة للتحقيق الثقافي والعلمي، التطبيع الاقتصادي والتكنولوجي... وغيرها، كل تلك الأمور كانت مدعاة لبعض المفكرين الغربيين أمثال: (بولايين)، (اسكات كري)، (هوتن)، (فر كلا)... وغيرهم بأن يعبروا عن العولمة بتعابير، كالعولمة الغربية، الأمريكية، والإمبريالية أحياناً في قالب نظام جديد يقوم على قطب واحد والمدينة الفاضلة^(٨).



إن العولمة الغربية هي نظرية وأطروحة مفروضة وبناء هندسي اجتماعي متعدد الأنظمة يفرض فيها سيطرة الإيدلوجية الغربية، وهي تسعى من خلال اعتمادها على الأسس الليبرالية والرأسمالية الجديدة إلى فرض الأساليب والثقافة الأمريكية والغربية على الشعوب والأمم العالمية ونشر ثقافة الصرف وأصالة الثروة.

إن أتباع هذا السلوك يرون: أن العولمة إرادية واختيارية وهي تحت تصرف جماعة معينة، وزعم هؤلاء بأن هذه الإدارة في الوقت الحاضر إنما هي اختيار وتصرّف العالم الرأسمالي.

ويمكن القول من خلال هذه النظرة: بأن العولمة هي مرحلة جديدة من الإمبريالية، وقد ظهرت بداياتها موحدة، واصطنعت لها أخيراً وجهاً عالمياً. ويرى (شون هيلي) وهو من مخالفين العولمة، بأنها مشروع مفروض، ويعتقد بأن العولمة يمكن القول بها في بعض المجالات وأن الثروة في القرن الأخير لم تصل إلى مرحلة العولمة فحسب، بل أصبحت في اختيار جماعة معينة ومحدودة وأن التكنولوجيا والتطور وإن وصل إلى مرحلة أقدر مما كان عليه، لكنها لم تصل إلى مرحلة العولمة، بل وحتى التوسعة والتطور الاقتصادي الذي هو أساس الأرجحية التاريخية للرأسمالية هو أيضاً لم يصل إلى مرحلة العولمة^(٩).

العالمية الدينية:

نقصد بكلمة العالمية في هذا العنوان هنا مجرد صيرورة الشيء عالمياً دون أية مضاعفات أو ملاسبات أو اختراعات مفهومية إضافية كالتي تقدّمت، وبالتأكيد فإن المنظومة المعرفية الدينية على مستوى الديانات كافة تقريباً تستبطن هذا التصور العالمي لاسيما الديانة الإسلامية التي صرّحت نصوصها بالبعد العالمي فيها، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وجاء أيضاً ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (ص: ٨٧)، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ



وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيَّغَةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ (آل عمران: ٩٦)، ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبا: ٢٨).

كذلك فكرة المهدوية تؤكد هذه المقولة، وتدعم التصور القاضي بعالمية الدين، وهو ما يدفع البعض إلى القول بأن العولمة -إذا ما تعدّينا صيغتها اللغوية- لا تمثل موضوعاً جديداً في الحياة البشرية وإنما هي مشروعٌ استهدفته الكثير من الأمم والحضارات والأديان والقوى السابقة والغابرة، والفروقات التي تبدو إنّما هي في ميزات الواقع المعاصر، ومن هنا تكون العولمة خياراً إسلامياً في جوهرها^(١٠).

غير أن النقطة المركزية في المقارنة بين العولمة الغربية والعالمية الدينية تكمن في البنى القبلية التي انطلقت منها هاتان الظاهرتان، فبحسب العرض المتقدم لظاهرة العولمة الغربية يلاحظ أن المنطلقات التي يراود عولمتها وكذلك الدوافع التي تحرّك هذا المشروع تختلف في جذرها عن العالمية الدينية في الجانبين المذكورين، لأن الجمع بين العولمة ونهاية التاريخ في التصوّر الغربي يعني أن المراد تعميم الليبرالية بالمفهوم الحديث لها، وهذا يعني نوعاً من استبطان المفاهيم الحداثيّة في داخل المشروع، وهي مفاهيم -بغض النظر عن الآراء فيها بين الحداثيين وما بعد الحداثيين- تقوم على الفردية والنفعية والمادية وغيرها من المفاهيم التي تستوعب الثقافة الغربية والأمريكية بالخصوص.

إذن ما يراود عولمته في المشروع الحاضر هو هذه المنظومة المعرفية والحياتية، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنّ العنصر المحرّك لظاهرة العولمة هو العنصر الاقتصادي، وأمّا الجوانب السياسية والثقافية والحضارية واللغوية



والاجتماعية... فإنما هي أمورٌ تتبع المركز الذي يصدر عنه المشروع، وتقف في درجة متأخرة عنه.

إذا أخذنا هذين الأمرين بعين الاعتبار يمكننا أن نقرأ الموائز بين العولمة الغربية والعالمية الدينية سيما الإسلامية، في المشروع الذي يراد تعميمه من خلال العولمة، فإن العولمة الغربية تريد في وقتها الراهن تعميم الليبرالية الحديثة، والليبرالية تعني قبل كل شيء أو تحتزن إلغاء الطابع المعنوي للحياة وإعادة رسمها وفق أسس مصلحية نفعية فردية تفترض الإنسان محور الحياة دون أن يكون جزءاً من كل أكبر، وهذه الليبرالية لا تحمل سوى العقل الكمّي لأمر ذاك العقل الذي صبغ الفكر الغربي عموماً في الفترة الأخيرة، والشيء الطبيعي الذي يتوقع أن ينجم عن ذلك هو ازدياد الهوة بين الناس أجمعين، لا فقط بين الحضارات أو بين الطبقات.

والسبب في ذلك يكمن في طبيعة التصادمات المصلحية بين البشر، وهي تصادمات وإن أمكن الحد منها من خلال بعض النظم الغربية في مجال السياسة والاجتماع إلا أن العقل الغربي لم يستطع أن يمنعها أو أن يحد منها في مجال العلاقات التي تربطه بالأمم والحضارات الأخرى، بل إن الأمر الذي يمكن التركيز عليه هنا ينبع من الفكرة التي أثارها غارودي في (حوار الحضارات)^(١١) من أن النمو الغربي المذهل والموفقية الغربية على أكثر من صعيد إنما جاء عقب ممارسة إلغاء وقمع وإذابة وإفناء وقهر للأديان والحضارات والأمم والدول الأخرى مما تشهد به سلسلة الأحداث التاريخية لحياة الاستعمار في القرنين التاسع عشر والعشرين وما يزال، وهذا يعني أن الحد الذي يحصل في الغرب من التداخيات السلبية لنزعات البراغماتية والفردية وغيرها إنما كان بفضل ممارسة تداعيات أبشع على الصعيد الخارجي، وهو أمرٌ له مداليه؛ فالرفاهية الاقتصادية والحد من حالات التخلف العلمي والاجتماعي في الغرب إنما جاء



في كثير من الأحيان عن طريق سلب ثروات الأمم الأخرى لاسيما القارة الأفريقية، وهذا من شأنه أن يدلّ على أن الحضارة الغربية تقع تحت مشار السؤال القائل: هل أن الغرب كان بإمكانه طبقاً لنظرياته عن الحياة والكون والإنسان أن ينهض بإصلاح مجتمعاته لولا الممارسات التي تجاوز بها نظرياته نفسها في العلاقات مع الدول الأخرى والشعوب الأخرى؟!!

إنّ ما تقدم يرشدنا إلى أن المنظومة الحياتية التي تحملها العولمة إلى أقطار العالم من شأنها إذا ما سرّنا وتداعياتها الطبيعية أن تولّد مزيداً من الانقسام البشري والفوارق الحادّة التي من شأنها أن تصنع توتراً لا استقراراً وأن تولّد عنفاً وتآزماً أينما حلّت.

إنّ الآثار المذهلة والمخيفة للعولمة مما أشرنا إليه أو لم نُشر ما هي إلاّ تعبير منطقي عن البنى القبلية التي حملتها وتحمّلها العولمة معها وتريد من خلالها إصلاح العالم، فإذا ما أريد للعولمة أن تُدرس في إطار العالم الذي ينتفع بها -أي عالم الأثرياء وأمثالهم- فإن لها آثاراً إيجابية في غاية الأهميّة، وإذا أريد لها أن تكون في نطاق مجتمعات محدودة على حساب مجتمعاتٍ أخرى لربما أمكنها أن تحلّ الكثير من المشاكل التي يعيشها إنسان تلك المجتمعات، والتجربة الغربية خلال القرنين الماضيين شاهد على ما نقول.

إلاّ أن المفارقة الهامّة هنا تكمن في الشمولية التي تريد العولمة أن تمارسها أو تعبر عنها، فقد اعتادت التجربة الغربية أن يكون لها ضحايا قبال كل إنجاز أو تقدم علمي أو حيائي أو حضاري تنجزه، فمن يمكنه أن يكون اليوم ضحية للعولمة؟ وكيف يمكن أن تنسجم العولمة مع نفسها إذا آمنت بمنطق الضحية لكل تقدّم ما دامت قد أدخلت في حساباتها كلّ البشر؟

النقطة الأساسية فيما نريد الإشارة إليه هنا هي: أن العقل الغربي الذي تحمله العولمة هو نفس العقل الغربي الذي حملته الحملات الاستعمارية على



العالم الثالث سابقاً - وهو ما يصحح التسمية التي ذكرها بعض الباحثين من أن العولمة هي (ما بعد الاستعمار) باعتبار أن ما بعد في مثل هذه التعبيرات لا تعني القطيعة مع (ما قبل) كما نقول (ما بعد الحداثة) أو (ما بعد الكانتيين) دون التخلي عن الحداثة أو عن فلسفة كانت-^(١٢) وقراءة هذا العقل تؤكد ارتكازه أو احتياجه لمنطق الضحية؛ لأن المفاهيم الليبرالية والحداثية التي ينطلق منها إنما تتطلب وتستدعي مثل ذلك، فعندما أكون محور العالم في المذهب الإنساني، وعندما تكون أباييتي كامنة في ذاتي وفي عدم أباييتي بغيري، وعندما تكون الآفاق التي أحملها لا عالم فيها للمعنويات الأخلاقية والروحية... فمن الطبيعي حينئذ أن أخرج بداروينية اجتماعية ترى في بقاء الأصلح (الذي يساوق في المفهوم الغربي الأقوى) صلاحاً للبشرية ما دمت أنا هو ذاك الأقوى.

فعلى سبيل المثال يرى البعض أن العولمة تطرح الديمقراطية وحقوق الإنسان كأهداف نبيلة تسعى لنشرها عالمياً من تدويل سلطاتها ونشر قيمها الخاصة، ولكننا نجد أن أباطرة العولمة يضحون بالديمقراطية وحقوق الإنسان عندما يتعارض ذلك مع مصالحهم، حيث نلاحظ كيف دقت العولمة أسفين الانهيار في دول شرق آسيا عندما أرادت أن تفرض سيطرتها المطلقة على هذه البلاد، فهذه الدول التي يعتبرها الغرب مثلاً لنجاح انتقال العولمة إلى المجتمعات غير الغربية ظلت حكوماتها تسلطية أو شبه تسلطية رغم انصباغها بديمقراطية مزيفة.

فقد أثبت الواقع أن الإفراط الليبرالي الذي لازم العولمة يمثل تعدياً على الديمقراطية نفسها لصالح عمالقة المال، خاصة حقوق العمال وأحوالهم المتدهورة^(١٣).

أمّا في العالمية الدينية فإن الأمر مختلف؛ إذ تنطلق المنظومة الحياتية التي يطرحها الدين من قاعدة إمّا إنكار الذات كما تفعله الديانة المسيحية أو من



نوع من الموازنة بينها وبين الآخر كما هو الحال في الإسلام، وتنطلق من افتراض هذا العالم هو نهاية كل شيء لتصبح نتائجه حاسمة ونهائية، إلى اعتباره ممراً لكل شيء بشري وبالتالي ليتشكل من ذلك مجال واسع لمنح الآخر ما هو دنيوي في سبيل الأفق الأخرى الآخر، مما يعني فتح المجال أمام الآخر ليقوى بدل اعتبار قوته إفناءً لي، أو لتنطلق من اعتبار الألم مصدر القوة والقيمة كما في سانتاغراها غاندي بدل افتراضه رمزاً للفشل والنهية وتعبيراً عن اللغوية والعبث.

وليس الدين -بالمعنى الواسع له- بحاجة إلى من يثبت له هذه الميزات، فالشعوب والقبائل التي لم تمر بمرحلة الرأسمالية ولم تعرف النظام الغربي تحكي بوضوح عن تجارب في غاية الأهمية لو جرى تعميمها لربما غيرت الكثير من أوضاع الإنسانية، فقرى وأرياف أفريقيا والعالم الإسلامي وسفوح همالايا الهند كلها تعابير واضحة عن رسوخ روح التعاون بدل التصارع المادي، وروح التضحية والتقديم للآخر بدل روح الاحتكار والابتزاز المادي والاقتصادي، وهذا الواقع يمثل شهادة حاكية وكافية دون الحاجة إلى الرجوع إلى آمال العقل الديني، في النهاية الشديدة الروعة التي يصوغها للتاريخ البشري، والتي على أي تقدير تحكي عن الأفق الذي يحمله التصور الديني لشبكات العلاقات التي أعاقَت تشكيل الكثير منها الأنماط الحياتية التي فرضتها طبيعة النظم الغربية. إن الدين كجوهر لا يختزن -بصورة كاملة أو شبه كاملة على الأقل- الأحداث المؤلمة التي تجري المعاناة منها بسبب العولمة في وضعها الراهن، فالتصورات التي يحملها الدين عن المفهوم الاقتصادي والمالي -بقطع النظر عن فرص التطبيق- هي تصورات يفترض بحسب بنيتها النظرية أن تخفف من الانقسام الطبقي البشري ومن ارتفاع معدلات الفقر....

إن القيم الدينية المالية لا تسمح بتمركز رأس المال ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧).



﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤). ولا تقبل التجاهل الخلقي للفقير، بل تصرّ -وفي مختلف المجالات وحتى على المستوى العبادي الشخصي (الصوم والحج نموذجاً)- على تضيق الهوة الاجتماعية والمعنوية بين الفقير والغني، وهو أمرٌ يعدّ من أهم أساسيات الدين بحسب دراسة نصوصه وتاريخه، هذا فضلاً عن أنّ البنية المفاهيمية للضرائب في الإسلام مثلاً يعد الفقير والمساكين ركنين من أركانها، فالمسلم عندما يمارس دفع الضريبة فإنه لا يمارسها على الطريقة الغربية وإنّما كتعبيرٍ حيٍّ في نفسه عن عمليات إغاثة الفقراء والمساكين لا مجرد عملية ميكانيكية اقتصادية استدعتها طبيعة الظروف والأوضاع، أو مخافة الخسارة الفادحة في نهاية المطاف من خلال التوتّر الذي يؤدي إليه تدهور أحوال الفقراء والمساكين في طبيعة العقل الغربي الكمّي غالباً، وهذه العناصر النفسية والسلوكية وبالتالي المظاهر الاجتماعية والاقتصادية لا تسمح في حدود نمط تركيبها بسيطرة مفاهيم ومقولات تفتخر برأس المال وتسحق حقوق الطبقة الفقيرة أو العاملة في لذة الإقصاء للآخر الضعيف عن نعمة العمل الداعم لأبسط أشكال الحياة.

إن الرفض العالمي لظاهرة الدين الموالى للمال والسلطة سواءً في التجربة الكنسية أو في تجربة وعّاظ السلاطين المسلمين دليلٌ واضحٌ مرتكزٌ في أعماق التصوّر البشري على أنّ الدين نصير البائس لا الغني، من دون ممارسته نوعاً من احتقار الغنى والرفاهية سيما الدين الإسلامي، وهذا شاهدٌ على شكل العلاقة التي يحملها الدين فيما يتعلّق بموضوع المال.

الأمر الآخر الذي يمكن أن تجري ملاحظته في المنظومة الدينية هو عناصر التمايز الاجتماعي في التصوّر الديني، فإذا كانت الليبرالية بأشكالها القديمة



والحديث لا تتمكّن من الاستغناء عن عمالة المال لأنّها تصنّفهم تلقائياً كأرقام متقدّمة في المجتمع، فإن الدين بإعطائه القيمة للعلم والتقوى كمائز تفضيليّ في المجتمع يقصي المال عن تحوّلِهِ إلى عنصر تمايز ذي اعتبار اجتماعي تفضيليّ إلا من حيث التوظيف التقوائي له وإن لم يكن يرى فيه شراً مطلقاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وهذا يعني فرز المجتمع على أساس مغاير للفرز الغربي؛ فليس العالم فقيراً وغنياً أو غنياً فقط حينما يتجاهل الفقير كلياً بل هو عالم وجاهل وتقي وغير تقي... وهذا التقسيم الجديد يقلّص من دخالة رجال المال - من حيث هم رجال مال - في اتخاذ القرار ويضع لمواقفهم ونفوذهم حدوداً تقتضيها الأبعاد العلمية والإيمانية، وهي أبعاد من شأنها أن تمنع رأس المال وأصحابه من تدمير الديمقراطية وممارسة إرهاب وفرض وقمع من نوع آخر.

العولمة ذات المضمون الغربي وما تجرّه على الشعوب الأخرى من ويلات تنشأ إشكالياتها من هذه الخلفية التي انطلقت منها، وهي خلفية يعارضها الدين معارضةً شديدةً، وبالتالي فالعالمية الدينية يمكنها إذا ما أحسنت استخدام مفاهيمها أن تتجاوز هذه المخاطر نحو صيغة شمول أكثر سلماً وأقلّ ضرراً، وهو ما ترشد له النصوص الإسلامية المتعلقة بمسألة المهدوية والتي تكشف بشكلٍ أو بآخر عن تصوّر الديني لنهاية التاريخ الإنساني من هذه الزاوية. فمن جملة هذه النصوص التي تحكي عن تنعّم مشترك بين أبناء الإنسان ما جاء في الرواية «... يقسّم المال صحاحاً»، فقال له رجلٌ ما صحاحاً؟ قال: «بالسوية بين الناس»^(١٤).

وفي روايةٍ أخرى «إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية وعدل في الرعية»^(١٥)، وفي روايةٍ ثالثة «يجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها



فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم به الأرحام وسفكتم فيه الدماء الحرام وركبتم فيه ما حرم الله فيعطي شيئاً لم يعطه أحدٌ كان قبله»^(١٦)، وفي خبرٍ رابعٍ «... يطلب الرجل منكم من يصله بهاله ويأخذ من زكاته لا يوجد أحدٌ يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله»^(١٧)، وهي نصوصٌ صحت أو لم تصح قبلت أو لم تُقبل -وهو ما لا يعنيننا فعلاً- تحكي عن هذا التصوّر النافذ في العقل الديني^(١٨).

إنّ المسار الميداني للعولمة والدافع العملي لها إنما هو البعد المالي غالباً لا غير، ومن هنا يصحّ لنا عدم اعتبارها مشروعاً حضارياً أو ثقافياً أو أخلاقياً أو معنوياً أو علمياً... إنها بالدرجة الأولى مشروع مالي اقتصادي يُسخّر جوانب الحياة الأخرى بالعرض وبالتبع لنفسه دون أن يكون لقيم الفكر والحضارة والثقافة والإيمان أي أهمية إلا من حيث توظيفها في السياق الإنتاجي العام، فتسويق العولمة لثقافاتٍ معينة ليس بالضرورة قناعةً بنموذجية هذه الثقافات، وإنما إبرازها كنموذجٍ على الصعيد العالمي بأي شكلٍ من الأشكال نظراً لكونها أكثر تناسباً مع المصالح العامة لرؤوس الأموال. والمفارقة الجوهرية التي تحصل هنا هي في تراجع سلطة الفكر والمعرفة والثقافة والقيمة والأخلاق لصالح سلطة المال، فالمثقفون والعلماء يوضعون حينئذٍ في الدرجة الثانية من سلّم صانعي القرار وحتى رجال السياسة، بل إنهم على الأساس نفسه سوف يتحوّلون تدريجياً إلى مجرد موظفين لخدمة هذا النوع من السلطة كما هو الحال في وعاز السلاطين في القرون الغابرة.

وينجم عن صنع العولمة بقوّتها الاقتصادية طبقات خاصة من المثقفين والعلماء ممن يؤمنون بها ويؤمنون لها تغطيةً علميةً وثقافيةً دائمةً لينفذوها إلى أعماق المجتمعات، وهذا ما حصل ويحصل فعلاً سواء قصد المثقفون ذلك أم لم يقصدوا.



أمّا على الصعيد الديني فالقضية مختلفة فعندما يريد الدين تعميم ذاته فإن هدفه الأوّل لا يتمثّل في سلطة المال والربح وإنما في المعرفة والقيمة مهما كان موقفنا من هذه المعرفة أو من تلك القيمة، أمّا المال فيمكن -على أبعد تقدير- أن يشكّل وسيلةً لهذا الهدف لا هدفاً بنفسه (المؤلّفة قلوبهم نموذجاً). وهذا معناه نوع من حاكمية القيمة والفكرة على المال والربح، وهذا الانقلاب في السلطة أو هذا التداول له مداليله العديدة وآثاره أيضاً.

إنّ هذا الانقلاب يجعل الفكر والثقافة والمعرفة والقيمة في الواجهة بحسب سلّم الأولويات، كما يرفع من شأن التضحية والتفاني والأخلاق وأهل هذه الخصال في الوسط الاجتماعي، وفي المقابل يفرض على رؤوس الأموال التراجع خطوةً إلى الوراء في موضوع الصنع الفاعل للقرار دون أن يعني ذلك سلب المشاركة لأنّ هناك فرقاً بين المشاركة والتحكّم.

وبعبارة أخرى:

إنّ الشريحة التي تقود حركة التغيير والإصلاح في المجتمع الديني (ومنه العالمي) إنّما هم العلماء والمتدينون؛ أي إثمهم الذين يقودون المسيرة ويوظفون رؤوس أموالهم أو أموال الآخرين في خدمة مشروعهم الذي هو بحسب طبيعة شخصيتهم مشروع علمي قيمي.

أمّا العولمة المعاصرة فإن السياسة نفسها تصبح دميةً فيها بيد أصحاب الأموال.

إن هذه النقطة بالذات تقودنا إلى القول بأن جوهر الدين لما كان عبارة عن الاعتقاد القلبي والفعل الباطني لم يكن ليتمكّن هذا الدين من النفوذ إلى السيطرة والحكم إلّا عن طريق الرضا القلبي العام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وهذا يعني أنّ الفعل الديني والإيماني هو دائماً فعلٌ إراديٌّ نابعٌ من الذات الإنسانية في قناعاتها وميولها الفكرية والقلبية، ومن هنا فإذا



لاحظنا هذا العنصر فإننا لن نستطيع الجزم بالمشابهة بين العولمة وبين عالميّة الدين؛ لأن العولمة الغربية تمتدّ إلى العالم كله عن طريق الاقتصاد وسلطة المال، وهذا الطريق لا يرتبط بالفعل القلبي والعقدي للبشر، أي إنهم يستقبلونه دون أن يمارسوه سيما الفقراء الذين يشكّلون الغالبية العظمى في العالم المتعولم حسب الفرض.

أمّا في الدين فالقضية مختلفة؛ فإن عالميّة لا تتم من دون إدخال دور الفعل البشري العام عن إرادة ورغبة، وإلا فإن ما سيحصل ليس إلا سيطرة قوة لا دين من دون أن نمارس نوعاً من الفصل غير المستساغ بين هذين الأمرين، فأن يكون الدين عالمياً هو - كما الحب - أن يعتنقه الناس ويؤمنوا به وإلا فإذا سيطر على العالم بقوة السلاح أو المال مثلاً فهذا لا يعني أنه قد أصبح عالمياً بالمفهوم القرآني والفلسفي للكلمة بل مجرد قوة مهيمنة على العالم، وهناك فرق شاسع بين الأمرين.

إذن إدخال خصوصية الفعل القلبي في الدين يحيل المسألة إلى واقع إرادي لا خارجي، وبالتالي يمنع من أي صيغة شمول دون هذا الفعل الإرادي الذي يعبر بالتالي عن قناعات الأمم والشعوب وأفراد الناس.

والأمر الظريف في هذا المجال هو النصوص الدينية التي تحكي عن العلاقة بين المخلص والناس؛ فهذه النصوص تشير بوضوح إلى إجماع عام وإرادة جمعيّة على هذا المخلص، وعلى حدّ تعبير البعض (تتميز الحكومة المهدوية بانبثاقها عن إجماع عام ويصحّ التعبير عن قائدها بأنه محبوب القلوب)، ومن جملة هذه النصوص ما جاء في كتاب منتخب الأثر «فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله إلا آمن به وصدّقه...»^(١٩)، «ويقبل الناس على العبادات والشرع والديانة والصلاة في الجماعات»^(٢٠)، «... يرضى بخلافته أهل السماوات وأهل الأرض...»^(٢١).



والمشكلة المؤسفة التي حصلت وتحصل بفعل تأثير المد الغربي هي في إعادة رسم شبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي على أسس يمكن القول بأن النصوص الدينية لا توافق عليها، وقد نفذت هذه المنظومة الجديدة إلى عمق الكيان الإسلامي فحوّلت الواقع إلى 'محتوى' غربي ذي إطار ديني، وقد كانت عملية إفراغ المضمون المعنوي والعاطفي للأداء والنشاط والفعالية الاجتماعية والإسلامية لصالح بيروقراطيات حاسمة^(٢٢).

العالمية المهدوية ومشخصاتها:

إن الإسلام دين عالمي يتضمن شعارات وأطروحات عالمية، فمن حين ظهوره كان يسعى إلى إيجاد الحياة الطيبة في كافة أنحاء العالم وإلى سائر أبناء البشر.

وبناءً على المعتقدات الإسلامية والشيوعية فإن العولمة الإسلامية والحياة الطيبة في آخر الزمان وفي عصر حكومة الإمام المهدي عليه السلام ستكون حقائق واقعية وثابتة، فتلك العولمة لا يمكن قياسها بأي فكرة أو نظرية أو عرض عالمي فعلي، لا من الناحية النظرية ولا من الناحية العلمية، ولا من حيث الشمولية والعمومية أو المقاييس الموجودة، وإن معرفة مقدماتها لا تتم إلا من خلال الأحاديث والأخبار الإسلامية، ولأجل ذلك، فإن الأصل هنا: بيان بعض خصائص الدولة المباركة للإمام المهدي عليه السلام وحكومته العالمية المفعمة بالحياة الطيبة، وليس ذكرها من باب الحصر، بل هو من باب الإحصاء والإشارة.

خصائص العالمية المهدوية:

١ - الحاكمية المطلقة للإسلام وإزالة الشرك والخرافات البشرية:

إن الاعتقاد في نظرية العولمة الغربية -التي تستند على النظرية الليبرالية الديمقراطية- بالنسبية الأخلاقية والمعنوية وإعمال أصل التساهل والتسامح



والحالة الإفراطية لكافة العقائد والأديان هي من ادعاءاتها الأصلية، وأن موضع الحكومة على أساس العلمانية؛ لا يعطي أي دور للدين والمذهب في الحياة البشرية، وفي نظر أولئك: الدفاع عن المذهب، هو بمعنى التدخل في الحريات الفردية وخذش حرية العقائد وإظهار الأفكار، وهذا يتنافى مع ما أعلنت عنه الليبرالية الديمقراطية في مقدمة برامجها للبشرية حول العلمانية أو العرفية وعبادة الدنيا، وأصالة الأمور الدنيوية.

أمّا في الحكومة المهدوية العالمية، فالإسلام فيها هو الدين المطلق، وهناك روايات كثيرة تشير إلى هذا المعنى منها.

روى محمد بن مسعود في تفسير العياشي عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: «إذا قام القائم عليه السلام لا يبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله» وقال الصادق عليه السلام بعد بيانه المفصل حول عصر الظهور للإمام المهدي عليه السلام: «إذا قام القائم عليه السلام لم يبق أهل دين حتى يظهر الإسلام ويعترفوا بالإيمان» (٢٣).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «سئل أبي -الإمام الباقر عليه السلام- عن قوله الله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فقال: لم يجر تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد، سيرى من يدركه، ما يكون من تأويل هذه الآية، ويبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على وجه الأرض كما قال الله» (٢٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ولا يبقى في الأرض خراب إلا قد عمّر، ولا يبقى في الأرض معبود من دون الله تعالى من صنم ووثن وغيره إلا وقعت فيه نار فاحترق» (٢٥).



وأجاب الإمام الصادق عليه السلام في موضع آخر على أسئلة المفضل وتطبيقه (الآية ٣٣ من سورة التوبة) على عصر الحكومة المهدوية العالمية فقال: «فوالله يا مفضل، ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدين كله واحداً، كما قال جل ذكره ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]»^(٢٦).

٢- العدالة والقسط:

الجميع يعرف بأن أهم ميزة في الحكومة المهدوية العالمية هي العدالة، وأن هناك أخباراً وأحاديث كثيرة مروية حول عصر الظهور وحاجته الهامة إلى هذه الميزة والضرورة والهوية المفقودة التي تبحث عنها البشرية، ومن بين تلك الأخبار، قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلؤها قِسْطاً وَعَدلاً كَمَا مَلَأَتْ ظُلْماً وَجوراً»^(٢٧).

إن الحكومة المهدوية العالمية ستنتشر العدالة في كافة أرجاء العالم من دون تمييز بين أفراد البشرية، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُ الْعَدْلِ وَسِعَ عَدْلُهُ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ»^(٢٨).

فالعدالة ستشمل كافة المجالات الفردية والاجتماعية البشرية.

٣- استقرار الأمن:

إن مشاهدة الأحاديث الواردة في خصوص الحكومة المهدوية العالمية يظهر منها حالة القلق وعدم الاستقرار في المرافق العامة للحياة البشرية قبل الظهور، وسيتم بعدها إقامة الأمن والاستقرار في كافة أرجاء العالم، وقد وصف الإمام علي عليه السلام في كلام له هذه الظاهرة باستقرار الأمن، وزيادة البركة في عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام فقال: «لَوْ قَدْ قَامَ قَائِمُنَا لَأَنْزَلْتَ السَّيِّئَ قَطْرَهَا، وَلَأَخْرَجْتَ



الأرض نباتها، وذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشى المرأة إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات، وعلى رأسها زيتنها، لا يهيجها سبع ولا تخاف»^(٢٩).

٤- رفع الفقر والحرمان والتحسين الاقتصادي الدائم:

لا يوجد في النهضة المهدوية العالمية: النزعات والخلافات، ولا الأزمات الاقتصادية، ولا التمييز العنصري بين أفراد البشر بسبب ما أحدثته العولمة الغربية من حالات الفقر والحرمان، ولا ترتفع الأزمات فحسب، بل إن البشرية ستصل إلى حالة النضوج والاستغناء الكامل، فلا يبقى في الأرض فقير يحتاج إلى إعانة أو صدقة؛ وهناك شواهد ونماذج عديدة على هذا الادعاء.. ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام أشرق الأرض بنور ربها واستغنى الناس عن ضوء الشمس وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى، وتظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بآله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله»^(٣٠). وشرح الإمام الصادق عليه السلام أيضاً حالة الاستغناء العامة قائلاً: «وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد ﷺ، فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، فلا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته، ولا لبره، لشمول الغنى جميع المؤمنين»^(٣١).

إن هناك أخباراً وروايات نبوية كثيرة تبين فيها حالات التطور والازدهار الاقتصادي والإنساني الدائم في النهضة المهدوية العالمية، فقال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي المهدي... يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها»^(٣٢).



٥- رقي وتكامل العلوم والفنون:

إن العالم اليوم يتحرك نحو العولمة، ومع وجود التطور والازدهار في كافة المجالات والشؤون العلمية والتكنولوجية، إلا أنها لم تقدر أن ترفع حالات المعاناة والقلق الذي تعاني منه البشرية، أو إيصالها إلى الأمن والاستقرار والمساواة والعدالة؛ وهناك الكثير من الأمور الغامضة والإبهامات التي عجزت العولمة عن إيجاد الحلول المناسبة لها من خلال مسيرة التطور والاختراعات البشرية.

ولم تستطع العولمة الغربية تقديم يد العون والمساعدة لرفع تلك المعاناة بسبب العجز وعدم القدرة، هذا في الوقت الذي تصل البشرية أوجها في الحكومة العالمية المهدوية وتحقيقها إنجازات علمية وتقنية تفوق التصورات، وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام في بلاغة كلامه إلى جوانب عديدة من ذلك التطور والرقي في المجال العلمي والتكنولوجي فقال عليه السلام: «**العلم سبعة وعشرون حرفاً فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فيثبها في الناس، وضم إليها الحرفين، حتى يثبتها سبعة وعشرين حرفاً**» (٣٣).

وتشير الروايات التي تخبر عن عصر الظهور إلى مدى التكامل والنضوج ووصولها إلى أكمل مراحلها. قال الإمام الباقر عليه السلام: «**إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت بها أحلامهم**» (٣٤).

وفي ظل الحكومة المهدوية العلمية تتوسع العلوم، والأفهام والمعارف وتنشر في البيوت وتكثر الدروس والأبحاث العلمية رجالاً ونساءً وتنتشر في أقصى نقاط العالم. قال الامام الباقر عليه السلام: «**تؤتون الحكمة في زمانه حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنة رسوله**» (٣٥).

وتشير هذه الروايات إلى هذا الواقع مضافاً إلى الوضع الراقي والعالي



لمستوى العلم والفهم البشري في عصر الظهور وهو: أن الشعوب فترة حكومته كانت قد تربّت على ثقافات وآداب دينية، وتعلّمت أحكام الشريعة واستمرت في نهجها على اعتماد تلك الثقافات والوعي حتى بلغ الأمر إلى أن المرأة وهي في بيتها تحكم بكتاب الله وسنة نبيه العادلة.

٦- اعتماد الاستدلال وكسب الرضا والقبول لإقناع الرأي العالمي:

إن العالمية المهدوية تمتلك أيضاً قابلية اعتماد الاستدلال والبراهين العقلية، وقد بين الإمام الحسن عليه السلام ذلك في حديثه عن ملامح الظهور للإمام المهدي عليه السلام فقال: «فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان، وكلب من الدهر، وجهل من الناس يؤيده الله بملائكته، ويعصم أنصاره، وينصره بآياته، ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقى كافر إلا آمن به، ولا صالح إلا صلح، ويصطلح في ملكه السباع؛ وتخرج الأرض نباتها...» (٣٦).

وتصرح هذه الرواية على أن بعض الجهال من الناس والضالّين منهم لعلّهم يخضعون ابتداءً إلى الحكومة المهدوية كرهاً ولكنهم سيخضعون له رغبة وطوعاً أخيراً بعد مشاهدتهم عدله ونورانيته وبراهينه الواضحة والشفافة، ولذا فإن نظام الحكومة المهدوية العالمية هو نظام قائم على الشرعية الكاملة، بمعنى احتوائه حالات الإقناع والقبول والأحقية والقوانين، تلك الشرعية التي لا تشبه شرعية الأنظمة السياسية القائمة المسماة (بالأنموذج الغربي) المعاصر المبني على تضليل الرأي العام العالمي، وذلك من خلال أساليبه في المراقبة وتزوير الآراء العامة، ونفوذ الإعلام والتبليغ الواسع، لكن الشرعية المهدوية تقوم على حالة الإقناع تحصيلاً للرضا القلبي للشعوب في كافة أنحاء العالم، بل كافة الوجودات العالمية.

٧- الحوار مع كافة الأديان:

يظهر من الأخبار والروايات التي تتحدث عن العالمية المهدوية بأن الإمام المهدي عليه السلام يدعو كافة الموحدين وغير الموحدين وأتباع سائر الأديان والمذاهب إلى الإسلام واعتناقه واتباع تعاليمه المنجية.

ولا يعني هذا إجبارهم على رفض دينهم واعتناق الدين الإسلامي قطعاً، بل إن محور عمل الإمام المهدي عليه السلام -وكما يظهر من اسمه- يدور حول هداية المجتمعات البشرية، ومن البديهي أيضاً أن أصل وأساس الهداية ينبغي أن يُبنى على حالات الإقناع والقبول التام، وقد أشارت بعض الروايات إلى هذا الأمر وهو: أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بمهمة الكشف عن الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها وسيحتج بالنسخ الأصلية ويستدل بها ويحاورهم ويحكم على أساسها ليهديهم إلى دين الإسلام لقبول الحكومة المهدوية العالمية، وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى هذا بقوله: «والله لكأنّي أنظر إليه وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجني في الله فأنا أولى الناس بالله، يا أيها الناس من يحاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، يا أيها الناس من يحاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، يا أيها الناس من يحاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، يا أيها الناس من يحاجني في موسى فأنا أولى الناس بموسى، يا أيها الناس من يحاجني في عيسى فأنا أولى الناس بعيسى، يا أيها الناس من يحاجني في محمد عليه السلام فأنا أولى الناس بمحمد، يا أيها الناس من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله. ثم ينتهي إلى المقام فيصلّي عنده ركعتين ثم ينشد الله حقه» (٣٧).

ويشير الإمام الباقر عليه السلام في بيان آخر إلى كيفية احتجاج الإمام المهدي عليه السلام واستدلاله على خصومه وسائر الأديان والمذاهب الأخرى فقال: «إِذَا قَامَ قَائِمٌ أَهْلِ الْبَيْتِ قَسَمَ بِالسَّوِيَةِ وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَةِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ



عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِي لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرِ خَفِيِّ، وَيُسْتَخْرَجُ التَّوْرَةَ وَسَائِرَ كُتُبِ اللَّهِ ﷻ مِنْ غَارٍ بَانْطَاكِيَّةَ، وَيَحْكُمُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَةِ بِالتَّوْرَةِ وَأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالزَّبُورِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ» (٣٨).

٨- حفظ وارتقاء الكرامة الإنسانية ورعاية حقوق البشر:

إن محور العالمية المهدوية لا تخص الكرامة الإنسانية وحقوق البشر الصديقة فحسب بل وصولها إلى أوجها وقممتها وقد صور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام احترام الكرامة البشرية في عصر الظهور، فقال: «ثم يُقبل إلى الكوفة فيكون منزله بها، فلا يترك عبداً مسلماً إلا اشتراه وأعتقه ولا غارماً إلا قضى دينه ولا مظلماً لأحد من الناس إلا ردها ولا يقتل عبداً إلا أدى ثمنه ﴿فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢] ولا يقتل قتيلاً إلا قضى عنه دينه وألحق عياله في العطاء حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً» (٣٩).

إن احترام وإجلال الكرامة الإنسانية ورعاية حقوق البشر لا تنتهي بعصر الإمام المهدي عليه السلام وحده، بل يتم من خلال بيعة أتباعه عهداً منهم لرعاية واحترام الحقوق العامة؛ وقد وصف الإمام علي عليه السلام في كلام طويل له كيفية بيعة الـ (٣١٣) من أصحاب المهدي عليه السلام وأتباعه فقال عليه السلام: «يبايعون على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يسبوا مسلماً ولا يقتلوا محرماً ولا يهتكوا حريماً محرماً ولا يهجموا منزلاً، ولا يضربوا أحداً إلا بالحق، ولا يكنزوا ذهباً ولا فضة ولا برّاً ولا شعيراً، ولا يأكلوا مال اليتيم، ولا يشهدوا بما لا يعلمون ولا يخربوا مسجداً، ولا يشربوا مسكراً، ولا يلبسوا الخرز ولا الحرير، ولا يتمنطقوا بالذهب، ولا يقطعوا طريقاً، ولا يخيفوا سيلاً، ولا يفسقوا بغيلاً ولا يحبسوا طعاماً من بُرٍّ، ولا شعيرٍ، ويرضون بالقليل، ويشتمون على الطيب، ويكرهون النجاسة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويلبسون الخشن من الثياب ويتوسدون



التَّرابِ على الخُدودِ، ويجاهدون في الله حقَّ جهاده، ويشترط على نفسه لهم: أن يمشي حيث يمشون، ويلبس كما يلبسون، ويركب كما يركبون، ويكون من حيث يريدون ويرضى بالقليل، ويملاً الأرض بعونِ الله عدلاً كما ملئت جوراً يعبد الله حقَّ عبادته»^(٤٠).

إن العالمية المهدوية في عين صلابتها وقوتها، لكنها تمتلك حالات المرونة والعطف والحنان والنقاء والصفاء والمودة وإجلال وتكريم البشرية، تلك الحكومة التي ترعى الحقوق الفردية والجماعية، فلا توظف نائماً بلا دليل، وتدافع عن حقوقه، وتعيد حالات الاستقرار والأمن والهدوء إلى وجدان البشرية وتصبح الملاذ والمأوى لها في حالات الخوف والمعاناة وغيرها.

٩- إزالة التمييز العنصري والطائفية:

لا مكان للتمييز العنصري والطائفية والتعصب في العالمية المهدوية، لأنها تقوم على ملاك التقوى والكفاءات لإصلاح الأمور المادية والمعنوية البشرية، والشاهد على ذلك هو: اختيار الـ(٣١٣) على ملاك التقوى والكفاءة والقابلية وأن النهضة المهدوية العالمية لا تعتمد في أدائها على الطائفية أو القومية الخاصة بل تعتمد في أدائها وسيرها واختيار قادتها على الملاكات الإلهية والقرآنية، وإن هذا الأمر وبقية خصائصها التي تتوفر في الحكومة المهدوية هي محل لرضا كافة الأطياف والفئات البشرية في العالم والأنظمة السياسية المتنوعة وإن البشرية ستشهد بعد تطبيق العدالة في ربوع العالم رفع الفوارق الطائفية والعنصرية وحالات الحرمان والمعاناة التي ظهرت من جرّاء السياسات الاستكبارية وازدياد العنف والاعتداءات والروح التوسّعية العدوانية من قبل الدول القوية الاستكبارية على شعوب ودول العالم المستقلة.

إن اختيار الكفاءات والقدرات في العالمية المهدوية الغرض منها استيفاء



كافة حقوق أبناء المجتمعات البشرية في العالم مما يعمّ الضعيف والقوي، ويعبر عنه في الاصطلاح المعاصر: عدم مواجهة العالم التوسعة اللاموزونة بل حالة تحديّ التوسعة الموزونة^(٤١).

١٠ - الحكومة شبه الفيدرالية:

يظهر من الأخبار والروايات أن الحكومة العالمية المهدوية ستكون شمولية وستفرض سيطرتها على العالم وسيطر الإسلام والقوانين الإسلامية على كافة المجالات العالمية، ولكن سائر الشعوب والأمم سيبقى لها قالب نظام عام يشبه الفيدرالية، فهي من خلال تبعيتها للحكومة المركزية العالمية فإنها تمتلك أيضاً الحريات حيث تتبع فيها العادات والطبائع والثقافات الوطنية التي لا تتعارض مع الإسلام، ويلحظ الإمام المهدي عليه السلام تلك الحقوق وضرورة احترامها، ونشير هنا إلى بعض الأخبار التي تتحدث عن هذه الظاهرة.. قال الإمام الباقر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا، اُضْمَحَلَّتِ الْقِطَاعُ، فَلَا قِطَاعُ»^(٤٢) وقد أكّد الإمام الصادق عليه السلام هذا المعنى بقوله: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ بَعَثَ فِي أَقْلِيمِ الْأَرْضِ فِي كُلِّ إِقْلِيمٍ رَجُلًا يَقُولُ عَهْدَكَ فِي كَفِّكَ فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مَا لَا تَفْهَمُهُ وَلَا تَعْرِفُ الْقَضَاءَ فِيهِ، فَانْظُرْ إِلَى كَفِّكَ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهَا»^(٤٣).

١١ - إحياء التعاليم والقيم الإسلامية والبناء الإسلامي الجديد:

إن إحدى الركائز في العالمية المهدوية هي رعاية اقتضاءات الزمان والمكان في كل عصر واعتماد المسيرة والحركة على أساس التحولات الجديدة للإجابة عن الأطروحات العصرية. لقد ذكر سابقاً أن الإسلام ومن خلال اعتماده على ماهيته والحالات الراقية كالاكتفاء، كان قد جعل فيه حالات الانعطاف والمرونة التي تُعدّ الجزء الذي لا ينفصل عنه أبداً، فكَذلك نظام العالمية المهدوية؛ فإنه يمتلك كل تلك الخصائص، ولم يغفل عنها، بل يتسلح بها أمام التحديات



التي ستواجه العالم في عصر الظهور وذلك من خلال إحياء التعاليم والقيم الإسلامية والبناء الإسلامي الجديد. قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم جاء بأمر جديد»^(٤٤).

يعني أن الإمام المهدي عليه السلام يقضي على الجاهلية، فالمهدي عليه السلام أيضاً سيقضي على ما كان قبله من أمور ويجدد الإسلام^(٤٥).

١٢ - التحولات السريعة في المحاور الإعلامية والارتباطية:

ستحصل تحولات هامة وأساسية لوسائل الإعلام وعالم التقنيات والارتباطات في ظل الدولة المهدوية العالمية. وبعبارة أخرى مستقاة من الأخبار والروايات: إنه يتبادر إلى الذهن مباشرة بحث الاستفادة من الوسائل الإعلامية كالإنترنت والتلفزيون، وارتباط الناس مع بعضهم البعض عبر تلك الوسائل، ويظهر من تلك الروايات أنها تحكي عن التطور السريع والوسيع في هذا المجالات، ويمكن تشبيه هذه الفترة من حيث وصف وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة وعالم الارتباطات بالفترة التي هي أقوى بكثير من فترة ظهور وسائل الإعلام الكبرى... ونشير إلى بعض الروايات:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن المؤمن في زمان القائم وهو بالشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق»^(٤٦).

وقال عليه السلام في موضع آخر يبعث على التأمل: «إن قائمنا إذا قام مد الله شيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»^(٤٧).

إن فهم الرواية الأولى ليس معقداً أو صعباً وذلك من خلال وجود التطورات في عصرنا الحاضر والتقنيات الحديثة كالتلفزيون والإنترنت ولكن الرواية الثانية تقول: إن التطور في عصر الظهور ومن خلال توسيع الارتباطات لا ينحصر في



التكنولوجيا ووسائل الارتباط فحسب، بل إن المؤمنين أنفسهم ومن خلال الوعي الفكري والنضوج وحالات التكامل البشري يمتلكون درجة عالية من الكمالات والإلهامات التي منحها الله تعالى لهم فتكون لأبصارهم ولأسماعهم القدرة الثاقبة في السمع والبصر التي هي أبعد من التصور، وأن هذه القدرة الخارقة يمكنهم الاستعانة بها في كل المجالات.

نتيجة البحث:

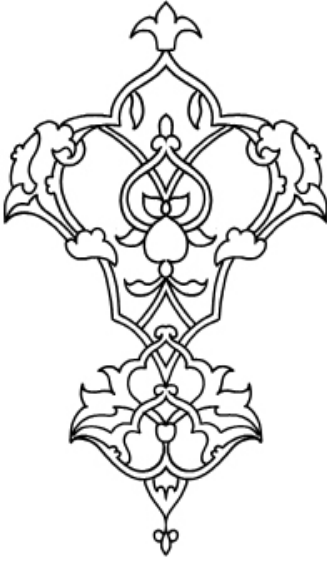
إن العولمة الغربية تحتوي في مضمونها سواء في الجانب النظري أو العلمي حالات التسلّط والاستكبار ودعوى السيادة والسيطرة والاستثمار والإمبريالية، وإن هذه العولمة ومن خلال الماهية العنفوانية والاستكبارية والانحصارية، بالجانب المادي والتصنّع غير الشمولي العالمي إنما تهدف في ذلك كله إلى سيطرة العولمة ودمجها في الأسواق العالمية المشتركة وتمييع الشعوب والأمم في ثقافتها الغربية، ثم توحيدها بقيادة عالم البرجوازية والاستثمارية وحكومة أمريكا. تلك الأسواق التي تدور حول محاور الأرباح والمنافع المادية فإن لغة الحياة الاجتماعية كالاقتصاد والسياسة والثقافة هي لغة المنافع الخاصة والاستكبار والسيطرة التامة للحضارة الغربية واستيلاء البلدان القوية على البلدان الضعيفة والثقافات الأخرى.

لكن الدولة المهدوية الإسلامية بزعامة آخر معصوم ﷺ إلهي يمكنها تكميل خاتمة الدين والرسالة الشمولية العالمية، وجعل الشعوب العالمية جسداً واحداً، من خلال اتباع التعاليم السامية الإسلامية.

الهوامش

١. شاهين، عبد الصبور، العولمة جريمة تذويب الأوصال، المعرفة، العدد ٤٨.
٢. مرداني كيوي، إسماعيل، عولمة النظريات والتوجهات، المعلومات السياسية والاقتصادية، ص ٣٢.
٣. العولمة والاقتصاد والتنمية العربية، مجلة فكر ونقد، العدد ٧.
٤. المصدر نفسه.
٥. عبد الكريم، عمرو، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد، المنار الجديد، العدد ٣.
٦. الأنصاري، محمد جابر، رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية، ص ٥٧.
٧. عبد الكريم، عمرو، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد، المنار الجديد، العدد ٣.
٨. مرداني كيوي، إسماعيل، عولمة النظريات والتوجهات، المعلومات السياسية والاقتصادية، ص ٣٢.
٩. غريب آبادي، كاظم، العولمة والتحول في المفاهيم السياسية الخارجية، المعلومات السياسية والاقتصادية، الرقم ١٩٣، ص ٢٣ - ٢٤.
١٠. الأمين، محمد حسن، مجلة المنهاج، العدد ٨، ص ٢٥٤.
١١. غارودي، روجيه، حوار الحضارات، تعريب الدكتور عادل العوّا، ص ٢٧٤.
١٢. الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، ص ١٣٧.
١٣. عثمان، عبد الله وآدم، عبد الرؤوف، العولمة دراسة تحليلية، نقلاً عن دولة المهدي وبدائل
- العولمة، مرتضى معاش، مجلة النبأ، العدد ٣٩ - ٤٠.
١٤. بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٨٣.
١٥. كفاية الأثر: ص ١٦٥.
١٦. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٩٢.
١٧. بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٣٧.
١٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٩٢.
١٩. الصافي الكليكاني، الشيخ لطف الله، منتخب الأثر، ص ٤٣٦.
٢٠. عقد الدرر: ص ١٩٥.
٢١. كشف الغمة للأربلي: ج ٣، ص ٢٨٢.
٢٢. الجنحاني، الحبيب، ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، مجلة عالم الفكر، العدد: ٢.
٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٢٢٧.
٢٤. الكافي للكليني: ج ٨، ص ٢٠١.
٢٥. الكوراني، عصر الظهور، ص ٣٥٧.
٢٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.
٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٨٤.
٢٨. المصدر نفسه.
٢٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠٤.
٣٠. المصدر نفسه، ص ٣٦٣.
٣١. المصدر نفسه، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
٣٢. المصدر نفسه، ج ٥١، ص ٧٨.

الهوامش



٣٣. المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٣٣٦.
٣٤. سعادت برور، علي، الظهور الجديد، ج ٣، ص ٤٩٥.
٣٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٣٥٢.
٣٦. شريعت خراساني، محمود، الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام من منظار القرآن والعقيدة، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
٣٧. المصدر نفسه، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.
٣٨. المصدر نفسه، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.
٣٩. المصدر نفسه.
٤٠. رحيميان، محمد حسين، اشعاعات النور من الغدير إلى الظهور، ص ١٨٣ - ١٨٤.
٤١. المجلسي، محمد باقر، المهدي الموعود، ج ٢، ص ٢٤٠ - ٢٤٢.
٤٢. سعادت برور، علي، الظهور الجديد، ج ٣، ص ٥٣٣.
٤٣. المصدر نفسه، ص ٣٠٣.
٤٤. المجلسي، محمد باقر، المهدي الموعود، ج ٢، ص ٢٤٤.
٤٥. المصدر نفسه، ص ٢٤٦.
٤٦. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٠.
٤٧. المصدر نفسه.



المصادر

القرآن الكريم ٣٩-٤٠، ١٤٢٠هـ، عن موقع الانترنت

annabaa.org

١١. العولمة والاقتصاد والتنمية العربية، مجلة فكر ونقد، العدد ٧.

١٢. غارودي، روجيه، حوار الحضارات، تعريب الدكتور عادل العوّا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.

١٣. غريب آبادي، كاظم، العولمة والتحول في المفاهيم السياسية الخارجية، المعلومات السياسية والاقتصادية، شهر مهر وآبان، الرقم ١٩٣، ١٣٨٢ ش.

١٤. الكوراني، علي، عصر الظهور، منظمة التبليغات الإسلامية، قم، ١٣٦٩.

١٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٣، دار نشر مسجد جهمكران، ١٣٢٨ ش ق، ص ٢٢٧.

١٦. المجلسي، محمد باقر، المهدي الموعود، دار الكتب الإسلامية، قم، بلا تاريخ.

١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة المصححة، ١٩٨٣ م.

١٨. مرداني كيوي، إسماعيل، عولمة النظريات والتوجيهات، المعلومات السياسية والاقتصادية، مرداد وشهرير، ١٣٨٠ ش.

١٩. منتخب الأثر، الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني، الطبعة الأولى، قم، إيران، ١٤١٩ هـ.

القرآن الكريم

١. الأمين، محمد حسن، مجلة المنهاج، العدد ٨، ١٩٩٧م، ومحاضراته في مدينة النبطية حول تجديد الفكر الإسلامي، راجع: جريدة السفير، بتاريخ ٣٠/١/٢٠٠١م.

٢. الأنصاري، محمد جابر، رؤية قرآنية للمتغيرات الدولية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

٣. الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤. الجنحاني، الحبيب، ظاهرة العولمة الواقع والآفاق، مجلة عالم الفكر، العدد: ٢، لعام ١٩٩٩م.

٥. رحيميان، محمد حسين، اشعاعات النور من الغدير إلى الظهور، دار الثقلين، قم، ١٣٧٩ ش.

٦. سعادت برور، علي، الظهور الجديد، دار إحياء الكتاب، طهران، ١٣٨٠.

٧. شاهين، عبد الصبور، العولمة جريمة تزويب الأوصال، المعرفة، العدد ٤٨.

٨. شريعت خراساني، محمود، الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام من منظار القرآن والعقيدة، المؤسسة الثقافية لأنصار.

٩. عبد الكريم، عمرو، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد، المنار الجديد، العدد ٣.

١٠. العولمة دراسة تحليلية، عبد الله عثمان وعبد الرؤوف آدم، نقلاً عن دولة المهدي وبدائل العولمة، مرتضى معاش، مجلة النبأ، العدد



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

منهج الشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة

پرویز آزادی^(۱)

ترجمة: السيد جلال الموسوي

ليس خافياً على أحد، ما للشيخ الصدوق من مقام رفيع في المصادر الروائية عند الشيعة، فالروايات التي جمعها الشيخ الصدوق عليه السلام من بين الأصول وسائر الكتب عن طريق مشايخه، كانت على مرّ القرون المتتالية في عداد المصادر الأصلية التي يعتمد عليها الشيعة الإمامية، وفي المواضيع المختلفة. ولقد كان موضوع غيبة الإمام عليه السلام، ومنذ زمان الغيبة الصغرى ولحد يومنا هذا، أحد المواضيع الحساسة، التي دار حولها الجدل والنقاش بين الإمامية وسائر الفرق الأخرى على مرّ السنين، وأثيرت حوله الشبهات والإثارات الكلامية الحادة.

والشيخ الصدوق عليه السلام، وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع في عصره ونظراً للمشكلات الناشئة من إثارة تلك الشبهات بين الإمامية، قام بتأليف كتاب مستقل في معالجة هذا الموضوع من كلّ جوانبه.

وفي هذا المقال، سنحاول بداية دراسة خصوصيات عصر الشيخ الصدوق عليه السلام وشخصيته ومقامه بين العلماء والمصادر الإمامية، ثمّ نذكر الدواعي التي دفعته إلى كتابة هذا الكتاب ومشخصاته الكلية.

ثم نتناول بعد ذلك قضية (الاهتمام بالكتابة حول الغيبة) من قبل علماء





الشيعة الإمامية، وأهمية هذا الكتاب في هذه القضية، ثم نستعرض النسخ الموجودة من هذا الكتاب، وميزان اعتبارها.

كما سنبحث في الأسلوب والمنهج الذي اتبعه الشيخ الصدوق رحمته الله في هذا الكتاب، والمصادر التي اعتمدها، وميزان الإرجاعات التي وردت في كتب الإمامية إلى هذا الكتاب.

ومن خلال نظرة علماء الإمامية إلى ميزان اعتبار هذا الكتاب عندهم وكونه معياراً وأصلاً لتأليفاتهم، يظهر لنا مدى أهمية كتاب (كمال الدين وإتمام النعمة) وموقعه الحقيقي في التراث الشيعي.

ديباجة البحث:

يعتبر القرن الرابع من الهجرة، قرن الإقبال على الأخبار وتبلور الإخبارية. ففي هذا الدور ظهرت عند علماء الدين نزعة العكوف على الروايات والأخبار، تحوّلت بمرور الزمن إلى مسلك غالب على فكر القرن الرابع. إن هذا القرن، هو أول دور من أدوار غيبة الإمام المهدي عليه السلام الكبرى، باعتباره الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة الإمامية. ومن الطبيعي أن تهتم الشيعة بجمع أحاديث الأئمة الأطهار عليهم السلام، لأن إمامهم الثاني عشر غائب، وليس هناك بديل عنه. ولذا، فليس عجباً أن تظهر تلك النزعة والإقبال على الروايات في هذا الدور.

ففي هذا الدور تهافت الناس على أبواب المحدثين لمعرفة الأحكام الفقهية، مما أسهم في سطوع نجوم في سماء الفكر الشيعي، من المحدثين الكبار كالكليني وابن بابويه، وغيرهما من الوجوه اللامعة.

ومن جملة خصائص هذا الدور، استجماع الروايات التي كانت مهمة ومتروكة، وصبّها في قالب كتب فقهية أضحت مرجعيات روائية وأخبارية. وصارت مدينة بغداد في العراق ومدينة (ري) في إيران من أهم المراكز



العلمية الشيعية. فهاتان المدينتان كانتا تحت سلطة حكومة (آل بويه)، وإن كان للمعتزلة حضور فعال في بغداد^(٢).

وفي الوقت نفسه، نشأت مراكز علمية متعدّدة في قم، خراسان، نيشابور، أصفهان، وهمدان، كحوزات لطلب العلم، فكان علماء الدين يحظون باحترام كبير من قبل عامّة الناس، فكان لهم موقع محترم قويّ في القلوب.

كما كان للشيعّة حضور فعال في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، ما عدا إيران التي كانت في وقتها مهداً للتشيع، فكانت الظروف مناسبة وملائمة لتسهيل أسفار الشيخ الصدوق عليه السلام إلى البلاد الإسلامية، والاستفادة من محضر الأساتذة، والمحدّثين، ونقل الأحاديث ونشرها في تلك البلدان، في الوقت ذاته، هذا أولاً.

وثانياً كانت تلك الظروف المساعدة، قد مكّنت الشيخ الصدوق عليه السلام من الالتقاء بمخالف المذهب، ومناظرتهم، ونشر كتبه ومقالاته في الدفاع عن التشيع وردّ عقائد المخالفين الباطلة^(٣).

وقبل بيان الأوضاع التاريخية في ذلك الدور، وبيان علّة ضرورة ضبط وحفظ الآثار والتراث في هذا المجال، لابدّ بداية من التعرّف باختصار على شخصية الشيخ ابن بابويه عليه السلام.

١ - شخصية ابن بابويه:

هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت ٣٨١هـ)، المكنّى بأبي جعفر والمعروف بـ(ابن بابويه) و(الصدوق).

قال النجاشي عليه السلام: (أبو جعفر نزيل الري شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان وكان ورد بغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن)^(٤).



وقال العلامة الحلي رحمته الله: (كان جليلاً حافظاً الأحاديث بصيراً بالرجال ناقداً للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه).
وقد أسهب المترجمون وأرباب الفهارس وأهل الإجازات في مدحه والثناء عليه وعلى مؤلفاته القيمة، كالشيخ الطوسي في (الرجال والفهرست)، العلامة الحلي في (الخلاصة)، الحسن بن داود في (الرجال)، ابن إدريس في (السرائر)، الشيخ حسين والد الشيخ البهائي في (الدراية)، السيد شفيع الجابلق في (الروضة البهية)، فخر المحققين في إجازته للشيخ شمس الدين محمد بن الصدوق، المحقق الكركي في إجازته، الشهيد الثاني في إجازته للحسين بن عبد الصمد الحارثي، المولى حسن علي بن المولى عبد الله الشوشتری في إجازته للشيخ محمد تقي المجلسي، المولى أبي القاسم الجرفادقاني في إجازته للمولى مهر علي الجرفادقاني، الوحيد البهبهاني في تعليقه على (منهج المقال)، المجلسي نقلاً عن ابن طاووس، الشيخ البهائي في (خاتمة الوجيزة)، المجلسي في (الوجيزة) و(بحار الأنوار)، الشيخ أبي علي الحائري في (منتهى المقال)، المولى علي كني في (توضيح المقال)، السيد مصطفى التفرشي في (نقد الرجال)، الميرزا أبي القاسم النراقي في (شعب المقال)، الشيخ أسد الله الشوشتری في (المقابس)، الخوانساري في (الروضات)، والسيد محمد مهدي بحر العلوم في (الفوائد). فكل هؤلاء الأعلام قد عظموا الشيخ الصدوق وأجلّوه وأثنوا على صدقه، حفظه، صفاته وسائر ملكاته^(٥).

وما لقب (الصدوق) إلاّ بأبلغ كلمة يمكن أن تقال في أمانة هذا العلم الجليل في الرواية. وأوّل من أطلق هذا اللقب على الشيخ بن بابويه هو العلامة ابن إدريس، ولكن هذا اللقب لم يشتهر به الصدوق بعد ابن إدريس إلاّ في زمان الشهيد الأوّل. وبعض علماء الرجال المتأخّرين يعتبرون مراسيل الصدوق



بحكم المسانيد. وابن بابويه عليه السلام يعتبر بنفسه من أرباب الجرح والتعديل. وهو دقيقٌ جداً في ضبط الأسناد، والاصطلاحات المرتبطة بنحو تحمّل الحديث، وهو واضح في آثاره.

هذا وإنَّ أغلب الآثار الروائية لابن بابويه، هي مزيج من أحاديث الشيعة مع مختارات من أحاديث أهل السُنَّة. فابن بابويه، باعتباره محدثاً، لم يقيم فقط بنقل الميراث العظيم إلى الأجيال اللاحقة، وتفرّد بنقل قسم كبير من الأحاديث الموجودة في الكتب الروائية الشيعية بعد القرن الخامس، مثل كتب الخزاز، المفيد، الطوسي، ابن رستم الطبري وآخرين، وإنَّما كان له دور بارز في نقل آثار الماضين بنحو جعل المحدث النوري عليه السلام يعتبره أحد الاثني عشر شخصاً الذين تنتهي الإجازات إليهم.

هذا وإنَّ الشيخ الصدوق لا يعتبر ناقلاً في علم الحديث وحسب، بل هو ناقدٌ كما صرّح بذلك الشيخ الطوسي عليه السلام، حيث اعتبره من نقّاد الأحاديث والمطلّعين على أحوال الرجال.

وكتابه (معاني الأخبار) دليلٌ قاطعٌ على تبخّره في فقه الحديث وغريبه^(٦). لم يدرك الشيخ الصدوق أباه إلا في السنوات العشر الأخيرة من عمر أبيه، وهو في كتبه يعتبره أحد مشايخه.

حضر الشيخ الصدوق، بعد وفاة والده، عند ابن الوليد، وتلمذ على يديه لخمس عشرة سنة، وكان من كبار رجال الشيعة، وقد اشتهر بأنّه نقّاد ماهر^(٧). لقد كان الشيخ الصدوق عليه السلام، مقلّداً لأستاذه ابن الوليد القمّي في أمور علم الرجال ومتى ما أراد أن ينقد أحد الرجال، كان يذكر نظر أستاذه ابن الوليد في ذلك^(٨).

وعلى الرغم من أنَّ الشيخ الصدوق كان يكنّ احتراماً وافراً وتجليلاً كبيراً



لأبيه وشيخه، إلا أنه كان في بعض الموارد يقدم ويرجح آراء أستاذه ابن الوليد القمي على آراء أبيه، ولكن لا بد من الانتباه إلى هذه النكته، وهي أن الشيخ الصدوق رحمته الله، قد عدل عملياً عن بعض آراء أستاذه ابن الوليد القمي بعد وفاته وخاصة في فترة رئاسته للحوزة العلمية الشيعية^(٩).

وينبغي اعتبار (ابن بابويه)، من الناحية الفكرية، من مدرسة قم الإخبارية المتقدمة، وإنه آخر منظري هذه المدرسة، فإن آثاره ومصنفاته تعد من أهم مصادر تراث الإخباريين.

والإطار العام لهذه المدرسة، والذي يمكن مشاهدته في تأليفات ابن بابويه، هو الاعتماد الكلي على الأخبار والأحاديث في تعريف المفاهيم وإثبات القضايا الكلامية. وفي الحقيقة، إن كلام ابن بابويه هو صياغة أخرى لمتون الأحاديث والروايات التي يمكن بتصرف بسيط فيها أن تصاغ صياغة كلامية وتدوّن تدوين الكتب والمقالات، فإن الكلام الأخباري لابن بابويه في الكليات ينسجم مع كلام سائر المدارس الإمامية^(١٠).

٢- دواعي تأليف الكتاب:

لقد سعى ابن بابويه في مجال تبين العقيدة المهدوية - وضمن تأليفه لعدة آثار مهمة، وخاصة كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، الذي يعتبر أهم آثاره المهدوية - أن يرّد فيها على إيرادات وشبهات المعتزلة والزيدية وسائر المخالفين، وكان سعيه بالغاً في نقض آراء القائلين بالفترة (انقطاع سلسلة الإمامة) ورفع شك المتحيرين^(١١).

لقد أشار ابن بابويه في سائر آثاره ومؤلفاته إلى هذا الكتاب - كمال الدين وتمام النعمة - وإلى دواعي تأليفه.

وكمثال على ذلك، ما قاله في كتابه (الخصال) حيث يصرّح بأنه كتب كتاباً في إثبات الغيبة وإزالة الحيرة عن الناس^(١٢)، أو ما قاله في كتابه (من لا يحضره



الفقيه) حيث أشار بآئه جمع الأخبار والأحاديث المسندة الواردة في موضوع الغيبة في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة)، لإثبات الغيبة وكشف الحيرة، وإنه لا يعيد نقل ذلك في هذا الكتاب لأنه كتاب كتبه في الفقه^(١٣).

مضافاً إلى هذه الإشارات فإن الشيخ الصدوق رحمته الله قد ذكر مفصلاً في مقدمة كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) غايته من تأليف هذا الكتاب، وأشار إلى ثلاثة أسباب دعت به إلى ذلك بالالتفات إليها يمكن القول بأن وجود الحيرة بين الشيعة، والشبهات التي كان المخالفون يطرحونها، هي العلة الأساسية لتأليف هذا الكتاب، وبالرؤيا التي رآها عقد عزمه الجاد على تأليفه. وكما هو واضح في مقدمة كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) فإن ابن بابويه قد كتب هذا الكتاب بعد إتمام أسفاره ورجوعه إلى نيشابور فشرع في كتابته، ويبدو أنه قد كتب بعضه - على أقل التقادير - في هذه المدينة بالذات^(١٤).

٣- خصائص الكتاب:

ذكرت عدة أسماء لهذا الكتاب في المصادر التاريخية، من قبيل: (إكمال الدين وإتمام النعمة)^(١٥)، و(إتمام النعمة في الغيبة)^(١٦)، و(إكمال الدين)^(١٧).

وعلى أي حال، فإن اسم الكتاب مقتبس من الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، ولأن كمال الدين هو في ولاية وإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن كمال الإمامة قد تحقق في وجود الوصي الثاني عشر للنبي الأكرم محمد عليه السلام، أي الإمام المهدي عليه السلام.

لذلك أطلق اسم (كمال الدين وتمام النعمة) على هذا الكتاب.

هذا وإن بعض المحدثين قد ذكروا أن الاسم هو: (إكمال الدين وإتمام النعمة)، ومن ثم يظهر الارتباط التام بين الكتاب وبين الآية الشريفة بشكل واضح، ولكن، حيث إن الشيخ الصدوق رحمته الله لم يكن بصدد إكمال الدين وإتمام



النعمة، وإنّما كان قاصداً الإخبار عن كمال الدين وتمام النعمة، وكذلك استناداً إلى النسخ الخطية وما جاء في كلّ طبعات هذا الكتاب من تسميته بسم (كمال الدين وتمام النعمة)، فإنّ هذا الاسم هو المرجّح على الأسماء الأخرى^(١٨). وكتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، واستناداً إلى النسخ الخطية الموجودة منه، مكتوب على جزئين، وله مقدّمة نوعاً ما و(٥٨) باباً. ويضمّ هذا الكتاب (٦٢١) رواية، والروايات مروية عن طريق (٨٨) راوٍ، ولكن أكثرها مروية عن طريق (١٢) راوٍ، وهم:

١. أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني.
٢. أحمد بن حسن القطان.
٣. أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني.
٤. أحمد بن محمد بن يحيى العطار.
٥. حسين بن أحمد بن إدريس.
٦. عبد الواحد محمد بن عبدوس العطار النيسابوري.
٧. علي بن أحمد بن محمد بن عمران دقاق.
٨. علي بن بابويه.
٩. محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد.
١٠. محمد بن علي ماجيلويه.
١١. محمد بن موسى بن المتوكل.
١٢. مظفر بن جعفر بن مظفر العلوي العمري السمرقندي.
١٣. ستّة وسبعون راوٍ آخر.

وهؤلاء الأشخاص، هم من يروي عن كلّ واحدٍ منهم أكثر من (١٠) روايات، وهو ما مجموعه (٤٤٥) رواية، أي ما يقارب (٧٣٪) من كل روايات كتاب (كمال الدين وتمام النعمة).



وخمسة رواة من بين هؤلاء الاثني عشر، كان لهم الدور الأهم جدًّا في الروايات، فإنَّ (٥٥٪) من الروايات المذكورة في الكتاب قد نقلت عن طريق هؤلاء الخمسة، وهم: علي بن بابويه، محمد بن الوليد القمّي، المظفر العلوي العمري السمرقندي، محمد بن المتوكل وأبو العباس بن إسحاق الطالقاني.

٤- ميزان اعتبار روايات الكتاب:

وهنا لابدّ من معرفة مقام هؤلاء الرواة الخمسة، الذين اختصوا بنقل أكثر روايات الكتاب، بين علماء الإمامية، ليتّضح لنا مدى اعتبارية روايات كتاب (كمال الدين وتمام النعمة).

٤-١: علي بن بابويه

قال النجاشي رحمته الله في شأن (علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي):

(أبو الحسن شيخ القميين في عصره ومتقدمهم وفقههم وثقتهم. كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله وسأله مسائل ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود يسأله أن يوصل له رقعة إلى صاحب عليه السلام ويسأله فيها الولد. فكتب إليه: «قد دعونا الله لك بذلك وسترزق ولدين ذكرين خيرين». فولد له أبو جعفر وأبو عبد الله من أم ولد. وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام ويفتخر بذلك. له تأليفات عديدة) (١٩).

٤-٢: محمد بن الوليد القمّي

محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، شيخ القميين، فقيههم المعتمد، وقيل إنّه كان ساكنًا في قم، وأصله منها، مطلع بأحوال الرجال يعتمد عليه الآخرون في هذا المجال (٢٠).

والأول من هذين العلمين أبو الشيخ الصدوق رحمته الله والثاني منها أستاذه، وهما أكثر من نقل عنهما الشيخ الصدوق، بل يمكن القول بأنّ عمدة



روايات الكتاب هي الروايات التي نقلها الصدوق عنهما، فالهيكل الأساسي للكتاب متشكل من روايتهما، إذ أنَّ (٢٣٧) رواية من مجموع (٦٢١) رواية، قد نقلها الصدوق عن هذين العلمين، وهي تشكل (٣٨٪) من مجموع الأحاديث المذكورة في الكتاب.

٤-٣: المظفر العمري السمرقندي

العلوي العمري من مشايخ الصدوق عليه السلام، ترصّى عليه، يقع: في طريقه إلى محمد بن موسى العياشي.

وذكره في العيون: مع توصيفه بالسمرقندي الجزء ١، الباب ٤.

وفي كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، يذكره الشيخ الصدوق بلقب (العلوي)، القمري والسمرقندي، وهذا ما نلاحظه في الروايات التي ينقلها عنه.

٤-٤: محمد بن المتوكل

قال عنه الشيخ الطوسي عليه السلام: محمد بن موسى بن المتوكل، يروي عن عبد الله بن جعفر الحميري، وروى عنه الشيخ الصدوق ولم يشر إلى توثيقه ^(٢١). ولكن، ورد في كتاب رجال ابن داود بأنّه ثقة ^(٢٢)، وفي كتاب خلاصة الرجال للحلي، تكرر هذا التوثيق ^(٢٣).

٤-٥: أبو العباس بن إسحاق الطالقاني

هو أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، من مشايخ الصدوق، وقد نقل عنه الصدوق كثيراً في كتبه، وكنّاه في كثير من الموارد بـ(أبي العباس)، كما وصفه بوصف (المؤدّب). وقد استنتج السيد الخوئي، من كثرة الروايات المنقولة عنه في كتاب كمال الدين، بأنّه شيعي، ولكن لا يوجد ما يدلّ على توثيقه، ونقل الصدوق عنه لا يدلّ على وثاقته.

ومن خلال هذا التحقيق في مقام هؤلاء الرواة الخمسة، يمكن القول بأنّ



أكثر روايات (كمال الدين وتمام النعمة)، يمكن الاعتماد عليها، وأنها منقولة عن أشخاص معتمدين عند الشيخ الصدوق عليه السلام، وإن كان الاطمئنان القطعي لا يحصل إلا بدراسة سند كل رواية على حدة.

٥: الكتابة في الغيبة عند الشيعة:

ذكرنا سابقاً بأن القرنين الثالث والرابع للهجرة، كانا من القرون التي شهدت طعوناً كثيرة وجّهت للشيعة من قبل خصومهم ومخالفهم، مما اضطرّ علماء الشيعة للانبراء للدفاع عن المذهب والردّ على تلك الطعون والشبهات المثارة ضدهم.

وفي هذا الخضم، كانت الإجابات عن الشبهات المثارة حول الإمام الغائب عليه السلام، وقضية الغيبة وحيثياتها وما يرتبط بها، من جملة المواضيع الأصلية في تلك البرهة، ولذا، يمكننا العثور على كتب متعدّدة في هذا المضمار.

ومن جملة الكتب المهمّة في هذا المجال، كتب ثلاثة كانت متميزة بخصوصياتها، وهي: كتاب (الغيبة) للنعماني عليه السلام (ت ٣٤٢ هـ)، كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق عليه السلام (ت ٣٨١ هـ)، وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي عليه السلام (ت ٤٦٠ هـ). وبملاحظة مواضيع وأبواب هذه الكتب الثلاثة ومقارنتها بعضها مع البعض تتضح لنا صورة الشبهات والموضوعات المثارة في كلّ دور من هذه الأدوار، فهذا الأمر مشهود في هذه الكتب بشكل واضح. يبدو لنا، واستناداً إلى المواضيع التي سجّلها النعماني في كتابه، أنّ هذا الكتاب قد صنّف في فترة كان أكثر الناس فيها يعتقدون بالإمام صاحب الأمر عليه السلام، ولكنهم كانوا بحاجة إلى معلومات أكثر في هذا المجال، كزمان الظهور وكوظائفهم في زمن الغيبة تجاه الإمام عليه السلام، ولذا فإنّ النعماني عليه السلام قد سدّ هذا النقص بكتابته لهذا الكتاب.



والكتاب، كما هو واضح، كتاب روائي ولم يصف النعماني شيئاً من عنده، فكان الكتاب بسبك كتب الأخباريين في زمن النعماني.

وبعد مدة من الزمن، ازداد عدد المنكرين لإمام العصر عليه السلام، من أتباع الفرق المختلفة، وظهرت الحاجة إلى إثبات قضية الإمام عن طريق المباحث الكلامية والروائية الواردة بطرق الشيعة والعمامة، فألفت الكتب في هذا المجال. ولذا فإن ابن بابويه القمي، كتب كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، ليكون حجة على الشيعة المترددين في خصوص قضية الإمام عليه السلام، وكذا للمنكرين من العمامة. الصدوق في هذا الكتاب قد اعتمد على نقل الروايات كأصل في تأليفه، ثم هو يستفيد من بعض المباحث الكلامية أيضاً للتأييد.

وفي زمان الشيخ الطوسي، حيث شاع طرح البحوث الكلامية، نجد أن الشيخ الطوسي قد كتب كتابه بسبك المباحث الكلامية كأصل في الكتابة، ثم استفاد من الروايات أيضاً، ولكنه لم يراع في بعض الموارد، القواعد المتبعة في إثبات الروايات، فذكرها بدون أسانيد.

والمواضيع المطروحة للبحث في الكتب الثلاثة تمتاز بقيمتها العالية في علم الكلام والحديث، ولكن، وللأسف فإن هذه الكتب تفتقد الانسجام والنظم، والأفضل إعادة تحقيقها وتنقيحها من جديد لتسهيل الاستفادة منها. فالعشور على موضوع ما في هذه الكتب الثلاثة صعبٌ ويتطلب وقتاً، وأغلب الفهارس التي كتبت لهذه الكتب هي فهارس ناقصة وغير كافية.

٦- أهمية كتاب كمال الدين:

يذهب المرحوم الغفاري في المقدمة التي كتبها لنسخته المصححة من كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) إلى أن هذا الكتاب فريدٌ في موضوعه ولا نظير له. ولم يأت لحد الآن أحدٌ بمثله في موضوع (الغيبة).

فابن بابويه عليه السلام، قد بحث بحثاً تحليلياً في شخصية إمام العصر



والزمان عليه السلام وفي موضوع الغيبة والمسائل المتعلقة بها، وأجاب عن شبهات المنكرين والمخالفين بنحو لا يقبل النقاش^(٢٤).

ومن جملة وجوه أهمية هذا الكتاب، نقله للتوقيعات الصادرة عن إمام العصر عليه السلام^(٢٥). فهذه التوقيعات وردت في مواضيع مختلفة كالنهي عن تسميته عليه السلام، تفسير بعض آيات القرآن الكريم، تكذيب الوقّاتين، منكري إمام العصر عليه السلام، الجرح والتعديل لبعض الأصحاب، الخمس، علّة الغيبة، الجواب عن بعض الأمور وأسئلة الشيعة، الدعاء للشيعة و... إلخ.

والأهمية الأخرى لكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) تكمن في نقله لأخبار المعمرين، وهو ما قلّ أن نجده في الكتب الروائية. وأغلبها قصص لطيفة عن الأشخاص الذين عمّروا أعماراً طويلة، ذكرت في الكتاب لتأييد طول عمر صاحب الزمان عليه السلام، وهي تشكل مساحة غير قليلة من الكتاب (حوالي ١٥٪ من الكتاب).

والجواب عن شبهات المختلفة حول إمام العصر والزمان عليه السلام، وخاصّة الشبهات المرتبطة بإمامته أو بطول عمره الشريف، وبالصبغة الروائية، هو من وجوه أهمية هذا الكتاب الأخرى كما أنّ اشتغال الكتاب على بعض المعلومات الخفية حول العلاقات الموجودة بين الشيعة في عصر الغيبة، قد زاد في أهمية هذا الكتاب^(٢٦).

والشيخ الصدوق، ومن أجل اطلاعه على هذه الأمور من أيّيه الذي ربطته علاقات بالسفراء الخاصّين كمحمد بن عثمان العمري والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السّمري (رحمهم الله)، استطاع أن يدرج بعض تلك المعلومات في كتابه^(٢٧).

٧- تأريخ النسخة الخطية للكتاب:

تعود أقدم نسخة من كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) إلى القرن التاسع



الهجري. وهذه النسخة موجودة في مركز إحياء الميراث الإسلامي في مدينة قم المقدّسة، برقم (٢٩٣٦)، وهي مكتوبة في الخامس من شهر رمضان سنة (٨٩١هـ)، وكل النسخ الأخرى مكتوبة في عصر الدولة الصفوية، وبعد كتابة النسخة المذكورة^(٢٨).

وجاء في فهرست النسخة الخطية، المُعدّة من قبل مكتبة المرحوم الكلبيكاني: كتاب كمال الدين وتمام النعمة - إكمال الدين - للشيخ الصدوق، المتوفي سنة (٣٨١هـ)، والورقة الأخيرة من الكتاب ساقطة^(٢٩).

وجاء في موضع آخر من نفس هذه المجموعة أنّ نسختين خطيتين قد نسختا عن تلك النسخة، ولكن لم يذكر في تلك المجموعة توضيح أكثر بشأن ذلك^(٣٠). هذا وإنّ هناك نسخة قيمة مصحّحة أخرى عن هذا الكتاب، كتبت بجوهر أحمر، وعليها الكثير من الحواشي الرجالية. وتاريخ الجزء الأوّل من هذه النسخة هو ليلة الخميس الثاني عشر من شهر رمضان المبارك سنة (١٠٧٩هـ) والجزء الثاني تمت كتابته يوم الأحد التاسع من شهر رجب سنة (١٠٨١هـ). وكاتب هاتين النسختين هو أبو طالب محمد بن هاشم بن عبد الله الحسيني الفتّال^(٣١)،^(٣٢).

وهناك نسخة قديمة قيمة أخرى لهذا الكتاب، لم يذكر تاريخ نسخها، وهي موجودة في مخزن مكتبة الشيخ عبد الرحيم الربّاني الشيرازي.

وفي (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى)^(٣٣)، وفي مدخل ابن بابويه (الشيخ الصدوق) والتي كتبها (آلفريد آل فيزه)^(٣٤)، وفي ذكر آثار الشيخ الصدوق، جاء اسم هذا الكتاب بعنوان (إكمال الدين)، والذي صحّحه (مولر هايدلبرك)^(٣٥)،^(٣٦).

ولابد في معرفة تأريخ النسخ الخطية لهذا الكتاب، أن نلفت النظر بأنّ هناك كتاباً آخر لابن بابويه بعنوان (الغيبة)، والذي يطلق عليه غالباً اسم (كمال الدين)^(٣٧).



٨- منهج الشيخ الصدوق رحمته الله:

ومع إنَّ أكثر كتب الشيخ الصدوق رحمته الله، كتب روائية، وليس فيها مطالب من نفس الصدوق رحمته الله، ولكنّه في مقدّمة (كمال الدين)، والتي تشكّل ما يقارب (١٢٪) من حجم الكتاب، اكتفى بنقل (٣٦) رواية مسندة، ورواية واحدة مرسلة عن (١٢) راوٍ، وأمّا باقي المقدّمة فهي مطالب كلامية، إمّا أن تكون من أفكاره الخاصّة، وإمّا إنّه أخذها من كتب متكلّمي الشيعة، وهو ما سيأتي ذكره في (مصادر كتاب كمال الدين).

ففي بعض المواضع، يقول في نقله للرواية: (حدّثنا فلان...)، وفي شروعه بذكر سند الرواية التالية يقول: (قال...)، ثم يأتي ببقية السند. وأحياناً ينقل عدّة روايات بهذا المنوال^(٣٨).

وأكثر روايات الكتاب جاءت بصورة (حدّثنا)، وبعضها بصورة (أخبرنا). والنقطة الأخرى فيما يخصّ منهج الشيخ الصدوق في كتابه، هو إنّه يطرح رأيه في بعض الأحيان بالجرح والتعديل لبعض رجال رواياته، وكمثال على ذلك، في نقده للرواية التي لا تنسجم مع اعتقادات الإمامية، يقوم بجرح أحد روايتها وهو (أحمد بن هلال). ويقول فيه إنّه كان مجروح عند مشايخنا^(٣٩). أو كما يقول في مورد آخر: وهذه الرواية صحيحة عندي لروايتها عن طريق فلان^(٤٠)،^(٤١).

وينقل ابن بابويه عن أحمد بن الحسن القطّان حكايات عديدة عن المعمرين، قد تشكّل (١٠٪) من حجم الكتاب، ثم يقول الشيخ ابن بابويه في ختام نقله لهذه الحكايات، بأنّ حكايات المعمرين لا توجب الاعتقاد بالغيبة بعد ثبوت أمر الغيبة بالروايات والأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام. ولكنّي أرى بأنّ الغيبة قد



اتَّفَق وقوعها لكثير من الأنبياء ﷺ أو الملوك الصالحين أيضاً، ومع ذلك لم نجد أحداً من المخالفين قد شكك في ذلك أو أنكره، والحال إنَّ روايات كثيرة وصحيحة وردت عن النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ في أمر الغيبة، فلم يعتبرها المخالفون، ولذا فإنَّنا نقلنا هنا بعض أخبار المعمرين ومثل هذه الروايات لترغيب أهل الوفاق والخلاف بمطالعة هذا الكتاب، وليقرأوا سائر الروايات^(٤٢).

٩- مصادر ابن بابويه في (كمال الدين):

أحد أهمّ المصادر التي اعتمدها ابن بابويه في المباحث الكلامية في كتاب (كمال الدين) -والتي جاء أكثرها في مقدمة الكتاب- كان قد أخذها من كتب (ابن قبة الرازي)^(٤٣).

وللتعرف أكثر على شخصية (ابن قبة)، قال النجاشي رحمته الله: (أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي عظيم القدر، حسن العقيدة قوي في الكلام كان قديماً من المعتزلة وتبصر وانتقل، له كتب في الكلام وقد سمع الحديث وأخذ عنه ابن بطه...).

ومن خلال المناظرات والمجادلات التي كان يخوضها ابن قبة الرازي مع كبار متكلمي عصره، يتّضح لنا بأنّه كان متميزاً وبارعاً في علم الكلام في زمانه. وفي عصر (ابن قبة) كان أهمّ مبحث يتناوله متكلّمو الإمامية، هو مبحث الردّ على الشبهات التي كان متكلمو الفرق الإسلامية الأخرى يثيرونها ضد نظرية الإمامية عند الشيعة الاثني عشرية.

هذا وإنَّ قسماً من كتابات (ابن قبة) التي ذكرت في كتاب (كمال الدين) وتمام النعمة) لابن بابويه، تكشف عن مناظراته مع اثنين من المتكلمين وهم (أبو الحسين علي بن أحمد بن بشار)^(٤٤) و(أبو زيد العلوي)^(٤٥) اللذان



كانا يُشكِّلان على اعتقادات الإمامية في خصوص مسألة غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

فلقد كتب (أبو زيد العلوي) كتاباً في الردّ على مذهب الإمامية والانتصار لمذهبه، باسم (الإشهاد)، فردّ ابن قُبة عليه برسالة اسمها (نقض كتاب الإشهاد)، والتي ينقل عنها ابن بابويه في كتابه (كمال الدين). فابن قُبة في هذه الرسالة ينقل إشكالات أبي زيد العلوي واحداً واحداً ويردّ عليه وينقضه ^(٤٦).

ولقد اعتمد ابن بابويه القمي في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) على مصادر متعدّدة غير كتب ابن قُبة وهي:

- (سيرة ابن إسحاق برواية يونس) ^(٤٧).

- المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة ^(٤٨) تأليف أبان بن عثمان الأحمر البجلي (ت ١٧٠ هـ).

- (التبيين في الإمامة) ^(٤٩) تأليف أبي سهل إسماعيل بن علي بن إسحاق النوبختي (ت ٣١١ هـ).

- (كتاب سليم بن قيس الهلالي) ^(٥٠) وهو أحد المتون الخالدة في أدبيات الشيعة ضد أهل السنة، والباقية منذ أواخر العهد الأموي.

- (المعمرون والوصايا) ^(٥١)، تأليف (أبو حاتم السجستاني) (ت ٢٥٠ هـ)، وهو من المتون الحديثة لأهل السنة.

- (كتاب الضياء في الردّ على المحمّدية والجعفرية) ^(٥٢)، تأليف سعد بن عبد الله الأشعري (ت ٢٩٩ أو ٣٠١ هـ)، وهو من أهمّ شيوخ الحديث في قم في عصر الغيبة الصغرى، ويبدو أنّ هذا الكتاب كان موجوداً بين الأيدي إلى القرن السادس.

- كما نقل ابن بابويه بعض الأقوال من آثار محمد بن بحر الرهني الشيباني



وهو من علماء الإمامية في عصر الغيبة، ولا ندري بالضبط من أي كتاب من كتبه ينقل الشيخ الصدوق^(٥٣).

- (الأمثال) لأبي عبيدة القاسم بن سلام الهروي^(٥٤).

واستناداً إلى المصادر المذكورة، يمكن القول بأن ما يقارب (١٥٪) من حجم كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) مستفاد من المصادر والكتب، وأمّا باقي ما في الكتاب فهو ما أخذ الشيخ الصدوق مشافهة من مشايخه. ولا بدّ أيضاً من بيان هذه النقطة، وهي أنّ الروايات التي أوردها الشيخ الصدوق في المواضع الكلامية وذكر أخبار المعمرين قد استلّها من المصادر المكتوبة، وأمّا ما بقي من روايات المواضيع الأخرى فإنّه قد أخذها مشافهة من مشايخه.

ترجمة الكتاب:

لقد تُرجم هذا الكتاب -كمال الدين وتمام النعمة- عدّة مرّات إلى اللغة الفارسية، وأهمّ تلك الترجمات وأوثقها هي مصححة علي أكبر الغفاري، محمد باقر الكمره اي، ترجمة السيد علي بن محمد بن أسد الله الإمامي الحسيني الأصفهاني -المعاصر لصاحب الرياض- وترجمة منصور بهلوان والتي اعتمدت على النسخة التي صحّحها المرحوم علي أكبر الغفاري^(٥٥).

١٠ - اعتبار الكتاب عند علماء الإمامية:

لقد كان كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق، وعلى مرّ القرون اللاحقة لحياته، واحداً من المصادر الأساسية لروايات الغيبة والجواب وردّ الشبهات المطروحة حولها، فلقد نقلت الكتب الكثيرة عن هذا الكتاب الأحاديث والروايات، وسنشير إلى بعضها هنا. وينبغي التنويه أولاً بأنّ المحققين وفي تصحيحهم لكثير من الكتب الفقهية، الحديثية، التاريخية،



الرجالية، الأصولية، التفسيرية و... قد وصلوا إلى هذه النتيجة، وهي أنّ هذه الكتب قد استفادت وأخذت من كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) وإن لم يسيروا إلى ذلك، وهو يكشف عن مدى أهمية هذا الكتاب ومدى اعتباره عند علماء الإمامية.

وفي هذا القسم، سنشير فقط إلى الكتب التي اعترف مؤلفوها صراحة باعتمادهم وأخذهم من كتاب (كمال الدين وتمام النعمة)، وهي:

١. إعلام الوري بأعلام الهدى (الطبرسي، ١٤١٧ هـ، ج ١، ص ٥٩-٥٣٨؛ ج ٢، ص ١٩٨-٢٢٦).

٢. بحار الأنوار (المجلسي، ١٤٠٣ هـ، ج ٥٨، ص ١٧٦؛ ج ٨٣، ص ٢٠٢).

٣. تفسير كنز الدقائق (المشهدى القمي، ١٤٠٧ هـ، ج ١، ص ٦٥ و ٢٢٥ و ٣٧٠ و ٣٧٩ و ٤٥٨ و ٥٩٦ و ٦١٤ و ٦٢٣؛ ج ٢، ص ٢٧ و ٢٨ و ٤٠ و ٦٤ و ٧٨ و ٩١ و ١٠٤ و ١٨٧ و ٢٤٠ و ٢٤٥ و ٤٨٤ و ٤٩٢ و ٤٩٩ و ٥١٥ و ٥٥٠ و ٦٧٤ و ٦٧٧ و ٦٨٥ و ٦٩٧).

٤. تفسير نور الثقلين (الحويزي، ١٤١٢ ق، ج ١، ص ٢٤ وما بعدها...).

٥. تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال (الأبطحي، ١٤١٢ هـ، ج ١، ص ٢٦٦ و ٢٦٨ و ٢٧٧ و ٣٥٦ و ٣٦٦؛ ج ٤، ص ٣٨٠ و ٤٣٢ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٥؛ ج ٥، ص ٢٠١ و ٢٠٩ و ٤١٦).

٦. جامع المدارك (الخوانساري، ١٣٥٥ ش، ج ٣، ص ٩٩؛ ج ٤، ص ٢٠ و ٥٧٧).

٧. الجواهر السنية (الحرّ العاملي، بدون تأريخ، ص ٢٤٩).

٨. الحقائق الناضرة (البحراني، بدون تأريخ، ج ١٣، ص ٤٣١ و ٤٨٦؛ ج ٢٢، ص ١٤٤).

٩. سعد السعود (ابن طاووس، ١٣٦٩ هـ، ص ٢٣٣-٢٣٤) (٥٦).

١٠. سماء المقال في علم الرجال (الكلباسي، ١٤١٩ هـ، ج ١، ص ٣٥٢ و ٣٥٥).



١١. شرح أصول الكافي المازندراني، (المازندراني، بدون تأريخ، ج ٢، ص ٢٤٠ وما بعدها...).
١٢. الطهارة (الأنصاري، ١٤١٥ هـ - ألف، ج ٢، ص ٣٥٢ و ٥٣٣).
١٣. عدّة الأصول (الطوسي، بدون تأريخ، ج ٢، ص ٢٩٥).
١٤. عوائد الأيام (النراقي، ١٤٠٨ هـ، ص ٢٤٢).
١٥. العوالم (البحراني، ١٤٠٧ هـ، ص ٧٦-٧٧ و ١٤٨ و ٢٤٨).
١٦. الغدير (الأميني، ١٣٩٧ م، ج ٢، ص ٢٤٥).
١٧. غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام (القمي، ١٤١٧ ق، ج ٢، ص ٤٢١).
١٨. قصص الأنبياء (الراوندي، ١٤١٨ ق، ص ٢٨١).
١٩. القضاء والشهادات (الأنصاري، ١٤١٥ هـ - ب، ص ٧٠).
٢٠. مجمع البحرين (الطريحي، ١٤٠٨ ق، ج ١، ص ٤٠٣؛ ج ٤، ص ٣٥١).
٢١. مدينة المعاجز (البحراني، ١٤١٥ ق، ص ٣٧٦).
٢٢. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل (النوري الطبرسي، ١٤٠٨ ق، ج ٢، ص ٣٥٥ وما بعدها...).
٢٣. مستدرك سفينة البحار (نمازي الشاهرودي، ١٤١٧ ق، ج ٦، ص ٢٩٠؛ ج ٧، ص ٤٩٠؛ ج ٨، ص ١٧٧-٣٠٠؛ ج ٩، ص ٦٨-٢٠٤).
٢٤. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة (الخوئي، ١٤١٠، ج ١، ص ٢٨٠ وما بعدها...).
٢٥. الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي، ١٤١٧ ق، ج ١، ص ١٤٤ وما بعدها...).
٢٦. وسائل الشيعة (الحرّ العاملي، ١٤١٤ ق، ج ٦، ص ٣٣٧-٣٨٣؛ ج ١٩، ص ٣٣٤؛ ج ٢٠، ص ٢١).



ومن مجموع الكتب الأنفة الذكر، والتي أشار فيها مؤلفوها صراحة باستفادتهم من كتاب الشيخ الصدوق، فإنَّ بعض تلك الكتب قد أخذ بعض الروايات من كتاب الصدوق، وبعضها الآخر أخذ أكثر رواياته ونظَّم محتوي كتابه طبقاً لمبنى كتاب الصدوق.

ويمكننا الإشارة إلى بعض تلك الكتب وهي:

تفسير نور الثقلين، للعروسي الحوزي رحمته الله.

مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، للمحدث النوري رحمته الله.

معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، للسيد أبو القاسم الخوئي رحمته الله.

تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي رحمته الله.

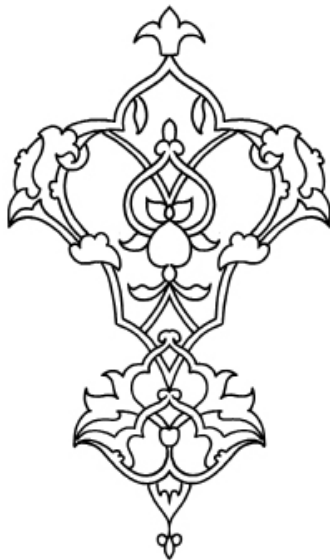
كتاب وسائل الشيعة الحديثي، للشيخ الحرّ العاملي رحمته الله.

ومن خلال معرفتنا بمؤلفي هذه الكتب، يتّضح جلياً مدى أهمية كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) في نظر علماء الشيعة الاثني عشرية، ووثوقهم به واعتمادهم عليه.



الهوامش

١. طالب دراسات عليا في جامعة طهران، قسم علوم القرآن والحديث.
٢. رحمتي، ١٣٨٢، ص ٢١٩.
٣. معارف، ١٣٨٥، ص ٣٧٤-٣٧٥.
٤. النجاشي، ١٤٠٧ق، ص ٣٨٩.
٥. الغرجي، ١٣٧٩، ص ١٣٤-١٣٥.
٦. الباكنتجي، ١٣٧٦، ج ٣.
٧. المعارف، ١٣٨٥، ص ٣٧١.
٨. الباكنتجي، ١٣٧٦، ج ٣.
٩. المعارف، ١٣٨٥، ص ٣٧١، الباقر، ١٣٨١، ص ٨٤.
١٠. الباكنتجي، ١٣٧٦، ج ٣.
١١. الباكنتجي، ١٣٧٦، ج ٣.
١٢. ابن بابويه، ١٤٠٥ق-ألف، ص ١٨٧ و ٤٨٠.
١٣. ابن بابويه، ١٤٠٤ق، ج ٤، ص ١٨٠.
١٤. ابن بابويه، ١٤٠٥-ألف ص ٤.
١٥. آغا بزرك الطهراني، ١٤٠٣، ج ٣، ص ٢٨٣؛ الحرّ العاملي، ١٤٠٤، ج ٢، ص ٢٨٤.
١٦. المجلسي، ١٤٠٣ق، ج ١، ص ٦.
17. Fyze727p73، 1986.
١٨. ابن بابويه، ١٣٨٠، ج ١، ص ٩-١٠.
١٩. النجاشي، ص ٢٦١-٢٦٢.
٢٠. الطوسي ص ٤٤٢.
٢١. الطوسي، ١٣٨١، ص ٤٣٨.
٢٢. الحلي، ١٣٨٣، ص ٣٣٨.
٢٣. العلامة الحلي، ١٤١١ق، ص ١٥٠.
٢٤. ابن بابويه، ١٤٠٥ق-ب، ص ١٩.
٢٥. ابن بابويه، ١٤٠٥ق-ت، ص ٤٨٢-٥٢٣.
٢٦. إنَّ هذا الأمر يعتبر مهماً من جهة إنَّه هذه
- الارتباطات بين الشيعة والإمام عليّ قد وقعت في فترة حرجة جداً بسبب الظروف السياسية الخاصّة، وكانت بصورة الوكالة.
٢٧. الجبّاري، ١٣٨٤، ص ٢٣٦-٢٣٨.
٢٨. رحمتي، ١٣٨٣، ص ٦٠.
٢٩. الأستاذي، ١٤٠٢ق، ج ٢، ص ١٥٣.
٣٠. الأستاذي، ١٤٠٢، ج ٢، ص ٢٩٢.
٣١. في دراستنا لكتاب (كمال الدين وتمام النعمة) اعتمدنا على النسخة المصحّحة من قبل المرحوم الغفاري، والمنشورة من قبل مؤسسة النشر الإسلامية في سنة (١٤٠٥هـ)، والإرجاعات التي ذكرناها لصفحات الكتاب مبنية على هذا الاعتماد.
٣٢. ابن بابويه، ١٤٠٥ق-ب، ص ٢٠-٢١.
٣٣. Encyclopeda of islam.
34. A.A.AFyze.
35. E.Moller Heidelberg.
٣٦. ١٩٨٦fyze و ٧٠٣.p.٧٢٧.
٣٧. الباكنتجي، ١٣٧٦، ج ٣.
٣٨. ابن بابويه، ١٣٨٠، ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٤.
٣٩. ابن بابويه، ١٩٠٤م، ص ٧٦.
٤٠. أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين.
٤١. ابن بابويه، ١٩٠٤م، ص ٥٤٣.
٤٢. ابن بابويه، ١٤٠٥ق-ألف، ص ٥٧٧-٦٢٨.
٤٣. ويمكننا بهذا الصدد الإشارة إلى الكتب أدناه:
- (المسألة المفردة في الإمامة)، وهي نفس الرسالة





المصادر

- ١- القرآن المجيد.
- ٢- آقا بزرگ الطهراني (١٤٠٣ق)، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت: دار الأضواء، الطبعة الثالثة.
- ٣- الأبطحي، سيد محمد علي الموحد (١٤١٢ق)، تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، قم: ابن المؤلف، الطبعة الأولى.
- ٤- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين القمّي (١٣٨٠ق)، كمال الدين وتمام النعمة، ترجمة منصور بهلوان، قم: سازمان طباعة ونشر دار الحديث، الطبعة الأولى.
- ٥- نفس المؤلف، (١٣٨٦ق)، علل الشرائع، نجف، المطبعة الحيدرية، الطبعة الأولى.
- ٦- نفس المؤلف، (١٤٠٤ق)، فقيه من لا يحضر الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم: جامعة مدرسي الحوزة العلمية في قم، الطبعة الثالثة.
- ٧- نفس المؤلف، (١٤٠٥هـ-ألف)، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح علي أكبر الغفاري، قم: جامعة مدرسي الحوزة العلمية في قم، الطبعة الأولى.
- ٨- نفس المؤلف، (١٤٠٥هـ-ب)، الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم: جامعة مدرسي الحوزة العلمية في قم، الطبعة الأولى.
- ٩- نفس المؤلف، (١٩٠٤م)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق حسين الأعلمي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية.
- ١٠- ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد، (١٣٦٩ق)، سعد السعود، النجف: المطبعة الحيدرية.
- ١١- الأستاذي، رضا، (١٤٠٢ق)، فهرس النسخ الخطية، قم: مكتبة السيد الغلپايگاني، الطبعة الثانية.
- ١٢- الأميني، عبد الحسين، (١٣٩٧ق)، الغدير، بيروت: دار الكتب العربي، الطبعة الرابعة.
- ١٣- الأنصاري، مرتضى، (١٤١٥هـ-ألف)، الطهارة (النسخة الخطية)، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم: انتشارات باقري، الطبعة الثانية.
- ١٤- نفس المؤلف، (١٤١٥هـ-ب)، القضاء والشهادات (النسخة الخطية)، تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم: انتشارات باقري، الطبعة الأولى.
- ١٥- باقري، البيهندي، (١٣٨١ش)،



المصادر

- كتابشنامي ترجمة آثار الشيخ الصدوق، قم: علوم الحديث، الرقم ٢٥.
- ١٦- البحراني، سيد هاشم، (١٤١٥ق)، مدينة المعاجز، تحقيق لجنة تحقيق برئاسة عبد الله الطهراني الميانجي، قم: مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى.
- ١٧- البحراني، عبد الله، (١٤٠٧ق)، عوالم العلوم، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم: انتشارات الأمير.
- ١٨- البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة، تحقيق محمد تقى الإيرواني، قم: جامعة مدرسي الحوزة العلمية في قم.
- ١٩- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، (١٣٨٣ق)، رجال البرقي، طهران: انتشارات كلية طهران.
- ٢٠- پاكتجي، أحمد، (١٣٧٦ش)، (ابن بابويه)، دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة، بإشراف موسوي البجنوردي، طهران: مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة.
- ٢١- الجباري، محمد رضا، (١٣٨٤ش)، مكتب قم الحديثي، (معرفة وتحليل مكتب قم الحديثي من ابتداء الهجرة
- إلى القرن الخامس الهجري)، قم: انتشارات الزائر، الطبعة الأولى.
- ٢٢- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، (١٤٠٤ق)، أمل الآمل، تحقيق سيد أحمد الحسيني، قم: دار الكتب الإسلامية.
- ٢٣- نفس المؤلف، (١٤١٤ق)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، الطبعة الثانية.
- ٢٤- نفس المؤلف، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، قم: مكتبة المفيد.
- ٢٥- الحلي، ابن داود، (١٣٨٣ق)، رجال ابن داود، طهران: انتشارات كلية طهران.
- ٢٦- الخويزي، عبد علي بن جمعة العروس، (١٤١٢ق)، تفسير نور الثقلين، تحقيق سيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم: مؤسسة إسماعيليان، الطبعة الثانية.
- ٢٧- الخوانساري، أحمد، (١٣٥٥ش)، جامع المدارك في شرح المختصر النافع، طهران: انتشارات الصدوق.
- ٢٨- الخوئي، أبو القاسم، (١٤١٠ق)، معجم رجال الحديث، قم: مركز نشر آثار الشيعة.



المصادر

- ٢٩- الراوندي، قطب الدين، (١٤١٨ق)، قصص الأنبياء، تحقيق ميرزا غلام رضا عرفانيان، قم: مؤسسة الهادي.
- ٣٠- رحمتي، محمد كاظم، (١٣٨٢ش)، نكات في أهمية آثار الشيخ الصدوق، فصلنامه علوم الحديث، طهران: كلية علوم الحديث، السنة الثامنة، الرقم ٣٠.
- ٣١- نفس المؤلف، (١٣٨٣)، نكات في خصوص كتاب كمال الدين وتمام النعمة، كتاب ماه دين، طهران: انتشارات دين ودانش، رقم ٨٣-٨٤.
- ٣٢- الطباطبائي، محمد حسين، (١٤١٧ق)، الميزان في تفسير القرآن، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٣٣- الطبرسي، فضل بن الحسن، (١٤١٧ق)، إعلام الوري بأعلام الوري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم.
- ٣٤- الطريحي، الشيخ فخر الدين، (١٤٠٨ق)، مجمع البحرين، تحقيق سيد أحمد الحسيني، مكتب النشر الثقافية الإسلامية.
- ٣٥- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (١٣٨١ش)، الرجال، النجف: انتشارات الحيدرية.
- ٣٦- نفس المؤلف، الفهرست، النجف: المكتبة المرتضوية.
- ٣٧- نفس المؤلف، عدّة الأصول، تحقيق محمد مهدي نجف، مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى.
- ٣٨- العلامة الحلي، حسن بن يوسف بن علي بن المطهر، (١٤١١ق)، الرجال للعلامة الحلي، النجف الأشرف: دار الذخائر.
- ٣٩- الغضائري، أحمد بن الحسين، (١٣٦٤ق)، الرجال، قم: مؤسسة إسماعيليان.
- ٤٠- القمي، ميرزا أبو القاسم، (١٤١٧ق)، غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي فرع خراسان، المحقق عباس تبريزيان، مشهد: مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٤١- الكلباسي، أبو الهدى، (١٤١٩ق)، سماء المقال في علم الرجال، تحقيق سيد محمد الحسيني القزويني، قم: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية.
- ٤٢- گلبرگ، اتان، (١٤١٣ق)، مكتبة ابن



المصادر

- طاووس وأحواله وآثاره، ترجمة السيد علي قرائي ورسول جعفریان، قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.
- ٤٣- الكشي، محمد بن عمر، (١٣٤٨ق)، رجال الكشي، مشهد: انتشارات كلية مشهد.
- ٤٤- گذشته، ناصر، (١٣٧٨ش)، ابن قبة، دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة، تحت إشراف الموسوي البجنوردي، طهران: مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية الكبيرة.
- ٤٥- الگرجي، أبو القاسم، (١٣٧٩ش)، تاريخ الفقه والفقهاء، طهران: انتشارات سمت.
- ٤٦- المازندراني، مولي صالح، شرح أصول الكافي، تعليق ميرزا أبو الحسن الشعрани، طهران: المكتبة الإسلامية.
- ٤٧- المجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣ق، ١٩٨٣م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، بيروت: مؤسسة الوفاء.
- ٤٨- المشهدي القمي، ميرزا محمد، (١٣٨٥ش)، تفسير كنز الدقائق، تحقيق مجتبى العراقي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٤٩- المعارف، مجيد، (١٣٨٥ش)، تاريخ الحديث العمومي، طهران: انتشارات كوير.
- ٥٠- النجاشي، أحمد بن علي، (١٤٠٧ق)، رجال النجاشي، قم: انتشارات جامعة المدرسين.
- ٥١- النراقي، أحمد، (١٤٠٨ق)، عوائد الأيام، قم: انتشارات الغدير.
- ٥٢- نمازي الشاهرودي، علي، (١٤١٩ق)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٥٣- النوري الطبرسي، ميرزا حسين، (١٤٠٨ق)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.



ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

أثر غيبة الإمام المهدي عليه السلام الكبرى في تكامل المجتمع المسلم

أ. علاء إبراهيم رزوقي

المبحث الأول: الغاية الإلهية من خلق البشرية

خلق الله تبارك وتعالى الخلق متفضلاً، ولم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم هملاً. بل خلقهم وهو غني عنهم، لأجل حصولهم على مصالحهم الكبرى ووصولهم إلى كمالهم المنشود، المتمثل بإخلاص العباد لله تعالى. قال عليه السلام: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

إن الآية واضحة في أن الغاية الأساسية والغرض الأصلي من إيجاد البشرية هي العبادة والوصول إلى الكمال وهو الهدف الوحيد المنحصر الذي لا شيء وراءه من خلق البشرية، المعبر عنهم بالإنس. وهذا الهدف ملحوظ ومخطط بشكل خاص منذ بدء الخليقة، ويبقى -بطبيعة الحال- مواكباً لها ما دامت البشرية في الوجود، ومن هنا نجد أن الله تعالى لم يخلق البشرية لأجل مصلحته، فإنه غني عن العالمين، وإنما خلقهم لأجل مصلحتهم وأي مصلحة يريد لها الله لعباده غير كمالهم ورشدتهم وصلاحهم الناتج عن عبادتهم المخلصة والتوجه إليه بالخيرات نحوه عليه السلام.

أننا نجد بالوجدان القطعي أن هذا الغرض الإلهي المهم الذي نطقت به الآية بالمعنى الذي فهمناه، لم يحدث في تاريخ البشرية على الإطلاق منذ





وجودها إلى العصر الحاضر وذلك لأن تسليم الإنسان وإيمانه بالغرض الإلهي لا يتأتى إلا بعدة مقدمات هي:

الأولى: إدراك العقل لأهمية طاعة الله تعالى والخضوع له والانصياع إلى أوامره ونواهيه، باعتباره مستحقاً للعبادة مع غض النظر عن أي اعتبار آخر.

الثانية: العامل الأخروي المتمثل بالطمع بالشواب الذي رصده الله تعالى للمطيعين، والخوف من العقاب الذي توعده به العاصين والمذنبين.

الثالثة: الشعور بأهمية طاعة الله تعالى، باعتبارها الضمان الحقيقي للعدل المطلق، على المستويين الفردي والاجتماعي، أو بتعبير آخر: تربية الإخلاص الذاتي لطاعة الله تعالى باعتبار المعرفة الواضحة بضمانها للعدل المطلق.

دور الأنبياء عليهم السلام في تحقيق الغرض الإلهي:

إن البشرية في مبدأ أمرها لا تعرف ما هو العدل الكامل، ولا هي مخلصة له أو مستعدة للتضحية في سبيل تطبيقه لو عرفته.

فكان لابد لها - كجزء من التخطيط - أن تمر بتربية طويلة الأمد فكان أن تكفل الأنبياء عليهم السلام هذه المهمة، وهي تربية البشرية لتكون صالحة لفهم العدل الكامل. فكان كل نبي يشارك مشاركة جزئية قليلة أو كثيرة في ذلك، سواء علم الناس، بذلك في عصره أو جهلوه. لأن المهم هو تربيتهم الفكرية، وليس المهم الفاتهم بوضوح إلى هذا التخطيط.

وهذه التربية قد انتهت بجعل البشرية قابلة لفهم دولة العدل الإلهي الكاملة، فأرسل الله تعالى إليها دولة العدل الإلهي متمثلة بالإسلام. ولم تستطع البشرية إلى حد الآن أن توفر الشرط الثاني وهو استعدادها للتضحية في سبيل تطبيق العدل، وهي على أي حال في طريق التربية على ذلك.

دور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في التخطيط الإلهي:

شارك الأنبياء السابقون عليهم السلام في التبشير بدولة العدل الإلهي، واستمر عليه نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وخلفاؤه المعصومون عليهم السلام.



فكان أن اضطلع النبي ﷺ ومن بعده من المعصومين عليهم السلام بتهيئة الذهنية العامة للأجيال، عن ذلك بالتركيز على ثلاثة محاور وهي:

الأول: الإخبار بوجود الغرض الإلهي الكبير، والتبشير بتحقيق اليوم الموعود الذي يأخذ فيه العدل الكامل طريقه إلى التطبيق.

الثاني: التأكيد على أن القائد الرائد لإنجاز ذلك الغرض الكبير، هو الإمام المهدي عليه السلام كما ورد في النصوص المتواترة عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وهي أخبار مروية ومعترف بتواترها من قبل الفريقين.

الثالث: الإخبار بما سيقع في هذا العالم من ظلم وفساد، كما وردت بذلك جملة من الأخبار.

دور الأئمة عليهم السلام في التمهيد لدولة المهدي عليه السلام:

عندما نتأمل في حياة الأئمة عليهم السلام ومواقفهم نعرف أن لكل منهم موقفاً ينصب في الغاية القصوى التي من أجلها بعث الرسل عليهم السلام وشرع الدين، فنشاهد أن أدوار أئمتنا عليهم السلام مختلفة فكل كان يهيئ الأرضية من جانب خاص وهذا لا يعني أن الزمان والوضع لم يكن لهما أي دور في تلك المواقف بل كان للظروف دور ولكنه هامشي لا يغير في الاستراتيجية بل له تأثير في الخطة والتكتيك.

فمثلاً الإمام الحسين عليه السلام كان بصدد إيجاد روحية أخذ الثأر الذي هو شعار المهدي عليه السلام وهو جانب روحي له دور رئيسي في قيام المهدي عليه السلام حيث أن شعاره هو يا لثارات الحسين وخروجه يوم عاشوراء وعدوه السفيناني الذي هو امتداد يزيد بن معاوية.

كما أن الإمام الرضا عليه السلام بهجرته التاريخية تمكن من إيجاد المدرسة الخراسانية التي لها الأثر الكبير في تعزيز جيش الإمام المهدي عليه السلام، فغريب خراسان عليه السلام بهجرته المؤلمة وتحمله الصعوبات والضغط الروحية والجسمية كان بصدد خلق

أرضية عملية لتلك الدولة المباركة التي يتحدث عنها وهو في نيسابور كما في الحديث عن الهروي قال: سمعت دعبل ابن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلّت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إلى فقال لي: «يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟» فقلت لا يا مولاي إلا أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملاها عدلاً، فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابني علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

وهكذا بالنسبة إلى سائر الأئمة عليهم السلام، كل له موقف ينصب في الغاية القصوى التي من أجلها بعث الرسل وشرع الدين وذلك لا يتحقق إلا بظهور الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام.

المهدي عليه السلام يهيئ ذهنية الأمة لليوم الموعود:

لقد كان للإمام المهدي عليه السلام نفسه دور في تهيئة الذهنية العامة للأمة لليوم الموعود، تلك التهيئة التي توفر له شروطه الأساسية. وذلك باتخاذ خطوات ثلاث:

الخطوة الأولى: إقامة الحجة على وجوده بتكرار المقابلات مع عدد من



الناس كبير نسبياً وبذلك يؤسس للمسلمين أساس الصمود ضد واجهة كبرى للشك في وجوده.

الخطوة الثانية: إعطاء الفكرة التامة لدولة العدل الإلهي من غيبته وظهوره^(٢).

الخطوة الثالثة: العمل على إزالة الظلم والطغيان، وحسب ما تقتضيه الحاجة من وجوده على مر التاريخ.

فالإمام المهدي عليه السلام في كل هذه الخطوات، يسير في خط التخطيط الإلهي العام لليوم الموعود، كما سار على ذلك الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

التمحيص الضخم:

إن الإنسان المسلم محتاج في استمراره على إخلاصه وإيمانه، إلى قوة الإرادة وشعور بالمسؤولية الإسلامية، أعلى من المستوى المطلوب. وكان الأشخاص الممثلون لهذا الإخلاص، قد نجحوا في عملية التمحيص والاختبار الإلهية، بهذا المقدار.

إلا أن هذا المقدار غير كافٍ في إيجاد الإخلاص الذي يتطلبه القيام بمسؤولية اليوم الموعود، فكان لابد أن تمر الأمة بتمحيص ضخم وعملية غربلة حقيقية، حتى ينكشف كل فرد على حقيقته، فيفشل في هذا التمحيص كل شخص قابل للانحراف، لأجل أي نقص في إيمانه أو عقيدته أو إخلاصه.

المبحث الثاني: الإعداد الروحي لاستقبال دولة الامام المهدي عليه السلام

إن للتربية الروحية علاقة صميمة وارتباطاً وثيقاً بـ (استقامة المسيرة) على خط الإسلام فكرياً وعملياً لأنها تجعل المؤمن في علاقة محكمة مع الله يعبد ولا يعبد سواه، ويرجوه ولا يرجو غيره، ويخافه ولا يخاف غيره ويعمل له لا لغيره، يتأثر بوحيه، ورسالته، ويقطع صلة (التأثر) بالناس، ويقيم معهم بدل ذلك صلة (التأثير) والتوجيه.. لأن الانفصال عن الناس وحضارتهم.. وعن



أهواء النفس وشهواتها لا يتم إلا من خلال عمل تربوي جاد يبني الإنسان فيه نفسه مع الله تعالى ويقطعها به عما سواه.. وبكلمة يقطع قلبه وشعوره وكيانه عن كل شيء عدا الله تعالى وما أمر الله تعالى به (أن يوصل) بهذا وحده يمكن أن تستقيم مسيرة المؤمن وتثبت على خط الإسلام ويكون مستعداً لاستقبال دولة الإمام المهدي عليه السلام ويكون عضواً فعالاً فيها.

تكمّن أهمية التربية الروحية في عصر الغيبة في عدة أمور هي:

- ١- الأثر الكبير في الحفاظ على الدين والثبات عليه والدفاع عنه في الأيام الصعبة، وامتصاص المحن والآلام التي يمر بها الإنسان المسلم في زمن الغيبة.
- ٢- الوعي الإيماني بدولة العدل الإلهي وتعني -هنا- المدركات الذهنية التي تتمتع بالاستحضار المستمر، والمعيشة الدائمة لذكر الإمام عليه السلام من قبل الإنسان المؤمن وإحساسه بوجوده معه ويرى سلوكياته.
- ٣- الوجدان الإسلامي ويشمل العواطف كحب الإمام عليه السلام، والخوف عليه، والرجاء من الله تعالى بتعجيل ظهوره، والغضب له.
- ٤- تقوية الإرادة، والإخلاص، أو الدافع الديني في شخصية الإنسان المسلم، الذي ينظم حركة هذه الشخصية وتصرفاتها، ويعتبر الجهاز الحاكم فيها في زمن الغيبة.

- ٥- توحيد المنطلق النفسي للمؤمنين في العمل (الدافع والهدف) في حب الرسالة وتطبيقها، والحرص على المصلحة الدينية وإعلائها وتفضيلها على الرغبات الشخصية والأهداف الذاتية التي تختلف عادة من شخص إلى آخر نتيجة (اختلاف الآراء، والمصالح الشخصية التي تغلب على المصلحة العامة عند بعض الناس، واختلاف المذاقات والمشاعر... إلخ).

الأهداف التربوية لغيبة الإمام المهدي عليه السلام:

إن قضية الإمام المهدي عليه السلام كقضية الإمام الحسين عليه السلام لها أبعاد كثيرة في



بناء المجتمع المسلم عقائدياً وتربوياً وأخلاقياً وثقافياً ومعنوياً. والحديث فيها واسع، حيث إنها تمثل تفسيراً للتاريخ يتطابق مع النظرية القرآنية التي ترى وراثته الأرض للصالحين من عباد الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

إن قضية الإمام المهدي عليه السلام من وجهة نظر أتباع أهل البيت عليه السلام وشيعتهم تمثل تجسيداً حياً للدولة العادلة وتكامل المجتمع المسلم فيها، ليس على مستوى المستقبل غير المنظور فحسب، بل على مستوى الحاضر المعاش الذي يجسد هذا المستقبل من خلال وجوده الشريف وحياته الفعلية.

ويعطي هذا الاعتقاد وضوحاً في الرؤية للتاريخ الإنساني، وفهماً للسنن الإلهية في التاريخ التي تحدّث عنها القرآن الكريم.

والذي يعنينا هنا هو الإشارة إلى بعض الأهداف التربوية لغيبة الإمام عليه السلام والتي تساهم في تكامل المجتمع المسلم بالقدر الذي يساهم في فهم منهج الأئمة عليهم السلام في بناء هذا المجتمع من خلال قضية الإمام المهدي عليه السلام ونشر بصورة إجمالية إلى أهم هذه الأهداف وهي:

أولاً: الوضوح في التكليف:

الوضوح في الإحساس بالواجب الإلهي والتكليف الشرعي عند القيام بمختلف النشاطات الإسلامية والدينية، حيث يشعر الإنسان المؤمن بوجود بالإمام المهدي عليه السلام معه، وأنه يؤدي أعماله وخدماته ويمارس جهاده وتضحياته تحت رايته الشريفة ورعايته الخاصة.

ويعطي هذا الشعور زخماً معنوياً كبيراً للتحرّك والعمل، يشبه الزخم المعنوي الذي كان يحصل عليه أولئك المجاهدون الذين كانوا يقاتلون تحت راية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، إذ كلما ازداد الشعور بالقرب من الرعاية الإلهية،



كان شعور الإنسان بتحقيق النصر وأداء الواجب أكبر، ولا شك أن الإحساس برعاية الإمام المعصوم ﷺ والانتساب إليه في الحركة والنشاط، يجعل الإنسان يشعر بالقرب من الله تعالى ورعايته وامتنال أوامره شعوراً أفضل.

ثانياً: امتحان الأمة:

إن إحدى الأهداف التربوية لغيبة الإمام المهدي ﷺ هي امتحان الناس ليظهروا على واقعهم فتتكشف الفئة التي استبطنت السوء وعدم الإيمان، وتبدو الفئة التي تمكن الإيمان من أعماق قلوبها بانتظارها للفرج وصبرها في الشدائد واعتقادها بالغيب.

يقول الإمام موسى بن جعفر ﷺ: «إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمة فالله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد، يا بني أنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به إنما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه»^(٣).

ثالثاً: الاحتفاظ بالقيم الربانية:

ومن الأهداف التربوية للغيبة الاحتفاظ بالمبادئ والقيم والمثل الربانية في المسيرة، والسعي الدائم إلى تحقيق الكمال في المجتمع المسلم بعيداً عن مفاهيم الربح والخسارة الدنيوية والكسب المادي، أو الوصول إلى القدرة والتسلط والهيمنة.

رابعاً: اتخاذ الإمام ﷺ قدوة:

الشعور بوجود الإمام المهدي ﷺ وهو يمثل القدوة الرائعة العظيمة في الصبر والثبات على المحن التي مر بها خلال عمره الطويل يعيش الإنسان المؤمن الآلام والمحن ويتعرض لها في حياته، ويتحسس بها ويتفاعل معها بطبيعة الحال تأسيّاً بإمامه ﷺ، فهو صابر ممتحن في ذات الله من أجل الأهداف العظيمة، ويتنظر الفرصة للقيام بدوره العظيم. وكل ذلك يعطي زخماً عظيماً وروحاً معنوية عالية لمسيرة التكامل في المجتمع المسلم.

خامساً: المساهمة في العدل:

اعتقاد الإنسان المؤمن بأن الإمام المهدي عليه السلام معه ويشاهده بذلك ستكون كل أعماله ونشاطاته هي مساهمة للتمهيد لقيام حكومة العدل الإلهي المطلق، التي يحققها الإمام المهدي عليه السلام.

وبطبيعة الحال فإن هذا الإيمان يمنح الإنسان مستوىً عالياً من الروح المعنوية في التعامل مع نشاطاته وأعماله وتضحياته، حيث يصبح الهدف كبيراً وعظيماً يغطي كل النشاطات والأعمال والجهود والتضحيات مهما كانت كبيرة وصعبة، أو صغيرة ومحدودة.

سادساً: الأمل الكبير:

لا شك أن روح الأمل هي من أعظم المعنويات التي تمد الإنسان بالقدرة على الاستمرار في الحركة والثبات والصبر والتضحية. فالجندي الذي يشعر بأن مسيرته سوف يكملها جنود آخرون يحققون النصر والفتح من بعده، يكون على استعداد للتضحية والفداء أكثر بكثير من ذلك الجندي الذي يشعر أنه عندما يسقط تتوقف المسيرة وتكون المعركة خاسرة.

وكذلك الجندي الذي يخوض المعركة ويشعر أن معارك أخرى يمكن أن يخوضها بنفسه لتحقيق النصر، لا يتوقف عندما يخسر المعركة الأولى، بل يستمر في الحركة. وهذا لا يتوفر إلا في أولئك الذين يؤمنون بفكرة الإمام المهدي عليه السلام الذي يقود المعركة، وسوف يستمر في قيادتها حتى الوصول إلى نهايتها وهذا ما جعل الانتصار ملموساً في الحرب على داعش في العراق. وهذا مما يجعل الأمل حياً ومتوقداً يدفع الإنسان إلى الحركة والنشاط في كل الظروف.

سابعاً: الانتقام للمظلومين:

وفكرة الانتقام والثأر - بالمعنى السليم لها والذي يعني الثأر للقيم والمبادئ والحق والعدل - هي فكرة صحيحة وإسلامية تحدث عنها القرآن الكريم في





أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرُّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١٤).

كما تحدّثت النصوص عن ذلك عندما وصفت الإمام الحسين عليه السلام بأنه «نار الله»^(٤)، وأن الإمام المهدي يثأر للحسين عليه السلام، ويكون أحد شعاراته هو «يا لثارات الحسين»^(٥)، وكذلك ما ورد في زيارته الشريفة من قوله: «واقرن ثأرنا بثأره»^(٦).

وهذا الإحساس والشعور يمثل قوة معنوية كبيرة في داخل الإنسان لأن الله تعالى أودع في الإنسان هذا اللون من الإحساس، ولذلك ينزع إليه الإنسان بشكل طبيعي في حياته ويمثّل أحد الدوافع لمسيرته وحركته التكاملية.

وقد اهتم الإسلام بتوجيه هذا الدافع والإحساس، لكي لا ينحرف فيتحوّل إلى مجرد تعبير عن الغريزة دون أن يصب في مسيرة الكمال، فوضع الثأر والانتقام والتشفي في طريق القيم والمبادئ - لا لمجرد التعبير عن الإحساس النفسي والنزعة الشهوية - شأنه في ذلك شأن بقية الأحاسيس والغرائز التي اهتم بها الإسلام عاملاً محرّكاً باتجاه الكمال.

ومن الواضح أن مسألة الثأر والانتقام في قضية الإمام المهدي عليه السلام ليست انتقاماً وثأراً لشخصهم بما هم بل لما يعتقدون، فهي انتقام وثأر من الواقع الفاسد الذي كان يعيشه الإنسان، وذلك بتغييره وتحويله إلى واقع العدل والحق والخير.

ثامناً: انتظار الفرج

وهذا الهدف هو الأهم وتركناه آخر الأهداف لأنه يحتوي على حيثيات فنقول:

لعلّ لقضية الإمام المهدي عليه السلام وخصوصية الانتظار في الغيبة الصغرى والكبرى الأثر الكبير في الجانب التربوي والأخلاقي للمجتمع. وهذا الأثر مما لا نشاهده ولا نعرفه في بقية المذاهب والفرق الإسلامية، لا لأنها لا تؤمن بفكرة الإمام المهدي عليه السلام بل لأن الاعتقاد بوجوده وحياته عليه السلام عند اتباع أهل



البيت ﷺ بهذا المستوى وهذا الشكل ليس موجوداً لدى الفرق الأخرى. وقد وردت مئات من الأحاديث التي تؤكد على أن انتظار الفرج هو أفضل العبادة. وذلك لأن ذكر الله تعالى في أعلى مستواه وأرفع درجاته هو ذكر تلك الدولة المباركة التي تتصف بجميع مواصفات جنّة آدم ﷺ، تلك الدولة التي سوف يعيش فيها الإنسان في جوار ربّه وتحت ظل بارئته وفي ساحتها تتحقق رحمة الرب التي أشار إليها سبحانه في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٩) فهي إذاً الغاية العمليّة لأصل الخلق كما مرّ وبدونها لا يتصف الخلق بالحكمة والتكامل أصلاً.

ومن هنا صار من اللازم أن نتحدّث عن هذه العبادة أعني الانتظار بتفصيل أكبر وذلك لأهميّتها من بين سائر العبادات وسوف نبينها ضمن عناوين مختلفة فنقول:

أهميّة انتظار الفرج في تكامل المسلم:

عندما نبحث في الأحاديث المختلفة الصادرة عن المعصومين ﷺ نستنتج أن الأعمال كلّها مع ما فيها من الأهميّة والاعتبار فهي في قبال الانتظار قليلة المستوى حيث إن الانتظار هو: (أفضل الأعمال)^(٧)، بل جميع الأعمال العبادية مع ما لها من القدسيّة والروحانيّة فهي ليست راجحة على الانتظار حيث إنّه (أفضل عبادة الأمّة)^(٨).

والجدير بالذكر أن هذه العبادة أعني الانتظار قد دخلت في ساحة أهمّ العبادات وهو الجهاد في سبيل الله وصار (أفضل جهاد الأمّة) كما ورد في حديث الرسول ﷺ حيث قال: «أفضل جهاد أمتي انتظار الفرج»^(٩).

ومن زاوية أخرى فللانتظار أيضاً مستوى رفيع من الروحانيّة حيث صار (أحبّ الأعمال إلى الله) قال أمير المؤمنين ﷺ: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من

روح الله فإن أحب الأعمال إلى الله ﷻ انتظار الفرج ما داوم عليه المؤمن»^(١٠) حتى وصل المنتظر إلى مستوى الشهيد في سبيل الله «والمنتظر لأمرنا كالمشحط بدمه في سبيل الله»^(١١).

بل هناك أحاديث تؤكد على أن (انتظار الفرج من الفرج) بل (انتظار الفرج من أعظم الفرج)^(١٢). فعن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال سألته عن شيء من الفرج فقال: «أليس انتظار الفرج من الفرج إن الله ﷻ يقول: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾»^(١٣).

وهذا المعنى من الانتظار أعني انتظار الفرج قد اكتسب قسطاً من القدسية والاعتبار بحيث صار من علائم الإخلاص الحقيقي والتشيع الصادق ومن مميزات الدعاة إلى دين الله تعالى سراً وجهراً وقد ورد في الحديث «أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً»^(١٤).

الرجاء بالله تعالى:

إن من أهم نتائج انتظار الفرج تنمية روحية الرجاء بالله تعالى في الإنسان المؤمن حيث يُشاهد أمامه مجالاً وسيعاً من الفضل والكرم والخير الإلهي الذي سوف تظهر مصداقيتها في تلك الدولة العظيمة المباركة وهي دولة الإمام المهدي عليه السلام، ومن الطبيعي لمن يمتلك هذه الرؤية أن يحتقر العالم الذي يعيشه بما فيه من المغريات الخلابّة الدنيوية والتسويات الشيطانية، وهذا الأمر (أعني تحقير المظاهر الدنيويّة) هو أوّل خطوة يخطوها السالك إلى الله تعالى.

هذه الروحانية إن تركّزت في الإنسان المؤمن سوف تعمّق جذورها فتزيل جميع الأشواك والموانع الصادّة، لتنشر فروعها الطيبة وثمارها الجنيّة في السماء حتى تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها. فكيف لا يكون الانتظار أفضل الأعمال بل أفضل العبادات؟! وهو الذي يُحيّم على جميع الأعمال ويُلقى الضوء عليها.

أفضل الجهاد:

ما هو الأمر المتوقع من المجاهد في سبيل الله تعالى حين الجهاد؟ وما قيمة المجاهد لولا النية الصادقة التي تنصب في سبيل الله تعالى؟
هذا الأمر بنفسه بل أعلى مستوى منه متوفر في المنتظر الحقيقي الذي يتمنى في كل صباح ومساءً أن يعيش في ظل ذلك المعشوق ﷺ ولسان حاله: «فأخرجني من قبري مؤتزرًا كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي..»^(١٥).

والحديث التالي قد بين السر الذي رفع مستوى الانتظار إلى هذه الدرجة: فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين ﷺ قال: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ والأئمة بعده يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزله المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهرّاً»^(١٦).

فالانتظار إذن له نتيجتان هما:

الأولى: أنه بالفعل يُحقّق (كشف الكربة) بنحو مجمل.

الثانية: أنه عامل جذري أساسي للفرج بظهوره ﷺ حيث يسود الحكم الإلهي الأرض كلها.

ووزان الانتظار وزان النية التي هي خير من العمل حيث جاء عن الصادق ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله»^(١٧)، لأن هذه النية من ناحية هي التي ترفع مستوى الإنسان ومن ناحية أخرى تلازم العمل بل توجده ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٤).

وليعلم أن تعجيل الفرج يتناسب مع الانتظار شدةً وضعفاً. ومن هذا المنطلق نشاهد أن الآية الكريمة تصرح بقولها: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

فقرب نصر الله تعالى متناسب مع طلب النصر ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ وهذا الطلب الأكيد لا يحصل إلا بعد اليأس قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠).

الانتظار وجانبه الإيجابي والسلبي:

إن كلمة الانتظار تدل على حالتين كامنتين في روح المنتظر، فمع التأمل في هذه الكلمة نشاهد أنها تدل على جانبين أساسيين لكل منهما دور مهم في معنى الكلمة وهذان الجانبان هما:

١- الجانب المطلوب والمحسوب للمنتظر والمتوقع الوصول إليه وهو الخير والبركة وتمكين الدين على الأرض كله فلو لم يتوقع حدوث حالة جديدة وإيجابية في المستقبل فلا مصداقية للانتظار ولا معنى له.

٢- الجانب غير المطلوب وغير المحسوب الذي يتمثل في الحالة الفعلية التي يعيش فيها المنتظر تلك الحالة المؤذية التي يأمل المنتظر أن يتخلص منها، فلو كان الوضع الفعلي هو الوضع المطلوب فلا معنى للانتظار إذن ولا مبرر له.

وبعبارة أوضح: هناك تناسب عكسي بين أمرين هما:

١- اليأس من الحالة الفعلية المعاشة.

٢- الرغبة في الحالة المستقبلية المتوقعة.

هذا ما يستفاد من نفس الكلمة من دون النظر إلى أي أمر آخر خارج الكلمة وتشهد لهذه الحقيقة الآية الكريمة التي وردت في هذا المجال حيث المعنى والسياق الدال على ذلك قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

(النمل: ٦٢) الآية الكريمة تشير إلى الجانبين المتواجدين في نفس المضطر وهما:

١- سوءٌ غير مكشوف وهو يتمثل في أمرٍ واحد وهو أنَّ خلافة الأرض ليست بيد المضطر.

٢- وهناك توقُّع ورجاء ورغبة كامنة في نفس المضطر وهي أن تكون الخلافة العامَّة على جميع الأرض له ولمن يقتدي به ويخطو خطاه.

وأما الحديث عن شخصيَّة المضطر وأَنَّهُ من هو؟ فهو خارج عن بحثنا هنا.

فلا يمكن للمؤمن ممارسة عملية الانتظار إلاَّ بعد عرفان أمرين متلازمين هما:

الأول: وهو الأصل والأهم ويتمثل في معرفة تلك الخلافة الإلهية وهذا هو التوليُّ.
الثاني: وهو تابعٌ وملازم للأصل وهو معرفة السوء الذي يتمثل في الواقع الفعلي ومن ثمَّ التبرِّي منه.

وكلا الأمرين يفتقران إلى الوعي والتدبُّر والدقَّة فنقول:

إنَّه من الأفضل أن نبدأ بالأمر الثاني أعني معرفة السوء ورفضه تحت عنوان الانتظار والرفض ثمَّ نتحدَّث عن الأمر الأوَّل تحت عنوان الانتظار والرجاء.

الانتظار والرفض:

إنَّه من الضروري لمن يعيش حالة الانتظار أن يعرف مدى انحراف الواقع الفعلي عن الحقيقة والصواب وينبغي أن يصل إلى مستوى من التنفُّر والرفض لهذا الواقع بحيث يحسُّ بأنَّه بالفعل سجين في هذه الدنيا ومقيَّد بأنواع القيود التي لا مفكَّ منها ولا مفرَّ إلاَّ بظهور المنجي الحقيقي وهو الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام وينبغي له أن يشعر بأنَّ المشكلة التي يعيشها ليست هي مُشكلة



جزئيةً يمكن التحرّي عنها والتخلّص منها بسهولة بل هي مُشكلة كبيرة ومعضلةٌ عظيمةٌ قد رسّخت جذورها في جميع الأرجاء ونشرت سمومها في كافة الأنحاء، فعندما نلاحظ المجتمع نرى بشاعة الظلم وانتشار الجور وضياع الحقوق والحريات واختلاط الحق بالباطل.

وللخلاص من هذه المعضلة ينبغي لنا أن نعرف أنه لا محيص ولا مناص إلاّ بظهوره عليه السلام ومباشرته للحل بأسلوب ملكوتي إلهي.

وعليّنا أن ندرك هذه الحقيقة بجميع وجودنا، وبأرواحنا ودمائنا وأجسادنا وجوارحنا، بحيث لا تمر علينا ساعة بل لحظة واحدة إلاّ ونشعر بفقدان النور وهيمنة الظلام، وهذه الحالة لا تحصل إلاّ بالمعرفة، أعني معرفة الله تعالى ومعرفتهم عليهم السلام ودولتهم المباركة فلا بد أن نكون على بصيرة من أمرنا حيث إن الأعمى لا يمكنه أن يدرك النور مهما شُرح له، وهذه المعرفة تلازمها معرفة أخرى وهي معرفة أساليب الأعداء الشيطانية ومستوى عداوتهم للحق وانحرافهم عن الواقع وبعدهم عن الله تعالى.

ثم إن هذه الحالة النفسية للمؤمن - أعني الرفض - سوف تكون لها آثار إيجابية في أخلاقه وأعماله وتكامله تجعله يشقّق إلى ما سيحقّق من النصر وتمكين الحق وهكذا سوف يزداد الاشتياق إلى أن ينقلب إلى قرارٍ حاسمٍ ومن ثمّ إرادة جدّية وطلب مؤكّد وحينئذ سوف يراه المهدي عليه السلام: «متى ترانا» ومثل هذا الإنسان سوف يتفاجأ برؤيته عليه السلام فلا يرى نفسه إلاّ ويعيش دولته العظيمة وظلّه الملكوتي المبارك: «ونراك وقد نشرت راية الحق»^(١٨).

الرفض الاجتماعية:

إنّ من النتائج الخبيثة والآثار السيئة التي نشأت جرّاء عزل الدين عن المجتمع وفصله عن الحكم خلال قرونٍ متواليةٍ، هو تحريف المفاهيم الدينية وتفسيرها تفسيراً مؤطّراً بإطار الفرد لا يتخطاه قيد أنملة وكأنّ الدين لا يمتّ إلى المجتمع بصلة.



وهذه الآفة قد تسرّبت بشدّة في تقييم المفاهيم الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، فقد فُسِّرت جميعها أو أكثرها تفسيراً فردياً وكأنها لا علاقة لها بالمجتمع ولا مساس لها بالأُمَّة وكأن الغاية من بعث الرسل وإنزال الكتب هو إيصال الأفراد فحسب إلى الكمال المطلوب.

ومن المؤسف أن هذا النوع من التفسير مع غاية بعده عن روح الإسلام صار كالبدهي عند أكثر المسلمين حتى عند علماء الإسلام، وقد تركزت هذه الأفكار في المجتمع -من خلال هؤلاء الجهلة- تركيزاً شديداً بحيث أصبح كل من يخالفها من جملة الشاذين عن الدين وفي زمرة المنحرفين عن الصراط المستقيم! وبالنتيجة من المطرودين والخارجين عن ربة الإسلام والمسلمين!

هذا والقرآن بصريح العبارة يبيّن السرّ في بعث الرسل بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٥). ومن الواضح أن للحديد الذي هو كناية عن القدرة دوراً مهماً وأساسياً في بناء المجتمع فهو الساعد الآخر الذي يضمن تنفيذ قوانين الدين بعد الإيمان بالله تعالى.

ولم يكتف القرآن بذلك بل حرّض كافة المؤمنين للقيام بالقسط فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥).

وعلى ضوء هذا ينبغي أن لا ننظر إلى المفاهيم الإسلامية من منظور فردي فحسب، بل لابد أن يكون المنظار الاجتماعي هو الحاكم وهو المخيم عليها. فالتقوى ليست مفهوماً أخلاقياً فردياً فحسب بل هي مفهوم اجتماعي أيضاً فهناك تقوى في الإنسان كفرد وهناك تقوى أهم وهي التقوى بمفهومها الاجتماعي الذي يرجع إلى الأمة المؤمنة ولكلٍ منهما أثره الخاص به ولكل جزاؤه المترتب عليه وثوابه المنسجم معه.



وكذلك مفهوم الإيثار والإخلاص والكرم والجود والغيرة والشجاعة وغيرها من القيم الإنسانية الإسلامية.

ونفس الكلام يتأتى في المفاهيم المضادة والقيم المنحرفة الشاذة كالبلخل والرياء والنفاق والخيانة والشره والجبن وغيرها.

نعم هناك بعض المفاهيم (وهي قليلة) يتغلب عليها الجانب الفردي كما أن هناك مفاهيم يتغلب عليها الجانب الاجتماعي، ولكن هذا لا يعني أن نتمسك بها كمفاهيم خاصة فرديّة.

والتأمل في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة سوف يدعّن بما قلناه. ولا بأس بذكر مثال واحد فنقول: قوله تعالى في سورة الشعراء في ثمان آيات عن لسان الأنبياء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (الشعراء: ١٠٨-١١٠). وكذلك في سورتي الزخرف (الآية ٦٣) وآل عمران (الآية ٥٠)، هو خطاب للمجتمع الذي كانوا يعيشونه، ذلك المجتمع المتبعد عن واقع الدين. وليس الخطاب متوجّهاً إلى الأفراد خاصّةً. ومن هذا المنطلق نقول لو أن القيم الأخلاقية أو المفاهيم الاعتقادية رسخت في عدد من الأفراد حق الرسوخ ولكن لم تتجسد تلك المفاهيم في الأمة الإسلامية كأمة فهل يجدي ذلك نفعاً للأمة؟ وهل يرتفع الضرر عن الأمة؟ من الواضح أن ذلك لا يجلب منفعة للأمة كما أنه سوف لا يدفع شراً عنها بل المصيبة سوف تشمل الأفراد أيضاً مهما كانوا يتحلّون بالصلاح والخير قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَتَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّ بَيْتٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٢٥).

ولو دققنا النظر وتعمقنا في الأمر لوصلنا إلى حقيقة أخرى قد استترت عن الكثير وهي: أنه من الصعب أن نحكم بصلاح فرد وهو يعيش في أمة فاسدة



ذلك الفرد الذي لم يوصل نفسه إلى مستوى القيادة والإشراف على أمتة أو لم يهجرهم هجراً جميلاً كي يسلم من آفاتهم!

وربما نستلهم هذا الأمر من الآيتين السابقتين:

ففي الآية الأولى نلاحظ أن الذين نجوا هم الذين ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾^١ وأما الذين ظلموا الذين هم الفساق سواء المظهر فسقه أو الساكت عن الجريمة فإن الله تعالى قد أهلكهم.

والآية الثانية نشاهد أن غير الظالمين أيضاً قد شملتهم الفتنة حيث إن استسلامهم للظلم هو ظلم في القاموس الإلهي أيضاً.

صفات المنتظر:

على ضوء ما سبق ينبغي أن نعرف بأن صفات المنتظر ليست هي صفات فردية فحسب، بل ينبغي أن ينطلق الفرد منها في بادئ الأمر لتستوعب كافة زوايا المجتمع الذي يعيشه وتتفاعل به الأمة حتى تعم فائدتها وتتكامل، فلا انتظار وما يترتب عليه من الصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرفض للواقع الفاسد لابد أن تتجسد في المجتمع ولا تنحصر في الفرد ومع تجسدها في المجتمع سوف يقترّب الفرج وينكشف الضرّ إن شاء الله تعالى.

ولأجل أن يتسم الرفض للمجتمع الفاسد بوسام إلهي ينبغي له أن يمارس الأمور التالية:

الأول: البناء الفردي:

وهو السعي للتقرب إلى الله تعالى بالتلبس بلباس التقوى الذي هو خير لباس حتى يرتفع مستوى رفضه هذا من السلب المطلق الذي هو (لا) إلى سلب يتضمن إيجاباً. وعندئذ سوف يكون رفضه رفضاً مقدساً له معنى ومفهوم رسالي عميق فليست كل لاء هي بالفعل لاء، بل هذا النمط من اللاء أفضل من ملايين نعم إن صحّ القياس بينهما.

فهذا الرفض ليس من السكوت المذموم الذي هو حالةٌ سلبيةٌ جوفاءٌ تُعرقل الإنسان والمجتمع. كلاً بل هو حالةٌ صراخٍ ليس مثلها صراخاً (ويكفيك نموذجاً سكوت عليٍّ عليه السلام طوال خمس وعشرين سنة) وهذه الحالة هي الحالة التكاملية التي تبني الإنسان المسلم وترفع من مستواه إلى الأعلى وتجعله يتكامل شيئاً فشيئاً من دون الوقوف عند حدٍّ.. وكذلك تُنمّي المجتمع وترفع مستواه وتجعله يعيش عيشة عزيزة لا يتسرب إليها ذلٌّ وهوان ولا تعثرها آفةٌ وخذلان.

إذن لم لا تكون هذه الحالة أفضل العبادات؟ ولم لا يكون أفضل الجهاد؟ ولم لا يصل هذا الإنسان المتحليّ به إلى مستوى المتشحط بدمه في سبيل الله؟
الثاني: تعزيز الرفض بخصال أخلاقية أخرى وهي:

١- الصبر:

وهذه الصفة هي أهم تلك الصفات لأنّها في الواقع الضمان لتلك الحالة، والصبر هاهنا يختلف عن الصبر في المواطن الأخرى بل الصبر الحقيقي الذي هو كالأم لسائر المصاديق هو هذا النوع من الصبر حيث اشتماله على جميع أنواع الصبر التي نطقت بها لأحاديث الشريفة وهي ثلاثة كما في الحديث الذي نقله المحدث الكليني رحمه الله بإسناده عن الإمام علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الصبر ثلاثة: صبرٌ عند المصيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية...»^(١٩). وقد ذكر رسول الله ﷺ درجاتٍ أخروية لكل من تلك الأصناف الثلاثة. ولكن الصبر الملازم للانتظار قد استوعب هذه المراحل الثلاثة وذلك لأنّه:

هناك أعظم مصيبة ابتلى بها المؤمن المنتظر وهي مصيبة فقدان قائده الروحي وإمامه الثاني عشر الحجّة بن الحسن المهدي عليه السلام، فهو يعيش حالة اليتيم وهذه المعضلة العظمى بطبيعتها تتطلّب الصبر.



وهناك طاعة تتجسد في التبرّي من كل ما هو يزاحم هذه الروحية (أعني روحية الانتظار)، وهناك معاصي محيطية بهذا الإنسان المؤمن إحاطة كاملة، تلك الأمور التي تقصم الظهر من المغريات المادّية والتسويات الشيطانية المنتشرة على مستوى وسيع بحيث لا يلتفت الإنسان يميناً أو يساراً إلا وهي بارزة أمامه خصوصاً في عصرنا الحالي.

فالمنتظر للدولة المباركة سوف يعيش كلّ تلك المغريات طوال حياته فيشاهد بأمّ عينيه أنّه يسير إلى جهة والعالم بأجمعه يسير إلى جهة أخرى مضادة له تماماً ومن ناحية أخرى يشاهد أنّ جنود الشيطان وأهل الدنيا يمثلون السواد الأعظم فهم الملأ الذين يملؤون أعين الناس فهو إذن الشاذ بينهم.

فمن الواضح أنّ هذا الأمر سوف يجعل المؤمن المنتظر الصابر يعيش حالة صعبة أخرى وهي حالة: (الغربة) ولا تلخّص هذه الغربة في الغربة الاجتماعية بل هناك غربة أصعب من ذلك ألا وهي الغربة الفكرية والأيدولوجية التي تؤكد عليها الأحاديث الشريفة وتجعلها من صفات وعلائم المنتظر الحقيقي كالحديث الذي ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن رسول الله ﷺ قال: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء**»، قيل يا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: «**ثم يرجع الحق إلى أهله**»^(٢٠).

٢- التصابر:

فماذا يفعل هذا الصابر كي يستمرّ في صبره ولا يهون؟

لابدّ وأن ينتقل من مرحلة الصبر إلى مرحلة أرقى وهي التصابر كي يخلق الصبر في الآخرين حتّى ينسجموا معه فيستمرّ في مسيرته ويصمد في مواقفه حتّى تحقق تلك الدولة العالميّة المباركة، وسورة العصر هي التي ترسم الطريق للمؤمنين المنتظرين قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (العصر: ١) أي قسماً بالعصر وربّما يكون المقصود من العصر في هذه السورة هو عصر الحجّة ﷺ.



﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (العصر: ٢) هذا الإنسان الذي قد حُكم عليه بالخسران المطلق هو الإنسان الذي يعيش خارج العصر أي يعيش حالة الغيبة. والإنسان المذكور هنا يشمل جميعهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣).

والاستثناء بطبيعته يدلُّ على النُدورة والغربة، فالنادر من الناس والقليل منهم يتَّسمون بهذه السمات الأربعة المتوالية والتي ترجع بالأخير إلى صفة فاردة وهي (انتظار الفرج) على ضوء ما قدمنا. والجدير بالذكر أنَّ التواصي بالحق والتواصي بالصبر هي حالة ثابتة للمؤمن مادام هو مؤمناً.

فمن الأحرى أن يُسأل إلى متى هذا التواصي؟ وفي آخر المطاف هل لمجتمع أن يعيش الراحة والطمأنينة والهدوء؟ وإن كان الجواب سلبياً فأين حكمة الله تعالى البالغة وأين لطفه الشامل وأين كرمه الجميل؟ أقول: لا بد من وصول الإنسان المؤمن المتَّسم بتلك الصفات إلى مرحلة نهائية وهي مرحلة الكمال، وهي مرحلة العيش في العصر لا خارجه على ما تدلُّ عليه السورة المباركة.

الهوامش

١. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، عيون أخبار الرضا، صححه: حسين الأعلمي (ط ١)، مؤسسة الأعلمي، لبنان، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ج ٢، ص ٣٩٦.
٢. الأربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة (دار الأضواء، بيروت - لبنان، د.ت) ج ٣، ص ٣٣٨.
٣. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الأصول من الكافي، (ط ٣)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ) ج ١، ص ٣٣٦.
٤. بن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، التحقيق: الشيخ جواد القيومي (ط ١)، قم، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ) ص ٣٢٨.
٥. الطوسي، الأمالي، ص ١٩٢.
٦. بن طاووس، رضی الله عنه، الدين علي بن موسى بن جعفر، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني (الطبعة الأولى ١٦١٦) ص ٣٣٠.
٧. المجلسي، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٠٨ ح ٧٧.
٨. المجلسي، المصدر السابق، ج ٥٢، ص ١٢٢ رواية ٣ باب ٢٢ وج ٥٢ ص ١٢٥ رواية ١١ باب ٢٢.
٩. المجلسي، المصدر السابق، ج ٧٧، ص ١٤٣ رواية ١ باب ٧.
١٠. الواسطي، علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، التحقيق: حسين الحسيني اليرجندي (ط ١)، دار الحديث، قم، ١٣٧٦) ص ٩٢.
١١. الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، (ط ٣)، ذوي القربى، قم، ١٤٢٩هـ) ص ١١٥.
١٢. الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، (منشورات دار النعمان، العراق، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) ج ٢، ص ٤٩.
١٣. المجلسي، المصدر السابق: ج ٥٢، ص ١٢٨.
١٤. الطبرسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩.
١٥. الطبرسي، حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، (ط ٢)، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، لبنان، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ج ٥، ص ٢٦٢.
١٦. الطبرسي، ابی الفضل بن الحسن، اعلام الوری بأعلام الهدی، (ط ٣)، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٧٠م) ج ٢، ص ١٩٦.
١٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة ﷺ، (ط ١)، تحقيق ونشر: قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، ١٤١٤هـ. ق) ج ١، ص ٣٩.
١٨. بن طاووس، لإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، ص ٥١١.
١٩. الكليني، الأصول من الكافي، ج ٢، ص ٩١.
٢٠. الصدوق، عيون أخبار الرضا ﷺ، ص ٢١٧.





ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

خلاصة البحوث

Abstracts



العدد (٧) جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ / شباط ٢٠١٩ م

إثبات ولادة الإمام المهدي عليه السلام

الشيخ كاظم القره غولي

إن عظم منزلة الإمامة جعلها نقطة افتراق داخل الجسد الإسلامي، فمن لم تدركه لفتة الرحمة من ربّه أبعدته حسده أو قعد به جهله أو أسره هواه. وكانت حيثيات الإمامة ماثراً للبحث والتدقيق، فبعضُ حظه الرفض، وآخر كفله التصديق.

ولطالما كان من سمة الفكر والمعتقد الجذب والدفع، وبمرور الليالي والأيام تجلّى في الإمامة ذلك في الأنام.

فكم من ناصب أدار التوفيق دفة مركبه لبحر الولاء، وكم من موال عصّف به كيد الشيطان في مستنقع العدا. والإيمان منه ثابت ومنه مستودع. ومن عثر فيه على مرتع لا يضمن دوام المهجع، فغربال الابتلاء ما فتى يعمل ووابل الامتحان ما انفك يهطل. يتجلّى في أرض حياة ورحمة، وينزل في أخرى بلاء ونقمة. شأن هذه الحياة لا يتبدل وقانون لها لا يتعطل. والنار تحرق الخشب وتُنقي الذهب.

ومن لم يُسلم عنانه للشيطان في أصل الإسلام كَمَنَ له اللعين في معرفة الإمام. وقبول القضايا في تناسب عكسي مع مقدار غرابتها. ومن أغرب القضايا أن يعيش إنسان لقرون متمادية، وأغرب من ذلك أن لا يعرفه أحد على مر العصور وتوالي الدهور، ومن هنا خُصت مسألة الإمام الثاني عشر عليه السلام بالكثير من الاهتمام، وصار الحديث فيها مورداً للنقض والإبرام. فأنكر قومٌ ولادته وبنى آخرون على وفاته، وأعلمنا آباؤه الكرام عليه السلام أنه سيقال فيه «هلك في أي وإد سلك».

وقد شكك البعض في تواتر الأخبار - على بعض المباني - في ولادته عليه السلام. ونظراً لأهمية المسألة ومحوريّتها في معتقدنا رأيت أن أتعرض إلى الأدلة التي يمكن أن تكون دالة على ولادته، ولم أقتصر في الاستعراض على ما يدل على ذلك مطابقة، وإنّها طفت في طوائف الأخبار التي تدلّ عليه التزاماً. ولم أرخ العنان لقلم البحث لاستيعاب كلّ ما يمكن أن ينفع في ذلك من آحاد الأخبار، بل تعرّضت لطوائف وانتقيت بعضاً من كلّ منها، مع إشارة إلى وجه الدلالة. ولو لم يكن في هذه الطوائف إلا خصوص ما سقته من الروايات لكان فيها ما يزيد على الكفاية.



Proving the Birth of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H)

Sheikh Kadim Al-Qara Guli

The greatness of the notion of Imamate resulted in diverse understandings in Islamic theology. The one who is away from the mercy of God, envy would blind him from understanding this notion. It has been a point of research and study among people, leading to various conclusions throughout history. History witnessed many cases in which people have turned from being bitter enemies to Ahlulbait into close companions and supporters. On the other hand, many companions of Ahlulbait, at the end of their life, lost their ways and denied the divine position of Imamate. The only unchangeable fact in this life is change itself, because nothing and nobody is immune to change.

The interesting fact is that once Man has safeguarded his belief in Islam, Satan moves on further to trap him in accepting the notion of Imamate. Therefore, the existence of Imam Al-Mahdi (P.B.U.H) has been a case of heated debate throughout centuries: some believe in his birth and life, while others deny completely his existence.

Because of the critical position Mahdism occupies in Islam, I sought to investigate and display the most important evidences that prove the birth of the Imam. I have depended on narrations from different Islamic schools in this regard.



المسار الاستراتيجي للشيعة في الغيبة الكبرى

السيد محمود المقدس الغريفي

في هذا المقال نتناول خطة عمل استراتيجية وهي في الحقيقة خطة وضعها الإمام المهدي عليه السلام لشيعة في عصر الغيبة الكبرى وهي على مستويات ثلاثة: المستوى الأول:

مستوى الاتصال بالإمام المهدي عليه السلام من خلال نفي أي دعوى للسفارة عنه وتكذيبها فإنه عليه السلام قطع دابر أي دعوى للقاء به وتبليغ شيء عنه ممن يدعي ذلك، فأسس عليه السلام قاعدة ثابتة قُبل وفاة السفير الأخير بأيام كذب فيها كل دعوى تبني على مشاهدته في غيبته الكبرى، حيث قال: «وسياقي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفين والصححة فهو كذاب مفتر».

المستوى الثاني:

من خلال اللجوء إلى العلماء الأعلام والمراجع العظام والتمسك بهم فإنه عليه السلام من خلال علمه بحدوث منطقة فراغ في قيادة الأمة عند غيبته أسس إلى مبدأ الرجوع واللجوء إلى علماء الطائفة حيث نصّ بقوله عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله» على الرجوع إليهم.

المستوى الثالث:

وذلك من خلال معرفة الإمام عليه السلام والإيمان بخروجه وانتظاره، وفي هذا المستوى أرشد عليه السلام إلى جملة من الثوابت والأصول التي أسسها الأئمة السابقون عليهم السلام كضرورة وجود الإمام ومعرفة والإيمان به في غيبته وانتظاره من خلال جملة من الأحاديث الشريفة التي أودعناها هذا البحث.



Strategic Progress of the Shias During the Major Occultation

Sayed Mahmood Al-Muqadas Al-Guraifi

This paper encounters the strategic method of progress, proposed by Imam Al-Mahdi for his Shias during the time of Major Occultation. This threefold method is as the following:

First, contacting the Imam himself, while defying any other false claim of ambassadorship on behalf of the Imam. His proposal did not leave any chance for others to claim falsely his ambassadorship. Days prior to the death of the last ambassador, he falsified any meeting claim with him. He stated: "Some of my Shias will claim that they have met me [as ambassadors]. Anyone who claims my meeting before the rise of Al-Sufiani and the Cry, he is indeed a liar".

Second, Imam Al-Mahdi insisted on his Shias to follow their scholars and Religious Authorities. Because the Imam foresaw that there will be theological vacuum after his Major Occultation, he founded the principle of resorting to the scholars, as he mentioned: "In novel unknown incidents, go back to the narrators of our Hadiths, because they are my proof upon you, and I am God's proof upon them".

The third part of the strategy proposed by the Imam is 'awaiting' his Debut. He displayed a number of principles, founded by the previous Imams, as the necessity of the existence of the Imam, knowing him, and believing in him during the time of Occultation. These have been presented in this study in detail.



تاريخ المرجعية ونيابتها عن الإمام عليه السلام

في زمن الغيبة

الشيخ جاسم الوائلي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى أبد الأبد.

إنّ من نعم الله تعالى على هذه الطائفة الحقّة - لا سيما مع غيبة وليّ الأمر عليه السلام - أن جعل لها مؤيلاً تؤول إليه، ومعتصماً تعتصم به وتعتمد عليه، وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى، والمتشرّفون بمقام النيابة العامّة عنه عليه السلام.

وحيث إنّ كلّ ذي نعمة محسود، فلم تخل هذه الطائفة من حاسد وحقود لا يفتأ يرميها بين الحين والآخر عن قوس مغالطاته وافتراءاته في حقّ أولئك الفقهاء العظام، ليوقع ضِعافَ عوامّ الشيعة في شرك أوهام وإشكالاتٍ لو تأملها كلّ عاقل منصف لوجدها كنسج العناكب، لا تصمد أمام دليل أو برهان، ﴿وَإِنْ أَوْهَنْ الْبُيُوتَ لَيَبُتِ الْعُنْكَبُوتُ﴾ (العنكبوت: ٤١)، ولو اطّلع على أصالة فكرة المرجعية وقدمها الضّارب في عمق التاريخ ووقف على ماهيّتها وحقيقتها لم يبق لديه أدنى غموضٍ وتردّدٍ فيما يرمي إليه المشكّكون والطّاعنون من أهداف، وهي أهداف في منتهى الخبث والخطورة على عوامّ الناس عقيدةً وفكراً ومنهجاً وسلوكاً.

وفي هذه الوريقات نحاول تسليط الضوء على هاتين الجنبتين في حلقتين وخاتمة:

الأولى: في تاريخ المرجعية وقدمها.

الثانية: حقيقة المرجعية ونيابة الفقيه عن المعصوم عليه السلام.

الخاتمة: في أنّ مرجعية الفقيه أمر غني عن الدليل النقلي.



The History of Religious Authority and its Representation of Imam Al-Mahdi in the Time of Occultation

Sheikh Jasim Al-Wa'ely

Praise to Allah, the Lord of the Worlds, and Allah's blessing and peace be upon the last of the prophets, Muhammad, and his honorable progeny, and the everlasting curse be upon their enemy.

One of the gifts of God bestowed upon this nation, especially during the Occultation of Imam Al-Mahdi, is that He has designated a shelter to resort to, who are the Fuqaha, or religious jurists. They are the general representatives of Imam Al-Mahdi.

Out of envy, the concept of representation of Imam Al-Mahdi through Fuqaha has been critiqued and brought out into questioning. Unfortunately, many of the simple and naïve Shias have been trapped in such subjective unrealistic questioning. Provided that they are examined carefully, one will find out that such an empty debate is loose as a spider's web, as God has described it in Quran "And indeed, the weakest of homes is the home of spider" (29: 41). The stability and the historical roots of this concept reveal its truth and functionality. In fact, the ideological goals of such questioning are merely to push people astray from the right path of salvation.

This study is threefold: first, it makes a perusal of the history of Religious Authority, second, the reality and truth of Religious Authority and its right to represent Imam Al-Mahdi, and finally it presents a relevant conclusion that the concept of Religious Authority is proved rationally, without even the need to go through theological narrations.



جدلية المقدس وتمثل المقدس

تمثلات ظاهرة المهدوية في مخيال شعوب

المغرب الإسلامي أنموذجاً

د. السيد خالد سيساوي الجزائري

إن هيكلية البحوث التي تتناول القضايا الجدلية خصوصاً المتعلقة بالمقدس الديني أو الإنساني؛ تقتضي منهجية معرفية خاصة تتأرجح بين العقلانية في طرح إشكالات البحث مروراً بالمحايدة الاستقرائية في رصد الوقائع والشواهد، وصولاً إلى النقد البناء لمعطيات تلك الشواهد التاريخية.

إننا نتطلع من خلال هذه الدراسة التي تسلط الضوء على مسألة ارتبطت بالذاكرة الجماعية للمغاربة، واعتماداً على ما توفره المصادر التاريخية والأثروبولوجيا إلى ملامسة ظاهرة المهدوية وأبعادها السوسيو-ثقافية في مخيال بلاد المغرب الإسلامي.

حيث إن المغاربة قد اتكأوا على موروّثهم المخيالي المتعلّق بعقيدة (المهدوية) في خوضهم لتجربة استنزال المقدس (المهدوية) إلى دائرة الواقع السياسي والاجتماعي والديني عبر تمثلات مختلفة ساقّت لنا الدراسات الأثروبولوجيا على أنها تمثّلات تستقي رصيدها المخيالي من الخرافات والأساطير!



The Sacred and the Representation of the Sacred: Mahdism in the Minds of the Islamic Western World

Sayed Khaled Sisawi Al-Jaza'eri, Ph. D.

Those studies that encounter argumentative religiously and humanistically sacred topics demand a specific type of research methodology, ranging from objective investigation of the problems of the study, to inductive readings of historical evidences, to constructive analysis of those evidences.

This study seeks to investigate a critical topic that has been dominating the minds of the masses of the Islamic Westerners, depending on anthropological and historical sources that encounter Mahdism and its socio-cultural dimensions in the minds and imagination of the masses.

The Islamic Westerners depended greatly on their imagination inheritance, concerning Mahdism, in applying this concept on their political, social, and religious lives. This paper deals with the problem that some anthropological studies claim that this concept has been taken from different myths and superstitions.



دور الإمام الغائب عليه السلام في بقاء حجج الله تعالى وبياناته وفي هداية البشر

الشيخ حسن الكاشاني

إن هنا ضرورة لتعريف المقام الوحياني للإمام عليه السلام لفهم دوره في الغيبة، فالإمامة ملك إلهي لا يزول بإدبار الناس ويبقى فاعلاً حتى في غيبته عنهم، فلا يقتصر دور الإمام عليه السلام على التصدي العلني، كما ولا يقتصر دور، على بيان الأحكام الشرعية والقرآنية بل له دور في حفظ حجج الله تعالى فإن وجود الإمام عليه السلام هو للارتباط بذلك العالم الذي لا يتيسر لنا الارتباط به - الغيب - بمقتضى أنه أمين الله تعالى على وحيه فهو الخبير بالوحي العالم بدقائقه.

وكذلك بمقتضى أنه المؤول للكتاب والحافظ للسنة فلا بد أن يحمل الإمام ذلك، كما وأن برهان الصدق في الوساطة عن الخالق يقتضيه أيضاً لأن الإمام الذي ينقل عن الله تعالى ولا نعرف عن ذلك العالم شيئاً لا بد أن يكون قد تخرج من تلك المدرسة - مدرسة الوحي - لكي يصح نقله عنها - إذ كيف يكون غير المحيط أميناً على الوحي: وهذا لا يفرق فيه - أي حفظ الوحي والأمانة عليه - أن يكون حاضراً أم غائباً. ومقام الشهادة من الإمام عليه السلام على الأعمال الذي لا يختص بحضوره بل وإن غاب دال على دوره في حفظ الحجج الإلهية.



The Role of Imam Al-Mahdi in Maintaining the Proofs of God and the Path to Salvation

Sheikh Hasan Al-Kashani

The divine role of Imamate must be clarified: it will not go invalid because of the denial of people. It would remain functional even if the Imam was not present among them. The Imam doesn't necessarily do his functions publically, and is not limited to clarifying the instructions of Islam. He also maintains the Proofs of God. He is the only link with that world which is beyond our reach and perception. He is the gaurdian of God's revelations and their explainer.

The Imam is also the protector of the religion and the most truthful individual, because he is the only carrier of the divine message. He occupies that function whether he was present among us, or living in Occultation. He is also the witness of the deeds of this nation, regardless of his condition, because he is the upholder of divine proofs.



تعريف المهدوية للحضارات الأخرى

بقلم: مجتبى السادة

تقديم المهدوية للحضارات الأخرى هو عمل يتمحور حول أكبر قضية مصيرية تخص العالم. فنحن بحاجة إلى مشروع يتمركز حول الأطروحة الحضارية المهدوية، ونقل مبادئها وقيمها للآخرين، وقبل ذلك نحن بحاجة إلى: تأسيس بناءات فكرية لتكوين منهجية فكرية وعلمية، تتمثل في بلورة مفهوم المهدوية بمكوناتها الجوهرية بصورة تناسب عقلية الآخر (غير المسلم).

دراسة الحضارات الأخرى وفهمها فكرياً: لتشكيل فضاء فكري خلاق يفضي إلى تواصل حضاري (حوار الحضارات) ينطلق فكرياً من القواسم المشتركة، يهدف إلى تعريف الحضارات الأخرى (غير الإسلامية) بالمهدوية الأصيلة. باستخدام الطرق والوسائل الرائجة لدى المجتمعات الأخرى. وبكل يقين هذا التقدم والتجديد المنشود في سياق الفكر والثقافة المهدوية لن يتحقق لوحده أو بقدرة قادر، بل لابد من إرادة جماعية فاعلة لتحقيقه، تستنهض الأمة للأخذ بأسباب النجاح والوعي بالمصالح والمقاصد العليا للمهدوية.



Introducing Mahdism to Other Cultures

Mujtaba Al-Sadah

Introducing Mahdism to the world is one of the most significant issues today. We are in need of a global project that introduces this belief and its principles to others. However, prior to that, we are in need of, first, founding the methodological and scientific basis for this global project in a way that adapts to the understanding and culture of the other (non-Muslim). Second, we also have to carry out a deep study of others' cultures, according to which, we formulate a communication method that is based on mutual understandings, introducing Mahdism to other non Islamic cultures. We can employ the means that are available and perceivable by those cultures.

Surely, this intellectual rise of Mahdism cannot take place by itself, but through the efforts of all of its believers.



حكم تسمية إمام العصر عليه السلام

الشيخ الدكتور وفقان خضير محسن الكعبي

يدور محور البحث حول موضوع مهم متعلق بحرمة التصريح باسم الإمام المهدي عليه السلام في زمن الغيبة. وانتظم البحث في عرض طائفة من الروايات دالة على الحرمة التصريح باسمه خوفاً عليه لزمان غيبته. وعرف بين العلماء كون الحرمة مختصة بزمان الغيبة الصغرى لحكمة الخفاء، ولكن يظهر من بعض الروايات أن حرمة التصريح باسمه الخاص تستمر ليوم ظهوره. ثم عرض البحث تفصيلاً، الاحتمالات العلمية لتوجيه التعارض بين الروايات الدالة على الحرمة والمصرحة باسمه من الحمل على التقية وغيرها. وتبين الأقوال التي ذكرت في المصادر وأدلتها من الروايات وتقييمها واختيار حرمة التصريح باسمه. وفي ثانياً البحث تفاصيل لدلالة الروايات وبيان مضمونها ومصادرها.



The Jurisprudential Legitimacy of Naming Imam Al-Mahdi (P.B.U.H)

Wafqan Khdaier Al-Kabi, Ph. D.

This research investigates the jurisprudential legitimacy of naming Imam Al-Mahdi (P.B.U.H) during the time of Occultation.

There is a group of narrations that announces the prohibition of naming Imam Al-Mahdi out of fear of harming him during his Occultation. It is acknowledged among scholars that the prohibition was limited to the time of Minor Occultation, but it seems that there are other narrations that claim this prohibition continues to the time of his Debut.

This research seeks to study the essence of those narrations and the reason behind that prohibition which is upheld to the day of Debut. Throughout the research, I present more details about those narrations and their sources.



دور المرأة في القيام المهدوي

الشيخ محمد رضا الساعدي

إن المتتبع لحياة المرأة على مر العصور يجد الكثير من المواقف والتحركات والأدوار التي مارستها النساء والتي هي مدعاة للإجلال والتقدير والافتخار، وهذا ينبع من حجم وجود نساء مخلصات قادرات على ممارسة أدوار مهمة من جهة، وحجم وجود دور كبير يمكن أن تمارسه النساء وتبدع به وتخرج فيه منتصرة وناصرة للحق وأهله من جهة أخرى.

والمستقرى لحياة الأنبياء والأئمة عليهم السلام يجد دوراً واضحاً وبكافة الأصعدة مارسته النساء في مؤازرة تلك الحركات والإصلاحات، فكنَّ خير عون في حركة الإصلاح والإرشاد الإلهي، وهذا واضح لمن تتبع تلك الأدوار والممارسات. ومن هذه الحركات التي سيكون للمرأة دور فيها، الحركة المهدوية المباركة باعتبارها حركة إصلاح وتغيير على كافة الصعد والمستويات.

وقد أشارت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إلى ذلك وبينت الدور الريادي الذي تمارسه المرأة في دولة الإمام الحجة عليه السلام، بالإضافة إلى دلالة الأدلة العامة على هذا الدور.

كما تم ذكر مجموعة من النساء اللاتي وردت أسماؤهن في الروايات وما يمارسنه من دور في عصر الظهور.

فالبحث عرض ذلك في توطئة بيّن فيها أهمية دور المرأة، ومقدمة ذكر فيها نماذج من أدوار المرأة، ثم عرض البحث والذي ذكر فيه الأدلة الدالة على أهمية ذلك الدور من خلال الأدلة العامة والأدلة الخاصة التي بينت أن هناك (٥٠) امرأة من ضمن (٣١٣) الذين هم القادة الأساسيون في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وختم بنماذج ذكرتها الروايات مع ترجمة مختصرة لتلك النساء.



The Role of Women in the Rise of Imam Al-Mahdi

Sheikh Muhammad-Rida Al-Saedi

Women had impressive roles in the formulation of history. This, on the one hand, reveals the potential power a woman possesses, and on the other, the unlimited chances she may get to express her power in supporting justice.

In the history of Ahlulbait and the preceding prophets, women occupied significant positions in supporting their reformations. One of these movements shall be the rise of Imam Al-Mahdi. There are plenty of narrations that confirm the important role of women in the reformative movement of Imam Al-Mahdi. Those narrations, moreover, mention the names of those women and their role in the expected utopia.

Thus, this research displays the importance of the role of women and a perusal of the status of women and their number, which is 50 out of 313, the leaders of the movement of the Imam. This research finally concludes its investigation with the mentioning of the biography of some of those women.



عولة الغرب وعالمية الدولة المهدوية

الدكتور عاطي عبيات

إنَّ العولمة من المفاهيم الحديثة التي أخذت بالانتشار بين الأوساط الثقافية في الفترة الأخيرة، فمنذ فترة غير قصيرة بدأ يتدفق على المجتمع الإسلامي خطاب متنوع المستويات عن العولمة تسيطر عليه عبارات وأوصاف ومصطلحات متباينة مثل: ثورة المعلوماتية الكونية، ثورة الاتصالات والمواصلات الفائقة السرعة، العالم قرية صغيرة، الشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات، اقتصاد السوق الحرة، وأمثال ذلك، وقد تم التنظير لها في أدبيات الثقافة المعاصرة بأسلوب لا يخلو من الشعور بالانبهار.

إلا أنَّ هذا المفهوم وإنَّ كان يشير إلى عنصر من عناصر الحداثة، لكنَّه في الوقت نفسه يُعبّر عن حاجات مكنونة في أعماق الفطرة الإنسانية الباعثة على التعامل السلمي بين أبناء البشر، كما أنَّ هذا الشعور المودع في فطرة الإنسان يعتبر مورداً لاهتمام الوحي الإلهي، الذي أخذ يحثُّ أصحاب هذه الفطرة بالتوجّه نحو عالمية المفهوم، والشعور المشترك بين جميع بني البشر.

والمجتمع المتقدم هو مع العولمة التي يمكن أن تكون آليّة للتواصل الحضاري، ويرى أنَّ حل مشاكل العالم يكمن في عالمية الإسلام، ويتعاطى مع العولمة بكل إيجابياتها الواقعية، ويعتقد أنَّ ذلك يكمن في تعميم الفكر الإسلامي الأصيل، ويرى أنَّ أبرز مصاديق ذلك يتمثل في قيام الدولة المهدوية العالمية، التي ستمكن من بناء المجتمع الصالح على أسس تنعم فيها البشرية، ويعمّ فيها الأمن والسلام، وتقضي على كل ما يعصف بالعالم من ظلم واستبداد.

إنَّ الدولة الإسلامية العالمية المهدوية سوف تظهر بعد أن ييأس الناس من إيجاد الحلول لمشاكلهم المتوارثة والتي صنعوها بأيديهم من خلال الابتعاد عن التشريع الإلهي ونبذهم دين الله وراء ظهورهم، عند ذلك فقط سوف تتوحد الشعوب وتنهض الأمة الإنسانية لبناء مجدها على هذا الكوكب المحطم، بقيادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

وفي هذا المقال سنتطرق إلى مفهوم العولمة وأسبابها كما نتطرق إلى عالمية الدولة المهدوية وآثارها الإيجابية على حياة الشعوب في أرجاء المعمورة.



The Globalization of the West and the Universality of the Government of Imam Al-Mahdi

Ati Abiat, Ph. D.

Globalization is a relatively recent phenomenon that is overwhelming the academic halls and their discussions. Not so far, the effect of this concept has been occupying the Islamic world and its cultural circles, with its relative concepts, as the cosmic information revolution, the revolution of super fast communicative links, the world as a small village, multi national global companies, duty free economy, and alike, they all have been discussed with an attitude of admiration.

Though this is a modern concept, it reveals Man's need to communicate with each other peacefully. This humanistic feature is highlighted and promoted by God.

A progressive community is always supportive of a global society, which represents the best means of universal communication. That community also believes in the necessity of globalizing the true Islam. The best manifestation of this true global Islam is the Utopia of Imam Al-Mahdi that realizes the ultimate aspirations of humanity and ends all injustice and oppression.

The rise of this utopia shall take place only after all humanity realizes that there is no other earthly solution to their problems, then to get united under the peaceful banner of Imam Al-Mahdi.

In this research, I will explain the meaning of globalization and its founding. Then I will move on to encounter the universality of the government of Imam Al-Mahdi and its positive effect on the world.



منهج الشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة

پرویز آزادی

ترجمة: السيد جلال الموسوي

لقد اشتهر ابن بابويه بالصدوق بين علماء الدين، وهو عندهم من وجوه الطائفة، وهذه الشهرة إنما هي لوثاقته واعتباره في نقل روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام أولاً، وثانياً لمؤلفاته القيمة في الدفاع عن المذهب والتشيع وردّ وإبطال عقائد المخالفين. لقد ترك ابن بابويه القمّي، بصفته محدثاً شيعياً، ميراثاً عظيماً للأجيال اللاحقة، أحدها كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) في تبيين المهدوية من وجهة نظر الشيعة الإمامية ونقض آراء القائلين بالفترة (انفصال سلسلة الإمامة) ورفع شك المتحيرين في مسألة غيبة حضرة ولي العصر والزمان عليه السلام.

هذا وإن اسم الكتاب مقتبس من الآية الشريفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ (المائدة: ٣)، لأن كمال الدين في الولاية والإمامة، والتي تحققت في وجود الوصي الثاني عشر لرسول الله الأكرم محمد عليه السلام، أي الإمام المهدي عليه السلام. وبتتبعنا لروايات هذا الكتاب، يظهر أن أكثر الروايات الواردة فيه مروية عن طريق خمسة رواة من مجموع (٨٨) راوٍ، حيث نُقل عن هؤلاء ما يقارب (٥٥٪) من مجموع روايات الكتاب، وهؤلاء الرواة هم:

- ١- علي بن بابويه عليه السلام. ٢- محمد بن الوليد القمّي عليه السلام. ٣- المظفر العلوي العمري السمرقندي عليه السلام. ٤- محمد بن المتوكل عليه السلام. ٥- أبو العباس بن إسحاق الطالقاني عليه السلام.
- لقد وردت عدّة طعون من قبل الفرق المختلفة المخالفة للشيعة في القرنين الثالث والرابع الهجري، حول الإمام الغائب عليه السلام ونحو غيبته، ولذا فإن علماء الإمامية اضطروا إلى الدفاع عن المذهب فأجابوا عن تلك الشبهات.
- وفي هذا المجال، صُنِّفت عدّة كتب أهمّها كتاب (الغيبة) للشيخ النعماني عليه السلام، كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) للشيخ الصدوق وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي عليه السلام. وعند مقارنة بين موضوعات هذه الكتب الثلاثة، استنتجنا بأن كتاب الشيخ الصدوق عليه السلام يمتاز بميزات خاصّة منها: توقيعات إمام العصر والزمان عليه السلام، نقل أخبار المعمرين، التطرّق للمباحث الكلامية، ممارسة الجرح والتعديل لبعض الرواة والاستفادة من عدّة مصادر شيعية.
- لقد بقي هذا الكتاب ولقرون متبادية كمصدر أساسي وأصلي لروايات الغيبة والإجابة عن الشبهات المطروحة، وإن الكثير من المؤلفين استفادوا منه في نقل الروايات والحديث. إن تنوع وكثرة الكتب التي اعتمدت على هذا الكتاب كمصدر أساسي لمحتوياتها، يدلّ بوضوح على اعتبار هذا الكتاب عند علماء الإمامية البارزين، وتوثيقهم واطمئنانهم به.



Research Methodology in Kamal Al-Deen Wa Tamam Al-Nima by Sheikh Al-Sadooq

Written by: Parviz Azadi

Ibn Babewah was known as Al-Sadooq (the most truthful), considered among the best Shia scholars. He was nicknamed as such, first, for his truthfulness in narrating the Hadiths of Ahlulbait (P.B.U.H), and second, for his massive and valuable writings that nullified the ideologies of the opposing schools.

As a Shia theologian, Ibn Babewah Al-Qomi (Al-Sadooq) has left behind him a rich heritage for the coming generations, chief among which is Kamal Al-Deen Wa Tamam Al-Nima, explaining Mahdism from a twelfth point of view, defying the theory of interval (the halt in the chain of Imamate).

Moreover, the name of the book is borrowed from the Quranic verse: "To-day, I have perfected your religion for you, and completed My favor upon you" (3:5) because the perfection of the religion, according to the verse, lies in Imamte, realized in the existence of the twelfth Imam, Imam Al-Mahdi (P.B.U.H).

After a perusal of this book, I have found out that most of the narrated Hadiths are narrated by five out of eighty eight individuals. In other words, more than half of the Hadiths of this book are narrated by the following five men:

Ali bin Babewah (May God have mercy on him)

Muhammad bin Al-Waleed Al-Qomi (May God have mercy on him)

Al-Mudafar Al-Alawi Al-Omari Al-Samarqandi (May God have mercy on him)

Muhammad bin Al-Mutawakil (May God have mercy on him)

Abul Abas Ibn Ishaq Al-Taleqani (May God have mercy on him)

In both the third and fourth centuries (A. H.) many questions and skeptical viewpoints have been cast at Mahdism, leading to an intellectual rise among Shia scholars to defy those skeptical attitudes. There is a group of books starring in this field, chief among which are Al-Gaiba by Al-Nomani, Kamal Al-Deen Wa Tamam Al-Nima by Sheikh Al-Sadooq, and Al-Gaiba by Sheikh Al-Toosi. In fact, the book of Sheikh Al-Sadooq is distinguished because of some intellectual features, including the signed letters of Imam Al-Mahdi, an investigation of those who lived for a long time, theological discussions, studying the trustworthiness of some narrators and sources.

This book, for centuries, remained the primary source of Mahdism Hadiths and answering the questions of the opposing ideologies. Mahdism researchers' need for this book reveals the importance and superiority of this source.



أثر غيبة الإمام المهدي عليه السلام الكبرى في تكامل المجتمع المسلم

أ. علاء إبراهيم رزوقي

إن تكامل أي مجتمع إنساني لا يتيسر أبداً إلا عن طريق تطبيق الدين وهو الدستور الذي أنزله خالق الإنسان بصيغة رسالة مشتملة على منهج التكامل المادي والمعنوي للإنسان. من هذا المنطلق ليس لأحد أن يقود المجتمع نحو الكمال إلا من ادخره الله تعالى لعملية التغيير الشامل القائم على أساس الإسلام وهو الوعد الإلهي الذي ينص على أن التغيير الإسلامي الواقع باختيار الإنسان واقع لا محالة في مستقبل التاريخ.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

وكل من الوعدين يجب معاشتهما، والاحساس بهما من اجل المزيد من الدفع، والأمل، ومزيد من الانفتاح، والتفاعل مع الحياة الإسلامية، والعمل في سبيل الله تعالى.

لقد ادخر الله سبحانه لذلك اليوم الموعد الإمام المهدي الثاني عشر من أهل البيت عليه السلام وكان من فضله تعالى أن أبقى الإمام حياً مدخراً يعيش بيننا، ويتعرف على أخبارنا، ويستطلع تجاربنا، فشلنا، ونجاحنا، ونحن نخوض ونواجه عملية التمحيص والاختبار، من أجل أن يستمر الشعور بوجود القدوة في وعي الناس. ومن أجل أن يستشعر الإنسان المسلم هيمنة الامام عليه السلام، وقيادته ليزداد دفعا، وحرصاً وإقداماً، وشعوراً بالاتزان والسكينة، فانتظار الإمام عليه السلام له قيمة عملية كبيرة، سواء في كونها قوة دفع كبرى، أو في كونها تأكيداً لتعامل الإنسان المسلم مع الغيب والإيمان به.

إن انتظار الإمام المهدي عليه السلام يعني أن ارتباط الناس بعالم الغيب لم ينقطع وإن من يعتقدون بذلك يجب أن يتذكروا الإمام عليه السلام دائماً وينتظروا ظهور ذلك المصلح الغيبي العظيم وطبيعي أن انتظار الإمام المهدي عليه السلام لا يعني أن يتخلى المسلمون والشيعية عن مسؤولياتهم ولا يقوموا بأي خطوة في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية ويكتفوا بمجرد انتظاره عليه السلام بل الأمر على العكس من ذلك تماماً كما صرح به العلماء الكبار وباحثوا الشيعة منذ مئات السنين بأن المسلمين والشيعة يجب عليهم - مهما كانت الظروف - أن يعملوا على نشر المعارف الإسلامية وإقرار الأحكام الشرعية وأن يصمدوا في وجه الظلم والذنوب والانحراف ويعارضوه بما يمكنهم.



The Occultation of Imam Al-Mahdi and the Process of Perfection of the Islamic Society

Ala Ibrahim Razooqi

Man can never attain perfection unless he applies the religious instructions designated by the Creator of Man. Those comprehensive instructions aim at the material and spiritual perfection of Man. Accordingly, no one is qualified to fill the role of guidance to perfection unless he is designation by God Himself to reform the society depending on Islam. Indeed, God has promised his creation a point in History, in which the ultimate prosperity will take place: "And We have already written in the Book of Psalms after previous mention, that the earth shall be inherited by My righteous servants" (21:105). One has to depend on this divine promise to maintain his hope, optimism, more activity in the Islamic nation, and work in the path of God.

As a matter of fact, God has preserved Imam Al-Mahdi, the twelfth Imam of Ahlulbait, for that promised day. God has bestowed upon him a long life to make him live among us, know about us, and get acquainted with our experiences, failure, and success. He coexists our trials and misfortunes, while he keeps inspiring us with hope and strength. Waiting for the Debut of Imam Al-Mahdi is of high value, which is considered an unending source of hope and faith in divinity.

Waiting for the Debut of Imam Al-Mahdi denotes a highly significant state of faith, that people still maintain their belief in divinity. As for those who keep waiting for Imam Al-Mahdi should let his name inhabit their minds and hearts and anticipate his Debut at any moment. However, waiting for the Imam doesn't mean to abandon our humanistic and religious responsibilities: the Shias have to pave the way for his arrival by spreading Islamic teaching in the world, and to resist oppression, as our scholars have insisted for centuries.



المحتويات

٧	تمهيدنا: المهدوية بين العقلانية والخرافة
١٣	إثبات ولادة الإمام المهدي ﷺ - الشيخ كاظم القره غولي
٦٧	المسار الاستراتيجي للشيعه في الغيبة الكبرى - السيد محمود المقدس الغريفي
٩٣	تاريخ المرجعية ونيابتها عن الإمام ﷺ في زمن الغيبة - الشيخ جاسم الوائلي
١١٥	جدلية المقدس وتمثل المقدس - تمثلات ظاهرة المهدوية في مخيال شعوب المغرب الإسلامي أنموذجاً - السيد خالد سيساوي الجزائري
١٤٣	دور الإمام الغائب ﷺ في بقاء حجج الله تعالى وبيّناته وفي هداية البشر
١٦٥	الشيخ حسن الكاشاني
١٩٣	تعريف المهدوية للحضارات الأخرى - مجتبي السادة
٢٢٧	حكم تسمية إمام العصر ﷺ - وفقان خضير محسن الكعبي
٢٤٩	دور المرأة في القيام المهدوي - الشيخ محمد رضا الساعدي
٢٨٥	عولمة الغرب وعالمية الدولة المهدوية - الدكتور عاطي عبيات
٣١٣	منهج الشيخ الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة - پرويز آزادي
٣٣٧	ترجمة: السيد جلال الموسوي
	أثر غيبة الإمام ﷺ الكبرى في تكامل المجتمع المسلم - علاء إبراهيم رزوقي
	خلاصة البحوث والترجمة

